

أعلام العرب

١٣١

الحافظ
أبو نعيم الأصفهاني
الفقيه المحدث الصوفي المؤرخ

عبد الحفيظ فرغلي على القرني



الهيئة العامة للكتاب

المحافظ أبو نعيم الأصفهاني

الفقيه المحدث الصوفي المؤرخ

عبد الحفيظ فرغلي على القرني



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

الاخراج الفنى : مراد نسيم

**((ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من
أمرنا رشدا)) .**

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد . .

في أمسية من أمسيات رمضان المعظم ، وقعت يدي على كتاب
بعنوان « أحاسن المحاسن » لمؤلفه الامام أبى اسحاق ابراهيم الرقى
المتوفى سنة ٧٠٣ هـ ، فأخذت أتصفحه بعد قراءة مقدمته التي أشار
فيها الأستاذ محقق الكتاب الى التعريف بمؤلفه ، وذكر بما يجب
أن نقدمه لشبابنا في هذه الأيام التي انتشر فيها الاحاد وشاع الفساد
من مثل كريمة تتمثل في رجال تاريخنا الأفاضل ، من علماء أجلاء
وعاملين أتقياء وصالحين أوفياء ؛ كانوا خير سلف لهذا الخلف
الذى اختلت معاييرها ، وضاق ذرعاً بامجاده فخلط الجد بالهزل
واستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير ، وجرى وراء كل ناعق ،
لا يميز بين الغث والسمين ولا يفرق بين الحق والباطل ، لأنه لم
يتخذ له زادا خيرا يقيه عثرات الطريق ويوضح له مواضع اقدامه
في مواطن الشبهات وظلمات الشكوك ، وهكذا قضى علينا أن نتخلف
حين تخلى الشباب عن كفاحه النبيل لأنه لم يقرأ تاريخه كما يجب ،

فغفل عن مناهج القدوة ، علما بأن « الصفات الخلقية والنفوسية والروحية هي رأس مال الشعوب ، وهي المدخرات العظمى التي تصنع الأمم وتدفع بالركب البشرى الى غاياته العليا ، والناظر في سير السلف الصالحين والعارفين من أمتنا يرى كيف أن هذه المثل والمبادئ كانت سببا مباشرا لانتفاضات صريحة مشهودة ومشهورة في التاريخ الاسلامى ، ولم يكن لهم من النفوذ والقوة الا ايمان هو من أعلى صور الايمان ، ايمان جاد متقد حتى يركز على الشوق والمحبة ، انه ايمان يطلق في قلوب أتباعه الشعلة المتوهجة المتطلعة دائما الى الله .. »

لقد كان ايمان أولئك المتقدمين ايمانا ايجابيا بصيرا ، عرف أصحابه أن جهاد النفوس يصل بأصحابه الى أقصى درجات الكمال الروحى ، وأن بناء الدول طريقه بناء الأفراد وتربيتهم تربية مثالية خلقية ، وهكذا فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - في بدء الدعوة ، فقد مكث في مكة مبعوثا قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة يعد النفوس ويوجه القلوب ويربى الإرادة ويصقل الأرواح ، ثم انطلقت هذه الطاقات الايمانية والاشراقات الروحية في كون الله الواسع ، تنشر اشعاعاتها التي أنارت الدنيا ، وقوضت الظلم وأزهقت الباطل وصنعت المعجزات وشيدت دولة الاسلام العظمى في فترة من الزمن قياسية على هدى من الله وبصيرة .

لقد أخذ الكتاب يعرض علينا نماذج خلقية رفيعة ، تتجلى في الشخصيات الكريمة التي وهبت نفسها لله ، ونذرت أرواحها للدفاع عن الحق والجهاد في سبيله ، وقدست الحق ، وازدانت بالشمائل النبيلة والمثل الرفيعة والأخلاق الفاضلة والشجاعة النادرة التي نحتاج اليها اليوم وغدا في نضالنا وجهادنا لاعادة بناء أمتنا واعدادها لدورها التاريخى الذى كانت قائمة به من قبل .

ولاشك أن تخلفنا الراهن وتأخرنا عن القيام بدورنا الذى نحن

أحق به وأهله ، كان من أسبانيه الجهول برجال تاريخنا وسيرهم
وأخبارهم ، مما أوجد فجوة بل فجوة بين الماضى والحاضر ،
فانقطع ما بينهما من عطاء ومد وخير .

لقد مضى كتاب « أحاسن المحاسن » يقول لنا فى مقدمته :
« يجب أن نحمى شبابنا ونزوده بالايمان ونحصنه بالأخلاق نحلّيه
بكمال الروح والمثاليات والفضائل ، ونصل حاضره بماضيه ونربطه
بسيرة أجداده ٠٠ حتى يولى الالحاد مدبرا منهزما ٠٠ يجب أن يشيع
الروح المؤمن الطاهر القوى فى حياتنا ووجودنا وأن نجعله مادة فى
معاهدنا ومدارسنا ونورا فى صحفنا وكتبنا وإذا عاتنا مهذباً منقحا
مصححا مصفى ، حينئذ نظفر برضوان الله وسيادة الحياة ، وتمتلىء
أيدينا بقوة المؤمنين ، ويتحقق فينا قول ربنا سبحانه : ولا تهنوا
ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » - آل عمران ١٣٩ .

وربما يرد ذلك على تساؤل حول حقيقة التصوف ودوره ،
فان التصوف الحقيقى ايجابية رائعة وجهاد متواصل ومثالية
عظيمة ، نشهدها فى زهد العلماء وتواضع الكبراء ، ونشهداها فى
صدق الأحوال واخلاص الرجال وتفانى الأبطال ، ونراها فى حق
التقوى وحلاوة المعرفة وقوة اليقين وجلال المشاهدة ، ونلمسها فى
حرارة الشوق الى الله والاقبال عليه ، وفى مواقف الخوف والرجاء
والمراقبة والمحاسبة والتلذذ بالطاعة . والمداومة عليها والصبر على
مافيهها من نصب وسهر ، وفى العزوف عن الشهوات والبعد عن مواطن
الشبهات ، وفى غير ذلك مما تحفل به مقامات التصوف وأحواله ،
وتتحدث به أخلاقه وآدابه ، مما نرى أمثلة منها فى هذا الكتاب الذى
انتخب نماذجه الطيبة من كتاب « صفة الصفوة » لأبى الفرج
عبد الرحمن بن الجوزى ، وهو بدوره استمد كتابه من « حلية
الأولياء » لأبى نعيم الأصفهاني ٠٠

لقد شوقنى ذلك الى التعرف على الأصل والتعريف بصاحبه ،

حيث انه كان منبعا فياضا لمن جاء بعده من العلماء الفضلاء ، واثار الطريق ليسير الناس على هدى وبصيرة حسبيما أشار الحق - سبحانه - لعاشقى طريق الحق على لسان سيد الخلق « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » - يوسف ١٠٨ -

ولقد أصاب الأستاذ المحقق الشيخ محمد علوى المالكى لكتاب « أحاسن المحاسن » كبد الحقيقة بمقدمته تلك ، فما أخرجنا الى ترسم خطأ من جاهدوا فى الله حق جهاده وقدموا بمجهوداتهم المشكورة صورة صحيحة للاسلام ، وأسهموا بأعمالهم الباقية وسيرهم العاطرة فى تحقيق معنى قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » - آل عمران ١١٠ -

ويبرز من بين هؤلاء أبو نعيم الأصفهاني الفقيه المحدث الصوفى المؤرخ وآثاره خير شاهد على ذلك .

وأبو نعيم نتاج طيب للبيئة الاسلامية الجديدة التى صهر أبناؤها فى بوتقة الاسلام ، فاتحدت عناصرها المختلفة وامتزجت دماؤها العربية وغير العربية ، فنشأ من خلال ذلك نشء جديد أثرى الاسلام بعقل خصيب وخلق قويم وإيمان قوى ، زكاه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله حين أشاد بأبناء الاسلام الجدد الذين يحملون رايته فى فارس ، ويتفانون فى خدمته بقوله « لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من فارس » .

وقد نسى المسلمون فى ظل الاسلام أجناسهم وتركوا عصبيتهم وأوطانهم حين أصبح الاسلام وطن الجميع ، به يحيون وفى ظله يموتون ولأجله يعملون ويعلمونه يشغلون ، لقد شعروا فيه بالعزة الحقيقية ، وأدركوا قيمة الكرامة الانسانية ، وذاقوا به لذة المعرفة والشوق الى خالق الوجود ، وأصبحت الحياة فى نظرهم معبرا الى حياة أفضل وسعادة خالدة ونعيم لا ينفد ، وأن لوجود الانسان

فيها هدفا كريما وغاية سامية غير ما يتفانى فيه الناس ويتعادون ويشعلون في سبيل تحقيقه الحروب الدامية المدمرة المرعبة ٠٠

في ظل الاسلام الوارف بالمثل كان ابو نعيم عالما من العلماء الأفاضل يرفع بجدّه واخلاصه لواء العلم والايمان ، وينشر فضل هذا الدين بما آتاه الله من نعمة الحكمة ونور المعرفة ، حتى قدم للمسلمين الكثير الطيب النافع الذي مازالت الأجيال الاسلامية المتعاقبة تنتفع بجنّاه وتعيش في بركته ٠

قال الامام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود في بعض كتبه :
« لابد - ونحن في هذه اليقظة الاسلامية المستأنفة ان ننبه الى ائمتنا ، وأن نبحت عن آرائهم الفكرية التي تنهل من معين الكتاب والسنة ، والتي لها مكانتها في الفكر التشريعي العالي ٠ وشيء آخر يدعونا الى العناية بهم ، ذلك هو سلوكهم الأخلاقي المثالي الذي يرتفع الى القمم العوالي من مكارم الأخلاق ٠ انهم نماذج ممتازة للانسانية في سموها وللشباب الذي يجب أن يجد القدوة وأن يسير على هدى من السلوك والذي يعمل بالحق ويجاهد في سبيله ٠٠ وفي تراثنا الاسلامي الكثير من أئمة السلوك - وهم في حاجة الى البحث عن آثارهم في مختلف مظانه حتى نكون عنهم صورة كاملة الواضوح» (١) ٠

ان كثيرا من الناس يدخلون الحياة ويخرجون منها كما يدخلون ، ولكن القليل جدا منهم يخرجون منها وقد تركوا فيها آثارا باقية خالدة تشهد بأنهم قد فهموا معنى الحياة وأدركوا قيمة الزمن ٠ تعلموا وانتفعوا بما علموا ، فأصبحوا كالأرض الجيدة الخصبة التي جادها المطر فأينع فيها الثمر ٠ وقليل من هذا القليل الذي يعرف هدفه الذي خلق من أجله فيرمى بقصده اليه ولا يحيد قيد شعرة عنه ، يعمر أوقاته بالطيب الصالح الذي يزكو مع الأيام

(١) الليث بن سعد ص ٢٦ ٠

ويتضاعف ثمره على مرور الأوقات والأزمان . ومن هذا القليل
كان الأصفيهانى أبو نعيم ، الذى شغل نفسه بالعلم النافع واعتنى
برجال نبه الأذهان اليهم وعطر الدنيا بتاريخهم وسيرهم وأرشد الى
الاعتداء بهم والسير على منهاجهم . .

ولئن كان قد نبه الى غيره فهو أحرى أن ينبه اليه ، فقد دل
على خير فليكن له منه أوفى نصيب ، والبار أحق بأن يبر ، وله فى
الأخرة بعد ذلك من الله المثوبة وحسن الجزاء ان شاء الله .

وانى لأرجو أن يوفقنى الله تعالى فيما أكتب عنه راجيا من
الله أن يجعل ما أسطره فى ميزان أعمالى حسنات يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

هذا وبالله التوفيق ، ،

عبد الحفيظ فرغلى على الفرغلى
ثرة شعبان ١٤٠٦ هـ

عطاء البيئة

أصـبـهـان

جاء في دائرة معارف الشعب : وأصبهان مدينة تقع في العراق العجمي ، وهي على نهر « زندروز » من جهة الشمال على بعد مائتين وعشرة أميال من طهران جنوبا .

وكان أهلها عموما متعلمين ، وكان كل واحد منهم تقريبا يحسن القراءة والكتابة ، بل ان أصحاب الدكاكين والصناع كانوا يحسنون نظم الشعر .

وقال « ابن بطوطة » في وصفهم : انهم حسان الصورة ، ألوانهم بيض زاهرة مشوبة بحمرة ، والغالب عليهم الشجاعة والنخوة ، وفيهم كرم وتنافس عظيم في الأطعمة والضيافة ، وتؤثر عنهم في ذلك أخبار غريبة .

وقال « القزويني » : انهم أهل حذق في العلوم والصناعة .

هذه مقدمة لا بد منها لأن الانسان ابن بيئته كما يقولون .

ولنستزيد تعرفا على أصبهان نقرأ ما سطرته يد « ياقوت الحموى » في معجم البلدان ، قال ٠ قال « مسعد بن مهلهل » : وأصبهان صحيحة الهواء نفيسة الجو ، خالية من جميع الهوام ، لا تبلى الموتى في تربتها ، ولا تتغير فيها رائحة اللحم ولو بقيت القدر بعد أن تطبخ شهرا ، وربما حفر الانسان حفيرة فيهجم على قبر له ألوف سنين والميت فيه على حاله لم يتغير ، وتربتها أصبح تراب الأرض ويبقى التفاح فيها غضا سبع سنين ، ولا تسوس بها الحنطة كما تسوس في غيرها ٠ قال « الحموى » : وسألت جماعة من عقلاء أهل أصبهان عما يحكى من بقاء جثة الميت في مدفنها فذكروا أن ذلك بموضع مخصوص منها ، وهو مدفن المصلى لا في جميع أرضها ٠

وعلى كل فهذه مزية يحق لأصفهان أن تفاخر بها ٠

ولقد وصف « الحجاج بن يوسف الثقفى » هذه المدينة في عبارة موجزة ، ولكنها جامعة قال لبعض من ولأه أصبهان : قد وليتك بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران « (١) » ٠

وتقول دائرة المعارف الإسلامية في ذلك : اصفهان أو اصبهان ، مدينة مشهورة بفارس ، كانت فيما سبق قسبة الصفويين ، وهى الآن أهم مدن ولاية العراق العجمى ، ويقول « حمزة الأصفهاني » : أن اسمها مشتق من الجنديّة ٠ فتحها الاسلام سنة ١٩ هـ في خلافة « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، بقيادة « عبد الله بن عتبة » في رواية ، وفي رواية أخرى : أن قائد الفتح هو « أبو موسى الأشعري » فتحها سنة ٢٣ هـ ، فتحها عقب فتحه نهاوند ٠

« وقد ازدهرت المدينة فيما بعد ، وأصبحت في منتصف القرن الثالث الهجرى مدينة هامة وحاضرة إقليم كبير ومركز صناعة

(١) معجم البلدان لياقوت ، واخبار اصفهان لأبى نعيم يمتصرف ٠

وتجارة ، وأحصى «ابن رسته» الذى عاش هناك وألف كتابا حوالى عام ٢٩٠ هـ أبوابها الأربعة وأبراجها المائة . وقاس « ابن لدة » عالم الهندسة قطرها وكانت مستديرة الشكل ، فوجد أنه يبلغ ستة آلاف ذراع . وزاد « ركن الدولة ابن بويه » من رقعة المدينة ورمم أسوارها التى كانت ماتزال قائمة فى القرن الخامس الهجرى ، وكانت هذه المدينة غنية وبخوارها مناجم للفضة والنحاس والاشمد والخارصين وغيرها ، وماتزال المدينة تعتمد حتى الآن على الزراعة وبخاصة القطن ، وفى مطلع القرن الرابع الهجرى دخلت هذه المدينة فى حكم « السامانيين » ثم دخلت تحت حكم « محمود الغزنوى » فى أوائل القرن الخامس الهجرى ، ثم أصبحت مقرا مختارا للملكشاه السلجوقى ، ولم تسلم المدينة من سطوة التتار ، الا أنها لم تدمر كما دمر غيرها من المدن التى استولوا عليها ، ولبثت تحت سيطرتهم حتى استردها « محمد بن المظفر » فى منتصف القرن الثامن الهجرى، ولكنها لم تنج من غضبة « تيمور » فى نهاية هذا القرن حين ثار أهلها عليه سنة ٧٩٠ هـ فنكل بهم وأعمل السيف فى رقابهم حتى كون أهراما من رءوسهم التى بلغت سبعين ألفا ، وخضعت المدينة للعثمانيين سنة ٩٥٥ هـ ، وظلت كذلك حتى حاصرها « محمود الأفغانى » عام ١١٣٤ هـ وتعرض أهلها لأحوال بسبب القحط الذى أصابها حتى حررها « نادر شاه » بعد ذلك بسبع سنوات ، وأصبحت قصبة لملك الشاه عباس ، فتحوّلت الى مدينة فسيحة جميلة مكتظة بالسكان ، ينطبق عليها المثل الفارسى الذى قيل قديما « اصفهان نصف جهان » أى اصفهان نصف العالم .

ولم يشهد ' « أبو نعيم » الأحداث التى طرأت على المدينة بعد الثالث الأول من القرن الخامس الهجرى ، ولكنه استطرد دعا اليه التعرف على هذا الوطن الذى عاش فيه أبو نعيم زهاء مائة عام .
واصفهان - كما تقدم - تقع على نهر « زندروز » وكان يسمى

قديمًا « زنده » ويمتاز هذا النهر بأنه غاية في الطيب والصحة
والعذوبة ، وقد وصفه الشعراء

فقال فيه بعضهم :

لست آسى من أصبهان على شيء سوى مائها الرقيق الزلال
ونسيم الصبا ومنخرق الريح وجو صاف على كل حال
ولها الزعفران والعسل الماذى والصافنات تحت الجلال(١) .

وقال آخر :

لست آسى من أصبهان على شيء فأبكى عليه عند رحيلى
غير ماء يكون بالمسجد الجامع صاف مروق مبذول
وهى عامرة بالبنائيات الفخمة والمناظر الجميلة وبخاصة
المساجد ، ومن أجملها مسجد الشاه الذى شيده الشاه « عباس
الأول » فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، ويعتبر من أجمل
بنائيات العالم .

ولئن كان نجم هذه المدينة قد افل أخيرا بنقل العاصمة الى
طهران الا أن آثارها الباقية بها ماتزال تشهد بعراقتها وتاريخها
المجيد .

ولقد وصفها « ياقوت » فى معجمه بأنها من اعلام المدن وأعيانها
وذكر فى سبب تسميتها بهذا الاسم فيما يرويه « ابن الكلبي » أنها
سميت « بأصبهان بن فلوح بن سام بن نوح » عليه السلام ، ويرى
« ابن دريد » أن أصبهان اسم مركب ، لأن الأصب اسم البلد بلسان
الفرس وهان اسم الفارس ، فكأنه يقال بلاد الفرسان ، أما « حمزة
ابن الحسن » فيقول : أن أصبهان مشتق من الجنديّة ، وذلك أن لفظ

(١) معجم البلدان لياقوت .

أصبهان إذا رد الى اسمه بالفارسية كان « أسباهان » وهى جمع أسباه ، فأسباه اسم للجند والكلب ، واشتركا فى الاسم لاشتراكهما فى الحراسة ، وقال « ابن حمزة » فى اشتقاق اسم أصبهان حديثا يلهج به عوام الناس وخواصهم . قال : أصله أسباه آن أى جند الله ، قالوا : ولم يكن يحمل لواء ملوك الفرس من آل ساسان الا أهل أصفهان .

فليس عجيبا أن يبرز فى أفق هذه المدينة العريقة كثير من العلماء والأدباء والشعراء والصالحين ، حتى لقد اعتنت كتب التاريخ والتراجم بذكر العديد منهم والترجمة لهم .

قال « ياقوت » : وقد خرج من أصبهان من العلماء والأئمة فى كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن ، وعلى الخصوص علو الاسناد ، فان أعمار هؤلاء تطول ، ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث ، وبها من الحفاظ خلق لا يحصون ، ولها عدة تواريخ .

ولكن المدينة يحق لها أن تزهر بشخصيتين لهما أثرهما الذى لا ينكر .

أما أحدهما فهو « أبو الفرج الأصفهاني » صاحب كتاب « الأغاني » .

وأما الآخر فهو « أبو نعيم الأصفهاني » صاحب كتاب « حلية الأولياء » .

وكان المدينة تريد أن تشهد التاريخ على قدرتها فى تخريج كل فذ وثبوغها فى كل فن . فقدمت « أبا الفرج » الذى تحدث عن الدنيا من خلال بهجتها وأبان عن وجه السرور فيها وجانب المرح منها ، فى صورة مائة لحن أعجبتة وأطربته ، ونفذ من بين ذلك الى اظهار علمه بالأخبار ومعرفته بالأنساب وروايته للأشعار والطرف والنوادر والأعلام حتى جاء كتابه موسوعة أدبية رائعة ، لا تستغنى عنها

مكتبة من المكتبات أو اديب من الأدياء ، ومازال كتاب « الأغاني منبعا ثرا لكل قارئ ، يشهد الدنيا على مقدرة مؤلفه في فنه واستطالته في أدبه وتمكنه في علمه ، ويدل على ذلك كثرة تداوله ، وتكرر اعادة طبعه وتحقيقه ، وتضاعف التعليقات الجمة عليه ، ويكفى أن نقدم في الشهادة له كلمة « صاحب بن عباد » حين بلغه أن « سيف الدولة الحمداني » بذل ألف دينار لأبى الفرج حين أهدها نسخته من الأغاني ، فقد قال « صاحب » : لقد قصر « سيف الدولة » وأنه ليستحق أضعافها ، إذ كان مشحونا بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكتائب والمتأدب بضاعة وتجارة وللبلبل رجلة وشجاعة وللمتظرف رياضة وصناعة وللملك طيبة ولذاذة ، ولقد اشتملت خزانتي على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميرى غيره ، ولقد عنيت بامتحانه في أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعزب عن أسماع من قرفه^(١) بذلك ، وقد أورده العلماء في كتبهم ففاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه « (٢) » .

هذا نتاج المدينة في أحد وجهى الحياة ، أما الوجه الآخر منها فقد كان في شخصية ذلك العالم الزاهد الورع المحدث أبى نعيم الأصفهاني الذي كان له حول وطول في مختلف فنون العلم ، وتصرف جيد في جد الحياة لا هزلها ، مما سنعرف - بتوفيق الله - طرفا منه في سطور هذا البحث .

ولكن الاستشهاد بهذين العلمين على مكانة المدينة لا يعفى من الإشارة الى بعض أعلامها الذين تركوا آثارا طيبة في أفق الحياة ،

(١) قرفه : اتهمه .

(٢) مقدمة كتاب الأغاني تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الهيئة المصرية للكتاب .

بل من الاكرام لأبى نعيم الذى دون حلية الأولياء وأخبار أصفهان
وغيرهما أن نشير على سبيل الإيجاز الى بعض من أنجبتهم هذه
المدينة الذائعة الصيت .

ولئن كانت بعض البلاد شهت بالمنتسبين اليها - فإن القرى
والمدن والعواصم تنجب كما ينجب الناس وتعم كما يعقون ،
وأحيانا تكون فى انجابها قلقة يعتز بها الزمن وتحنى لها الدنيا قامتها
اجلالا وأكبارا ويصبح هؤلاء الأبناء غرة فى حيين قراهم ومدنهم
تضىء بهم وتشهد بفضلهم وتخلد بخلودهم وتذكر بذكرهم ، ولولا
« المعرى » ما ذكرت « المعرة » ، و « بصفى الدين الحلى » أضاءت
« الحلة » فى العراق ، وخلد « القلقشندى » قرينته « قلقشنده » فى
مصر ، كما خلد « ابن دراج القسطللى » « قسطله » الأندلس ، وذاع
صيت « مرسية » فى الأندلس أيضا حين نبغ منها « أبو العباس
المرسى » رضى الله عنه ، وأشاد الامام « عبد الوهاب الشعرانى »
بقريته « ساقية أبى شعره » من أعمال المنوفية حين ذكرت به ،
وتحول النسب الى علم مشهور ، فكم من الناس من يتسمى « بمرسى »
أو يتسمى « بشعراوى » وهكذا ، والأمثلة على ذلك كثير .

أعود فأقول : لئن كانت بعض البلاد تشهر بالمنتسبين اليها فقد
كانت « أصفهان » كفتا لهذا النسب الذى زادها اشراقا على اشراق
وأضاف الى محاسنها حسنا آخر هى جديرة به ، فلقد
كانت كما سبق أن رأينا درة فى تاريخ فارس وجوهرة فى تاج العراق
المعجمى ، وآن الآن أن نستعرض بعض من لمعوا فى سماءها استجابة
لنداء البيئة الأصيل ونتاجا للقاح المجد النبيل .

فمن هؤلاء « جمال الدين الجواد الأصفهانى الوزير » وقد ذكره
« ابن خلكان » فى « وفيات الأعيان » وترجم له ترجمة ضافية نقتطف
منها ما يأتى :

اسمه « محمد بن على بن أبى منصور » ولقبه جمال الدين .
وكنيته أبو جعفر .

عنى أبوه الذى تولى عدة مناصب شريفة فى بلاط السلطان
«ملكشاه» السلجوقى بتربيته وتأديبه حتى ظهرت كفايته وحمدت
طريقته وأوصله ذلك الى الوزارة فى عهد « سيف الدين غازى بن
أتابك زنكى » .

وقد ظهر جوده حتى لقب بالجواد وصار ذلك اللقب علما عليه ،
وقصده الشعراء ومدحوه ، وله آثار طيبة فى التعمير ، وبخاصة
فيما يتعلق بالأماكن المقدسة ، فقد أجرى الماء الى عرفات أيام
الموسم من مكان بعيد ، وعمل الدرج من أسفل الجبل الى أعلاه ،
وبنى سور مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - توفى سنة تسع
 وخمسين وخمسمائة فى العشر الأواخر من رمضان المعظم بالموصل ،
وقيل ان جثمانه نقل الى مكة ثم الى المدينة ليدفن هناك فى احتفال
مهييب .

وقال بعض الشعراء فى ذلك :

يا كعبة الاسلام هذا الذى جاءك يسعى كعبة الجود
قصدت فى العام وهذا الذى لم يخل يوما غير مقصود

كما قال غيره :

سرى نعيشه فوق الرقاب وطالما
سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادى فتثنى رماله
عليه وبالنساذى فتبكي أرامله

ومنهم « عماد الدين الكاتب الأصفهاني » وهو كما ترجمت له « الوفيات » في الجزء الثاني « أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى الفرّج بن نفيس الدين أبى الرجا حامد بن محمد » .

كان فقيها شافعيّا تفقه بالمدرسة النظامية زمانا ، واتفق فنون الأدب وله من الشعر والرسائل ما يغنى عن الاطالة في شرحه . نشأ بأصبهان وقدم « بغداد » في حدائته ، وتلقى على يد شيوخها في مختلف العلوم والفنون ، تعلق بالوزير « عون الدين يحيى بن هبيرة » ببغداد فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط ، ثم انتقل الى « دمشق » سنة اثنتين وستين وخمسائة في عهد السلطان العادل « نور الدين محمود بن أتابك » فأحسن اليه وأكرمه وأهله لكتابة الانشاء ، ثم انتظم في سلك جماعة « صلاح الدين الأيوبي » بعد ذلك حتى صار من جملة الصدور المعدودين يضاهى الوزراء ويجرى في مضمارهم ، له مؤلفات ناجحة أشهرها كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » جعله نبلا على « زينة دمية الدهر للخطيرى » وقد ذكر « العماد » في خريدته الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة الى سنة اثنتين وسبعين وخمسائة وجمع شعراء العراق والحجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ، ولم يترك أحدا الا النادر الخامل ، وهى في عشر مجلدات .

كما صنف كتاب « البرق الشامى » سبعة مجلدات في التاريخ . وصنف كتاب « الفتح القدسى في الفتح القدسى » في مجلدين يتضمن كيفية فتح بيت المقدس . الى غير ذلك من الكتب العديدة التى تشهد بفضل وسبقه .

وكانت بينه وبين القاضى الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف ، فمن ذلك ما يحكى عنه أنه لقيه يوما وهو راكب على فرس فقال له : سر فلا كبابك الفرس . فقال له القاضى الفاضل : دام علا العماد . وهذان التعبيران مما يقرأ مقلوبا وصحيحا سواء .

واجتمعوا يوما في موكب السلطان وقد انتشر الغبار حتى سد
الفضاء فأنشد « العمداد » في الحال :

أما الغبار فأنه مما أثارته السنابك
والجو منه مظلم لكن أنارته السنابك
يا دهر لى عبد الرحيم فلسست أخشى مس نابك

وهو من الجناس الذى كان شائعا في ذلك الوقت . .

وبعد وفاة « صلاح الدين » اختلت الأحوال بالعمداد فلزم بيته
وعكف على الاشتغال بالتأليف . وكانت ولادته سنة ٥١٩ هـ ، وتوفى
في مستهل رمضان سنة ٥٩٧ هـ .

ومنهم « أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني » صاحب
ديوان الخراج وكان من جملة الرؤساء وفضلاء الكتاب ، كان في
أيام « المتوكل » وله شعر جيد منه :

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجاز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولن أحب بجمع شمل واتفاق
وضحكت عن فرح اللقاء كما بكيت من الفراق
لم يبق لى الا تجشم هذه السبع البواقي
حتى يطول حديثنا لصفات ما كنا نلاقى

وقد تغنى المغنون بهذه الأبيات لرققتها وجمالها ، وقد توفى سنة
٢٤٦ هـ في شوال (١) .

ومن أوردهم « ابن خلكان » أيضا في كتابه « وفيات الأعيان » ،

(١) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢ .

ابن منده ، وهو « أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدى » الحافظ المشهور وصاحب كتاب « تاريخ أصبهان » وقد كان أحد الحفاظ الثقات ، وآل منده أهل بيت كبير تخرج فيه جماعة من العلماء الأجلاء ، وتوفى « ابن منده هذا سنة احدى وثلاثمائة ، وله أحفاد من بينهم من كان بينه وبين « أبى نعيم » كلام علق عليه الرواة ، ومنهم « أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب » وكان من الحفاظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث المبرزين ، وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الدراية مكثرا صدوقا كثير التصانيف حسن السيرة بعيد التكلف ومن كلامه : كثرة الضحك أماراة الحمق ، والعجلة من ضعف العقل ، وضعف العقل من قلة الرأى ، وقلة الرأى من سوء الأدب ، وسوء الأدب يورث المهانة ، والمجون طرف من الجنون ، والحسد داء لا دواء له ، والنمائم تورث الضغائن ، وكثيرا ما كان **يتشد :**

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى

وللمشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه

بدنيا سواه فهو من هذين أخيب

وقد ولد فى شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة . بعد وفاة « أبى نعيم » بأربعة أعوام وتوفى يوم النحر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة بأصفهان^(١) ومولده بها أيضا .

وممن أوردهم « ابن النجار » فى ذيل تاريخ بغداد « منسوباً الى « أصبهان » سهل بن عبيد بن سورة » الخراسانى الأصبهانى ، وهو أحد المحدثين ، وقد روى عنه هذا الحديث الذى أورده « الدميرى » فى كتابه . قال : أهدى الى النبى - صلى الله عليه

(١) تاريخ ابن خلكان ح ٣ .

وسلم - طير يقال له النحام فأكله واستطابه ، وقال : اللهم أدخل الى أحب خلقك اليك - و « أنس » رضى الله تعالى عنه بالباب - فجاء « على » - رضى الله عنه - فقال : يا أنس استأذن لى على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : انه على حاجة ، فدفع صدره ودخل ، فقال - رضى الله عنه - يوشك أن يحال بيننا وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رآه النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : اللهم وال من والاه (١) .

وفى « معجم الأدباء لياقوت » عدة أعلام ينتسبون الى « أصبهان » منهم « على بن حمزة الأصبهاني » أحد أدباء « أصبهان » المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف ، من مؤلفاته كتاب « الشعر » وكتاب « فقر البلغاء » يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء وكتاب « قلائد الشرف » فى مفاخر « أصبهان » وأخبارها ، وغير ذلك (٢) .

وقد ذكر « ابن النديم » فى كتاب « الفهرست » فيمن ذكر من المؤلفين « أبا على بن عبد الله الأصفهاني المولد ، دخل البصرة وأخذ عن أخذ عنه « أبو حنيفة الدينوري » وله من الكتب كتاب « الرد على الشعراء » ، كتاب « المنطق » ، كتاب « علل النحو » ، كتاب « المختصر فى النحو » كتاب « الصفات » كتاب « الهشاشية والبشاشية » كتاب « التسمية » كتاب « شرح كتاب المعانى للياهلى » كتاب « نقض علل النحو » .

كما ذكرت مجلة « المورد » (٣) العراقية أن فى قائمة المخطوطات

(١) حياة الحيوان ح ٢ ص ٥٩٨ .

(٢) معجم الأدباء ح ١٣ ص ٢٠٣ .

(٣) المجلد السابع - العدد الثانى - ١٣٩٨ هـ .

التاريخية المحفوظة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة بغداد مخطوط بعنوان « تاريخ بغداد » الجزء الأول بخط مؤلفه العلامة « الفتح بن علي بن محمد بن الفتح البنداري الأصفهاني » وقد ذيلت النسخة بالعبرة الآتية : تم المجلد الأول من الكتاب وفرغ منه جامعه العبد الضعيف « أبو ابراهيم الفتح بن علي بن محمد بن الفتح البنداري الأصفهاني » غفر الله تعالى له ولوالديه ، في الثامن من رجب المبارك سنة تسع وثلاثين وستمائة بدمشق المحروسة .

ولم تخل كتب الطبقات الصوفية من الاشادة ببعض من انتسبوا الى « أصفهان » من أمثال « محمد بن يوسف الأصفهاني » الذي يتحدث عنه « الشعرائي » في طبقاته بقوله : كان « ابن المبارك » رضى الله عنه يسميه عروس العباد والزهاد ، وكان يقول لنفسه : هب أنك قاض فكان يكون ماذا ؟ هب أنك عالم فكان يكون ماذا ؟ هب أنك محدث فكان يكون ماذا ؟ الأمر من وراء ذلك .

وكان رضى الله عنه يقول : ذهب أصحابنا الى رحمة الله ودفنا نحن الى حشوش هذه الدنيا .

كان زاهدا ورعا تقيا مجاهدا في سبيل الاسلام توفي وهو ابن ثيف وثلاثين سنة في سنة أربع وثمانين ومائة .

« ومحمد بن يوسف » هذا هو جد والد « أبي نعيم » لأمه وقد ترجم له في كتابه « أخبار أصفهان » وفي « حلية الأولياء » وقال : قال عنه « يحيى بن سعيد » : ما رأيت أفضل منه ، ويظهر صدق هذا التقرير في رده على أخيه الذي كتب اليه يشكو جور العمال ، فكتب اليه : انه ليس ينبغي لمن عمل بالمعصية أن ينكر العقوبة ، وما أرى ما أنتم فيه الا بشؤم الذنوب ، وهذا تصديق للأثر الذي يقول : كيفما تكونوا يول عليكم .

ومن قدماء مشايخ « اصفهان » « أبو الحسن على بن سهل
الاصفهانى » كان يكتب « الجنيد » ويراسله وكان من أقرانه ، صاحب
« ابن معدان » « ولقى » أبا تراب النخشبى « رضى الله عنهما ،
وكان اذا بلغه عن أحد من المسلمين أن عليه ديناً ، وفى عنه دينه دون
علمه ، فيأتى صاحب الدين للمدين يقول له : قد وفى الله عنك ، ولم
يعلم الناس بذلك الا بعد موته . ومن كلامه - رضى الله عنه -
الذى يدل على قلب ذائق : من لم يصح فى مبادئ ارادته لا يسلم
فى منتهى عاقبته . وكان يقول لأصحابه : تعوذوا بالله من غرور
حسن الأعمال مع فساد بواطن الأسرار (١) .

ونذكر له « السلمى » فى طبقاته فقرات رائعة تشهد له بعمق
الفكر ودقة النظر . فمن ذلك : الغافلون يعيشون فى حلم الله ،
والذاكرون يعيشون فى رحمة الله ، والعارفون يعيشون فى لطف الله ،
والصادقون يعيشون فى قرب الله ، والمحبون يعيشون فى الأنس بالله
والشوق اليه . حرام على من عرف الله أن يسكن الى شىء
غيره (٢) .

وتضمن كتاب « أحاسن المحاسن » الذى أشرنا اليه آنفاً -
وقد استمد مدده من « حلية الأولياء » - أسماء رجال فضلاء من
أهل « أصفهان » نذكر منهم « إبراهيم بن عيسى » الذى يقول عنه :
ان عبادته كانت تشبه عبادة الملائكة ، فليله يقومه الى قرب الفجر .
ثم يدعو فى آخر الليل لجميع الناس والحيوان والبهائم والوحش ،
ويقول فى اليهود والنصارى : اللهم اهدهم .

ومنهم « أحمد بن مهدى بن رسم » الذى كان حاله الستر على
الناس ، وأخلاقه أخلاق الرحمة والمروءة .

(١) الطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ٨ .

(٢) طبقات السلمى ص ٥٤ ط دار الشعب .

ويذكر « الدميرى » فى كتاب « حياة الحيوان » ج ١ ص ١٨٣
 فيمن يذكر من الشيوخ الذين يستشهد بحسن كلامهم الشيخ « أبا
 شجاع زاهر بن رستم الأصفهاني » امام مقام ابراهيم بمكة المكرمة ،
 ويسند اليه رواية تقول : سمعت الشيخ « أحمد » خادم الشيخ
 « حماد » يقول : دخل الشيخ « عبد القادر » على الشيخ « حماد
 الدياس » يزوره فنظر اليه الشيخ وكان قد رآه اصسطاد بازيا ،
 فأثرت نظرة الشيخ فيه ، فخرج من عنده وتجرد عن أسبابه ، وكان
 من اكابر أصحابه ، ولهذا كان الشيخ « عبد القادر » يقول :
 انا بلبل الأفراح أملاً دوحها طرباً وفى العلياء باز أشهب

والشيخ « عبد القادر » هو الجيلانى المشهور رضى الله عنه .
 وقد زار « ابن بطوطة » مدينة « أصفهان » ووصفها فى رحلته
 المشهورة التى ضمنها كتابه المعروف ، وألحنا فيما سبق الى طرف
 من هذا الوصف ، وكان نزوله فى زيارته فى زاوية تنسب للشيخ
 « على بن سهل » تلميذ « الجنيد » وتحدث عن شيخها وصلاحه
 وتقواه وقال عنه : هو العابد الورع « قطب الدين حسين » وذكر
 طرفاً من كراماته ، وقال عنه أيضاً : أقمت عند الشيخ « قطب الدين »
 بهذه الزاوية أربعة عشر يوماً ، فرأيت من اجتهاده فى العبادة وحب
 الفقراء والمساكين وتواضعه لهم ما قضيت منه العجب ، وبالف فى
 اكرامى وحسن ضيافته وكسانى كسوة حسنة .

ولعله مما يذكر بالفضل لأصبهان أن يكون منتسباً اليها فى أحد
 أصوله أو أصول مواليه الامام الثبت الحجة « الليث بن سعد » نزيل
 مصر وفقهها الذى قال عنه الامام « الشافعى » رضى الله عنه :
 « الليث بن سعد » أفقه من « مالك » الا أن أصحابه لم يقوموا به .

ومما يحكيه عنه « ابن خلكان » فى سيرته أن « ابن وهب » كان
 يقرأ على « الشافعى » مسائل « الليث » فمرت به مسألة فقال رجل

من الغرباء : أحسن والله « الليث » كان كأنه يسمع « مالكا » فيجيب هو ، فقال « ابن وهب » للرجل : بل كان « مالك » يسمع « الليث » يجيب فيجيب هو ، والله الذى لا اله الا هو ما رأينا احدا قط أفقه من « الليث » ، وكان الى جانب علمه الوافر سخيا جوادا ، ويقال ان دخله كان فى كل سنة خمسة آلاف دينار وكان يفرقها فى الصلوات وغيرها ، وتوفى « الليث » رضى الله عنه - يوم الخميس منتصفا شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، وقبره أحد المزارات المشهورة بمصر .

وفى كتاب « أخبار أصفهان » لأبى نعيم مئات الرجال الأعلام الذين ترجم لهم ، وقد برزوا فى مختلف العلوم والفنون والتصوف .

هذه مقدمة بين يدى « أبى نعيم » الأصفهاني نتعرف من خلالها على البيئة التى صُنعت صنيعة فى أبنائها فخرجت منهم علماء وحكماء وفقهاء وشعراء وأصفياء .

ولا يجهل أحد أثر البيئة فى الانسان ، فهو يتنفس هواها ويشرب ماءها ويأكل طعامها فيتلون بلونها فى أغلب الأحيان ، ولئن كانت هناك فلتات شذت عن نظام البيئة فلأمر إرادته القدر والشسان لا يقاس عليه .

والأمر الذى يمكن أن يلاحظ أن بيئة العراق كانت صالحة لانجاب كثير من المتصوفة ، ربما كان ذلك لأن العراق غصت بالشيعة أنصار « على » رضى الله عنه ، الذى يعده بعض الصوفية امامهم فى التصوف ، وهناك علاقة من وجه بين الصوفية والشيعة ، ذلك الوجه هو الانعطاف حول أهل البيت ومبعث الانعطاف يختلف فهو عند الصوفية ديني وعند الشيعة سياسى . وربما يأتى تفصيل لذلك فيما بعد ان شاء الله . وعلى عاتق الفرس قامت الدولة العباسية من خراسان بقيادة « أبى مسلم » الذى أخلص النصيح لبنى العباس

عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وعم « على » - رضى الله عنه - والدعوة العباسية في أصلها علوية ، فمحمد بن على بن عبد الله بن عباس مؤسس الدولة العباسية كان قد أوصى له « أبو هاشم بن محمد بن على بن أبى طالب » بالأمر من بعده حين حضرته الوفاة . وكان « محمد » ذكيا بعيد النظر حين ألقي بثقله على العراق العجمي وولى وجهه شطر خراسان ، وله كلمة ماثورة في ذلك توجه بها الى دعائه في الأمصار حين قال لهم : « أما الكوفة وسوادها فشيعة على وولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول : كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما الجزيرة فحرورية (خوارج) مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى ، وأما الشام فليس يعرفون إلا آل « أبى سفيان » وطاعة بنى « مروان » عداوة راسخة وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما « أبو بكر » و « عمر » ، ولكن عليكم بخراسان ، فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم يتوزعها الدغل ، وهم جند لهم أيدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى . . . وبعد فانى أفعال الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا » (١) .

ندرك من هذه الكلمة أين كان نشاط دعاة العباسيين ورثة العلويين ، وأمامهم « على » رضى الله عنه الذى أثر عنه الزهد والاشارة الى الحقائق التى تطور اليها العلم الصوفي فيما بعد .

جاء في كتاب « نشأة التصوف » : لقد أنشئ أول رباط صوفي في « عبادان » حوالى سنة ١٥٠ هـ بفضل « عبد الواحد بن زيد » ، ونال هذا الرباط شهرة واسعة ولا بد أن تكون قواعد الذكر ولو في صورة أولية قد صيغت وتطورت فيه ، ولا بد أن « أبا العتاهية » قد تأثر بقصائد هذا الرباط من الثقافة والعباد حين قال :

(١) الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى - محمود مصطفى - ص ٥٠ .

سقى الله عبادان غيثا مجالا فان لها فضلا جليلا وأولا
وثبت من فيها مقبلا مرابطا فما أن أرى عنها له متحولا
إذا جئتهما لم تلق الا مكبرا تخلى عن الدنيا والا مهلا
فأكرم بمن فيها على الله نازلا وأكرم بعبادان دارا ومنزلا (١)

ثم يقول : حتى إذا أقبل القرن الثالث الهجرى كانت اللفظة قد انتشرت في العراق ، وصارت « بغداد » في منتصف هذا القرن قسبة الحركة الصوفية وماجت بالشيوخ وظهرت مدارس ذات مناهج متميزة ٠٠ وفي النصف الثاني من هذا القرن كان في « خراسان » لفظة الملامية قد اشتهرت لأهل الطريق ، ولكن ما انتهى هذا القرن الا وكانت كلمة الصوفية عامة في جميع الأصقاع الاسلامية (٢) .

ولا أدل على أن « أصبهان » كانت مهدا طيبا للصلاح والتقوى من سيرة الشيوخ الذين نشأوا وعاشوا فيها ، ومن بينهم الامام داود الظاهري - رحمه الله - وهو « أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني » الامام المشهور ٠٠

ويحكي عنه « ابن خلكان » قائلا : كان زاهدا متقللا كثير الورع ، أخذ العلم عن « اسحاق بن راهويه » و « أبي ثور » وغيرهما ، وكان من أكثر الناس تعصبا للامام الشافعي ، وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين ، ومما يحكى في زهده ما يرويه « أبو عبد الله المحاملي » قال : صليت عيد الفطر في جامع المدينة ، وقلت أدخل على « داود بن علي » فأهنته ، فجئته ، وإذا بين يديه طبق فيه أوراق هندبا وعصارة فيها نخالة ، وهو يأكل فهناته وعجبت من حاله ، ورأيت أن جميع ما في الدنيا ليس بشيء ، فخرجت من عنده

(١) نشأة التصوف د. ابراهيم سيوني ص ١١٤ .

(٢) ص ١١٥ .

ودخلت على رجل من محبى الصنعية يقال له « الجرجاني » ، فخرج الى حاسر الرأس حافى القدمين ، وقال لى : ماعنى القاضى ؟ قلت : مهم . قال : ماهو ؟ قلت : فى جوارك . داود بن على « ومكانه من العلم ما تعلمه ، وأنت كثير الصلاة والرغبة فى الخير تغفل عنه ؟ وحدثنه بما رأيت . فقال : « داود » شرس الخلق ، وجهت اليه البارحة بألف درهم ليستعين بها فردها على وقال للغلام : قل له بأى عين رأيتنى ؟ وما الذى بلغك من حاجتى وخلتى حتى بعثت الى بهذا ؟ فعجبت وقلت : هات الدراهم فانى أحملها اليه ، فدفعها الى وقال للغلام : أتتني بكيس آخر ، فوزن ألفا أخرى وقال : تلك لنا وهذه لعناية القاضى ، وأخذت له الألفين وجئت اليه فقرعت الباب ودخلت ، وجلست ساعة ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه ، فقال : هذا جزاء من أئتمنتك على سره ، انا بأمانة العلم أدخلتك ، ارجع فلا حاجة لى فيما معك . قال « المحاملى » : فرجعت وقد صغرت الدنيا فى عيني ، وأخبرت « الجرجاني » فقال : انى قد أخرجت هذه الدراهم لله تعالى فلا ترجع فى مالى ، فليتول القاضى اخراجها فى أهل البر والعفاف . وداود الظاهري أصله من أصبهان وإن كان قد ولد بالكوفة وتوفى فى بغداد سنة سبعين ومائتين (١) .

وكما ازدهر التصوف فى العراقيين ازدهرت العلوم الأخرى ، ولا يجهل أحد أثر الدولة العباسية وما بلغته من تقدم علمى وازدهار فكرى ، ولقد بلغت العلوم فى العصر العباسى أكثر من ثلثمائة علم والذى حدا بالعرب - كما يقول المرحوم « محمود مصطفى » فى كتاب الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى - الى العناية بهذه العلوم هى الضرورة الحافزة ، إذ لا يعقل أن أمة يتعاضم عمرانها وتتسع رقعة ملكها ، كما حدث للأمة العربية ثم تبقى مستغنية عن العلم ، غير محسنة بالحاجة اليه ، فهذه الضرورة المدنية تدفعهم الى طلب

(١) وفيات الأعيان ح ١ .

الطب للعلاج ، والحساب للضبط ، والهندسة للتعمير ، وهكذا ، ثم علوم الدين وغيرها من النفسيات تدعو اليها ضرورة الاجتماع حتى تضمن السعادة لأمم تزدهم بها مواطنها وتكثر مطالبيها وتعدد علاقاتها ٠٠» (١) .

فليس غريبا أن يكون رجل لديه الاستعداد والقدرة والذكاء وله حظ وافر في طلب العلم في فروعته المختلفة وينبغ نبوغا ظاهرا في فنون من العلم . ليس غريبا أن يترك آثارا باهرة تدل على مقدرة وفضل وسبق .

كان الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله لا يعتد في تراجمه عن العارفين بالبيئة التي نشأوا فيها ، لأنه يعتبرهم قد بلغوا حدا من الأصالة يرفعهم فوق مستوى الخضوع لعصرهم ، انهم يغيرون وجه الحياة في جانب من جوانبها ، فهم ليسوا ثمار عصورهم تقليدا وتأثرا . وقد ظهر رأيه هذا واضحا فيما كتبه عن « سفيان الثوري » و « أبي الحسن الشاذلي » رضى الله عنهما ، وغيرهما .

ولكن اذا صح هذا في بعض الشخصيات فان الغالب - كما سبقت الإشارة - أن البيئة لها أثرها الواضح الذي لا ينكر في أغلب الشخصيات ، ولا يقلل التأثير بالبيئة من شأن صاحب الترجمة ، ولا سيما اذا كانت ظروف البيئة المحيطة صالحة لاثمار شخصية سوية تساعد هذه الظروف على الظهور والمضي قدما في طريق الكمال المنشود ، كما هو الشأن في شخصية « أبي نعيم الأصفهاني » رحمه الله .

حياته ونشأته

نسبه :

ذكره « ابن خلكان » في « وفيات الأعيان » فقال : هو الحافظ « أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني » .

وكذلك ذكرته « دائرة المعارف الإسلامية » ولكنها أسقطت جده « أحمد » فقالت : هو « أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران الشافعي » .

واقصر « النبهاني » في كتابه « جامع كرامات الأولياء » على أنه « الحافظ أبو نعيم الأصبهاني » وكذلك فعل كتاب « الأعلام » مؤلفه « خير الدين الزركلي » .

وأضافت بعض المصادر إليه لقباً آخر هو « الاحول » .
و « نعيم » ينطق مكبراً ومصغراً على اختلاف فيه . هكذا قال

« العاملى » فى كتابه « اعيان الشيعة » (١) وأضاف : « وتطلق كنية « أبى نعيم » على حافظ آخر هو « أبو نعيم الفضل بن دكين » (٢) وهو بضم النون بلا خلاف . وعلى آخرين غيره .

ولد فى « اصفهان » فى رجب سنة ٣٣٦ هـ التى توافق يناير أو فبراير سنة ٩٤٨ م وهذا على أرجح الأقوال .

وقيل ولد فى : سنة ٣٣٤ هـ - كما يقول « ابن خلكان » وقال بعضهم ولد فى سنة ٣٥٣ هـ . ولكنه قول ضعيف كما يقول « العاملى » .

وأسرته اشتهرت بالعلم والتقوى ، فقد كان أبوه عالما جليلا ، روى عنه « أبو نعيم » أحاديث عدة ، وكان جده « محمد بن يوسف » عالما عاملا زاهدا راويا وكذلك كان أخو جده هذا . وابن جده « أحمد بن محمد » كان عالما أيضا وهو جد أبيه من قبل أمه . أما جده « مهران » فهو أول من أسلم من أجداده .

وقد كان هذا الجد مولى لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه .

وكان « عبد الله بن معاوية » هذا قد غلب على « اصفهان » ن

(١) أعيان الشيعة ج ٩ ص ٥ .

(٢) هو حافظ ثبت كوفى ، سمع الامش وزكريا بن أبى زائدة وعمر بن دُر وشعبة وغيرهم ، وعنه روى أحمد واسحاق ويحيى بن معين والذهلى والبخارى والدارمى ، وقد روى عنه ابن المبارك مع تقدمه . قال « أحمد بن صالح » : ما رأيت محدثا أصدق من « أبى نعيم » وقال « يعقوب الفسوى » أجمع أصحابنا أن « أبى نعيم » كان غاية فى الاتقان ، وقال « أبو حاتم » : « أبو نعيم » حافظ متقن ، وقال « محمد بن عبد الوهاب الفراء » : كنا نهاب « أبى نعيم » أشد من هيبة الأمير ، ولد سنة ١٣٠ هـ وتوفى شهيدا سنة ٢١٩ هـ - تذكرة الحفاظ للذهبى ج ١ ص ٣٧٢ .

ثورة له ضد الأمويين ، وقصة هذه الثورة قميئة بالتسجيل لأنها تدل على جرأة ومقدرة واعتداد بالرأى ، جاء في « الأغاني » (١) الذى الذى هذبه « ابن واصل الحموى » : قيل أن « عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب » قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز - وهو آن ذاك أمير العراق - ومستميحاً له ، فتزوج بالكوفة بنت « الشرقى بن عبد المؤمن بن شبيب بن ربيع الرياحى » ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل « الكوفة » على بنى أمية ، وقالوا له : اخرج فأنت أحق بهذا الأمر من بنى أمية . فاجتمعت اليه جماعة ، فلم يشعر « عبد الله بن عمر بن عبد العزيز » الا وقد خرج عليه ، فدعا الناس الى بيعته على الرضا من آل « محمد » - صلى الله عليه وسلم - فبايعوه .

وقد ذكر أن ظهور « عبد الله » كان في أيام « يزيد بن الوليد » المعروف بالناقص وأنه خرج الى ظهر « الكوفة » مما يلى « الحيرة » فقاتل قتالاً شديداً ٠٠ ثم بعد جولات غلب على ماء الكوفة وماء البصرة وهمدان وقم وقومس والرى وأصبهان وفارس وأقام بأصبهان .

وكتب « عبد الله بن معاوية » كتباً الى الأمصار يدعو الناس الى نفسه ، وقصدته بنو العباس جميعاً ومنهم « السفاح » و « المنصور » و « عيسى بن على بن عبد الله بن العباس » وقصدته وجوه قريش من بنى أمية وغيرهم ، فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التى غلب عليها حتى ولى « مروان بن محمد » الذى يقال له الحمار ، فوجه اليه « عامر بن ضبارة » فى عسكر كثيف فسار اليه ، فلما قرب من « أصبهان » ندب « عبد الله بن معاوية » أصحابه للخروج اليه والى قتاله فلم يفعلوا ولا أجابوه ٠٠ فخرج على دهش هو

(١) حـ ٣ ص ١٣٦ ط دار التحرير .

واخوته قاصدين « خراسان » وقد ظهر بها « أبو مسلم » صاحب دعوة بني العباس ، فاعتقله « أبو مسلم » فمات في حبسه ٠٠

وكان « عبد الله » أديبا ظريفا شاعرا وله أبيات من الشعر سارت مسرى الأمثال منها هذا البيت المشهور :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا
ومما ذكر عنه « الحصرى » في كتابه « زهر الآداب » أنه كان عالما ناسبا وكان خطيبا مفوها وشاعرا مجيدا ، ومن شعره الذى سار مسرى المثل قوله :

لسنا وان أحسابنا كرمت يوما على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثلما فعلوا (١)

وإذا كان « عبد الله بن معاوية » خرج أيام « يزيد بن الوليد » الذى لقب بالناقص لأنه نقص بعض الجند أرزاقهم ، فقد كانت خلافة « يزيد » فيما يرويه « المسعودى » في كتابه « مروج الذهب » و«الذهبي» في كتابه « دول الاسلام » سنة ست وعشرين ومائة ، ولم تدم خلافته أكثر من خمسة أشهر وليلتين (٢) .

وفي هذه الضوء يمكن تحديد زمن اسلام جد « أبى نعيم » .
على أن ذلك لا يضيف الى شخصية الرجل جديدا ، كما أن عدم عراقة الأسرة فى الاسلام الذى لم تعتنقه الأسرة الا بعد مرور أكثر من مائة عام من بدئه لا ينال من شخصية « أبى نعيم » أيضا ، وموقف الاسلام صريح فى أن الانسان بعمله ، والاسلام يجب ما قبله، ولا تزد وأزرة وزر أخرى ، ولقد كان أصحاب رسول الله - صلى

(١) زهر الآداب ح ١ ص ١٢٤ .

(٢) مروج الذهب ح ٢ ص ١٧٣ ط التحرير ، ودول الاسلام ص ٨٦ ط هيئة الكتاب .

الله عليه وسلم - على قرب الوثنية يقاتل الرجل أباه وأخاه في دين الله ، ويتبرأ من أبيه وأمه ابتغاء رضوان الله ، ومع ذلك فلم يفض من قدر أحدهم أنه مسلم وأبوه كافر ، بل صاغ الاسلام شخصية هؤلاء الصحابة الأجلاء صياغة جديدة ، وجعل منهم جواهر فريدة ، تزين جبهة الزمن ، من أمثال « عمر » و « خالد » و « أبى عبيدة » و « عكرمة » وغيرهم - رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد كان هؤلاء وأمثالهم لهم آباء يكتنون ويظهرون للاسلام اشد العداء .

والذى لا ينكره أحد أن أبناء البلاد المفتوحة اقبلوا على الاسلام بأرواحهم وعقولهم ، واطبلوا على علوم الاسلام يتقنونها ، ويبرزون فيها حتى ملكوا ناصيتها ، وأصبح كثير من الموالى أئمة يهتدى بهم ويتتلمذ الناس عليهم ، ويكفى فى اثبات ذلك ما تشير اليه هذه القصة التى أوردها « الدميرى » فى كتابه نقلا عن «ابن الصلاح» فى رحلته . قال :

روينا عن « الزهرى » أنه قال : قدمت على « عبد الملك بن مروان » فقال : من أين قدمت يازهرى ؟ قلت : من « مكة » . قال : قال : فمن خلفت بها يسود أهلها ؟ قلت : « عطاء بن أبى رباح » قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى . قال : فبم سادهم ؟ قلت : بالديانة والرواية . فقال : ان أهل الديانة والرواية ينبغى أن يسودوا الناس .

قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت : « طاووس بن كيسان » . قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى . قال : فبم سادهم ؟ قلت : بما سادهم به عطاء . قال : من كان كذلك ينبغى أن يسود الناس .

قال : فمن يسود أهل مصر ؟ قلت : « يزيد بن أبى حبيب » .

قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى . فقال كما قال
في الأولين .

ثم قال : فمن يسود أهل الشام ؟ قلت : « مكحول الدمشقى » .
قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى ، عبد نوبى
أعنته امرأة من هذيل . فقال كما قال فيما سبق .

ثم قال : فمن يسود أهل الجزيرة ؟ قلت : « ميمون بن مهران »
. قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى . فقال كما
قال .

ثم قال : فمن يسود أهل « خراسان » ؟ قلت : « الضحاك بن
مزاحم » قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى ، فقال
كما قال .

ثم قال : فمن يسود أهل « البصرة » ؟ قلت : « الحسن بن
أبى الحسن البصرى » قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من
الموالى . قال : ويلك فمن يسود أهل « الكوفة » قلت : « إبراهيم
النخعى » قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من العرب . قال :
ويلك يا زهرى ، فرجت عنى ، والله لتسودن الموالى على العرب حتى
يخطب لها على المنابر وإن العرب تحتها . قال : قلت يا أمير
المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه ، فمن حفظه ساد ومن ضيعه
سقط(١) .

. هذا والعصر الأموى - كما نعلم - كان عصر عصبية يحتقر
الموالى ، وقد بلغ فيه الموالى ما ترى ، فما ظنك بالعصر العباسى

(١) حياة الحيوان ج ٢ ص ١٥٦ ط دار التحرير .

وقد قام على عواتق هؤلاء الموالى ؟ حتى- لقد اقصى العباسيون كثيرا من العرب عن مراكزهم وحاربوهم واضطروهم الى العودة الى جزييرتهم لتلا يفسدوا عليهم أمرهم - على حد تعبير المرحوم « محمود مصطفى » - في كتابه الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى ، واستشهد على ذلك بكلمة « ابراهيم بن محمد » صاحب الأمر فى الدعوة ، فى وصاته لأبى مسلم الخراسانى : ان استطعت الا تدخ بخراسان لسانا عربيا فافعل ، وبكلمة « المنصور » فى وصاته لابنه « المهدي » وانظر مواليك فأحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدتك ان نزلت بك .

وقد ظهر أثر ذلك واضحا فى كثرة الاختلاط الذى ادى الى الجديد من الآثار فى البنى والأجسام واللغة والعادات والأخلاق والعقول ، كما كان له أثره أيضا فى نضج العلوم وازدهار الفنون .

ولقد عرف عن أسرة « أبى نعيم » بعد أن عرفت الاسلام الجد فيه والحرص عليه ، مما ظهر أثره واضحا فى سليلها « أبى نعيم » رحمه الله .

ولم يكتف بعض أفراد هذه الأسرة بأحياء شعائر الدين ، ولكنهم اعتنوا بجوهره حين اقبلوا على الزهادة والنسك والتصوف فجد أبيه لأمه « محمد بن يوسف » كان - كما مر بنا - من أئمة التصوف وكذلك كان أبوه . وكذلك كان خال أبيه .

تعلمه :

ولاشك فى أن « أبى نعيم » قد تلقى دروسه فى المسجد كما كان الناس ينلقون العلم آنذاك ، والقرآن الكريم هو المادة الأولى فى منهج هذه المدرسة .

ولا يجهل أحد رسالة المسجد في الاسلام ، فقد كان الى جانب كونه مركزا للعبادة مكانا للعلم والقيادة ، بل وميدانا للتدريب العسكري ، ولعلنا لا ننسى أن « أبا بكر » رضى الله عنه جعل من المسجد النبوى ثكنة عسكرية تتوجه منها الجنود للدفاع والامداد والجهاد .

ولقد مر النبى - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم على حلقتين في المسجد ، احدهما للذكر والثانية للعلم ، فأنشئ على كليتهما ، وجلس في حلقة العلم وقال : انما بعثت معلما .

ومن هنا كان المسجد هو المدرسة الأولى في الاسلام ، واقدم المساجد في العالم الاسلامى كان يقام للغرض العلمى الى جانب الغرض الأساسى من اقامة الصلاة وعبادة الله . وشهد جامع « عمرو بن العاص » في مصر جانبا مشرقا من جوانب العلم والمعرفة ومازال « الجامع الأزهر » أقدم جامعة علمية في العالم الآن يقوم بدوره العلمى ، ومازالت حلقات دروسه حتى وقتنا هذا قائمة يتخرج فيها العلماء الذين يضربون في الأرض ينشرون الهدى والنور ويدعون الى الله .

وقد اتسعت الرسالة العلمية التى ولدت في المسجد حتى شملت التفسير والحديث والفقه والأصول والعقائد والنحو والبلاغة والنقد والأدب وغير ذلك ، « فكان الداخل الى المسجد يرى في طرفه جماعة يصلون ، وآخرون يقرءون القرآن ، وفي ركن آخر جماعة من العلماء أو الأدباء يعلمون ويتعلمون ويروون الشعر ويناقشون اللغة ، كما ترى في ركن ثالث عالما جلس حوله تلاميذه وهو يشرح لهم بعض أصول الحديث أو يفسر لهم آيات القرآن الكريم » (١) .

(١) حضارة العالم الاسلامى في العصر العربي د. علي حسني الخريوطي

ومع مرور الوقت وحرص الناس على العلم تحولت رحبات البيوت وقصور الملوك وميادين الأسواق ودور الكتب العامة ودكاكين الوراقين الى أماكن للتعليم ، حتى بنيت المدارس المنتظمة ورتب لها المدرسون ، ووقفت عليها الحبوس التي تضمن لطلابها ومدرسيها الأرزاق الشهرية والجرايات اليومية ٠٠ على أن ذلك لم يكن الا بعد منتصف القرن الخامس الهجرى - أى قبل وفاة « أبى نعيم » -

ويقال : ان أول من سن هذه السنة الحسنة هو « نظام الملك » وزير السلطان « الب أرسلان » ثم وزير ابنه « ملكشاه » حيث بنى مدرسته الكبرى ببغداد سنة ٤٥٧ هـ التي استقبلت الطلاب بعد ذلك بعامين .

ويقال : ان أول من فكر فى ذلك « البيهقى » صاحب المدرسة البيهقية ، و « البيهقى » توفى سنة ٤٥٠ هـ . وقد أنشأها قبل أن يولد « نظام الملك » .

ويقال : ان أول مدرسة أنشئت هى المدرسة السعيدية بنيسابور، بناها الأمير « نصر بن سبكتكين » أخو السلطان « محمود » حين كان واليا بها (١) .

ولكن تأخر ظهور المدارس لا يعنى تأخر العلم ، فقد نهض العلم منذ نشأة الاسلام نهضة كبرى ، وساعد على نهوضه عناية الخلفاء الأمويين والعباسيين - استجابة لدعوة الاسلام فى ذلك - بأمره واهتمامهم به وثابتهم العلماء وتكريمهم واغداق العطاء لهم ،

(١) راجع فى ذلك : الادب العربى وتاريخه فى العصر العباسى
لحمود مصطفى ص ٣١٢ .

حتى أصبح العلم - كما يقول المرحوم « محمود مصطفى » - وقد سمقت غروسه وطالت اغصانه وامتدت ظلاله واينعت ثماره .

واذن فقد كان المعهد الذى كان « أبو نعيم » يقصده ليتلقى فيه العلم هو مسجد المدينة الجامع .

ولابد له - اذن - أن يتلقى علوم عصره ، يدل على ذلك تقدمه فى كثير منها حتى أصبح - كما سنعرف بعد - فى الحديث ثقة من ثقاته ، وفى الفقه علما من اعلامه ، وفى التاريخ راوية من رواته ، وفى التصوف رجلا من رجالاته .

ومن المشاهد أنه لا ينبغي أحد فى هذه العلوم الا اذا كان نابغا فى غيرها من الفروع ، ذلك لشدة الارتباط بين العلوم ، ولم يكن للتخصص الذى ساد بعد ذلك مكان . ولنا أن نعرف أن أغلب العلوم التى ظهرت فى الاسلام لم تظهر الا لغرض واحد هو خدمة القرآن الكريم والاسلام .

كان القرآن الكريم - كما يقول الدكتور الخربوطلى - محور الدراسات الدينية خاصة والدراسات الاسلامية المنوعة عامة ، فقد أصبح هم الناس تلاوته وتفهم أحكامه ، ومن هنا نشأ علم الأحكام وعلم التفسير ، واستدعى ذلك العلم بالحديث ومصطلحه والفقه وأصوله ، والنحو والاعراب والبلاغة والنقد ، بل استدعى ذلك ظهور علمين توأمين هما فقه اللغة « الفيلولوجيا » وكتابة المعاجم « اللكسيكوجرافيا » وليس من شك فى أن الاسلام « صاحب الفضل الأول على الدراسات العقلية والأدبية والعلمية فى الدولة العربية الاسلامية » وقد رفع مستوى العرب العقلى ونشر بينهم كثيرا من أحوال الأمم الأخرى وتاريخها . فهيح النفوس الى الاستزادة ، وتعرف على ما عند الأمم منها ، فكان فى ذلك نوع من الثقافة افاد

المسلمين ووسع مداركهم ، وأدى ذلك الى ظهور علم التاريخ وما يتصل به من قصص وأخبار وتراجم « (١) » .

وكان الجو الذى يتنفس فيه « أبو نعيم » مشبعاً بالعلم منذ ولادته ، فقد ولد فى خلافة « ركن الدولة بن بويه » الذى كان حاكماً على « أصبهان » و « الرى » و « همذان » وجميع مدن العراق العجمى ، وكان ملكاً جليلاً مهيباً تمكن من ضسبب البلاد وتقرير قواعدها ، كما كان له شأن مذكور فى تقريب العلماء وتكريمهم والحث على العلم ونشره .

ذكر « ابن خلكان » فى ترجمته أنه استوزر « ابن العميد » وناهيك بأبن العميد فضلاً وعلماً ومقدرة ، وبه يضرب المثل فى الأدب وجودة التعبير ، فيقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بأبن العميد ، وكان يسمى « الجاحظ » الثانى . توفى « ركن الدولة بن بويه » سنة ٣٦٦ هـ بالرى ، بعد ملك دام أربعاً وأربعين سنة ، وتولى بعده ولده « مؤيد الدولة أبو منصور » البويهى الذى استوزر أيضاً علماً من أعلام الأدب هو « صاحب بن عباد » .

وقد نضجت العلوم على اختلاف أنواعها فى أيام بنى بويه ، وهى مدة تزيد على قرن من الزمان ، وظهرت فى عهدهم الكتب الواقية خصوصاً فى اللغة وعلومها والتاريخ والأدب والطب والفلسفة . ويعد عصر بنى بويه العصر الذهبى للعلوم والتأليف ، وكانت بين دولتهم وبين غيرها من الدول التى استقلت عن الدولة الأم منافسات فى إكرام العلماء وترغيبهم فى التأليف خدمة للدين واعزاز شأنه ، فكان هؤلاء يؤلفون برسم الأمراء ، وكثرت المكتبات التى تحوى مئات الألوف من الكتب ومنها ما كان عاماً لطلاب العلم كمكتبة « ساپور بن أزدشير » وزير « بهاء الدولة بن بويه » وكان

(١) حضارة العالم الاسلامى ص ٢٥٦ .

ففيها أكثر من عشرة آلاف مجلد كلها مخطوط بخط الأئمة ، وكان المؤلفون يقفون عليها نسخا من مؤلفاتهم ، ومما يؤسف له أن هذه المكتبة احترقت ضمن ما احترق من محال الكرخ ببغداد عند دخول أول ملوك السلاجقة « طغرل بك » إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ (١) . ومنها ما كان خاصا كمكتبة « الصاحب بن عباد » التي سبقت الإشارة إليها .

كان عصر البويهيين هذا الذي نشأ في ظله « أبو نعيم » عصرا ذهبيا في التقدم العلمي ، وترك طابعه في مئات العلماء الذين عاشوا فيه ، وقد تنوعت معارفهم وتعددت مواهبهم ، وبرز الكثيرون منهم في علوم جمة ، فلم يكن طابع التخصص الذي عرف فيما بعد قد ظهر، بل الطابع الموسوعي هو الذي كان سائدا . ويجلس التلميذ بين يدي العالم فإذا به يجد عنده التفسير والحديث والنحو والفقه واللغة وغيرها من المعارف ، ولو حاولنا استقصاء العلماء الذين نبغوا في المدة التي عاشها « أبو نعيم » - وهي تقدر بقرن من الزمان يبدأ من الثلث الأول في القرن الرابع حتى نهاية الثلث الأول من القرن الخامس - لطال بنا الاستقصاء ، وحسبنا أن نذكر أمثلة مما أورده مؤرخ الاسلام الحافظ « شمس الدين الذهبي » في كتابه « دول الاسلام » عن العلماء الذين عمرت بهم البلاد الاسلامية منذ ولد « أبو نعيم الأصفهاني » في سنة ٣٣٤ هـ حتى توفي في سنة ٤٣٠ هـ .

فمن هؤلاء : الصوفي الكبير « دلف بن جحدر » المعروف بأبي بكر الشبلي الزاهد وهو تلميذ الجنيد وتوفي سنة ٣٣٤ هـ في العام الذي ولد فيه « أبو نعيم » .

والأديب المشهور « أبو بكر محمد بن يحيى الصولي » المتوفى سنة ٣٣٥

(١) الادب العربي وتاريخه لمحمود مصطفى ج ٢ ص ١٧ .

والحافظ « الهيثم بن كليب » صاحب المسند المتوفى سنة ٣٣٥ هـ
والفيلسوف « محمد بن محمد الفارابي » المتوفى سنة ٣٣٩ هـ
وشـيخ الحنـفية ببـخارى « عبد الله بن محمد بن يعقوب »
المعروف بالأستاذ المتوفى سنة ٣٤٠ هـ .

وشـيخ الشافعية بخراسان « أبو بكر بن اسحاق الصبغى »
المتوفى سنة ٣٤٢ هـ ، وقد أفتى نيفا وخمسين سنة ، وله تصانيف
عدة ، وكان كثير العبادة قواما ذا أخلاق حسنة .

و « أبو عمرو عثمان بن أحمد الدقاق » المعروف بابن السماك،
محدث بغداد وواعظها المتوفى سنة ٣٤٤ هـ .

وشـيخ الشافعية بمصر « أبو بكر محمد بن أحمد بن الحداد »
المتوفى سنة ٣٤٤ هـ وكان صواما متعبدا .

ومفتى خراسان « أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف
الطوسي الشافعى » وكان كبير الشأن توفى سنة ٣٤٤ هـ .

وشـيخ الشافعية ببغداد « أبو على بن أبى هريرة » تلميذ
« ابن سريج » توفى سنة ٣٤٥ هـ .

والمسعودى « على بن حسين » صاحب كتاب « مروج الذهب »
توفى سنة ٣٤٥ هـ .

ومحدث خراسان « أبو العباس الأصم محمد بن يعقوب بن
يوسف النيسابورى » المتوفى سنة ٣٤٦ هـ فى ربيع الآخر وقد أخذ
عن أصحاب « سفيان بن عيينة » و « ابن وهب » وهو من شيوخ
« أبى نعيم » .

وشيوخ الحنابلة « أبو بكر أحمد بن سليمان » الفقيه النجاشي
بيغداد المتوفى سنة ٣٤٨ هـ .

وشيوخ الشافعية بنيسابور « أبو الوليد حسان بن محمد »
الفقيه ، قال عنه الحاكم : هو امام الحديثين وأزهد من رأيت وأعبد ،
وخرج كتابا على صحيح مسلم توفى سنة ٣٤٩ هـ .

ومحدث العصر الحافظ « أبو علي الحسين بن علي »
النيسابوري المتوفى سنة ٣٤٩ هـ .

و « خالد بن سعد أبو القاسم » الحافظ أحد أركان الحديث
بالأندلس توفى سنة ٣٥٢ هـ وكان يحفظ الشيء من قراءته مرة
واحدة .

وحافظ أصبهان « أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة »
الذي يقول عنه « ابن منده » : ما رأيت أحفظ منه توفى سنة ٣٥٣ هـ .

وحافظ وقته « أبو بكر محمد بن عمر التميمي الجعابي » كان
يحفظ أربعمئة ألف حديث توفى سنة ٣٥٥ هـ .

والأديب العالم المشهور علامة أصبهان « أبو الفرج علي بن
الحسين الأموي » الأصبهاني صاحب كتاب « الأغاني » توفى سنة
٣٥٦ هـ .

ومسند الدنيا الحافظ « أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني »
الأصبهاني توفى سنة ٣٦٠ هـ .

والحافظ « أبو بكر بن السني » صاحب « النسائي » توفى
بالدينور سنة ٣٦٤ هـ .

وحافظ خراسان « الحسن بن محمد الماسر جرسى » صاحب
المسند الكبير المجلد توفى سنة ٣٦٥ هـ .

وشيوخ الزهاد المشهور « أبو القاسم إبراهيم بن محمد
النصر اباضى » النيسابورى توفى سنة ٣٦٧ هـ .

ومحدث أصبهان « أبو الشيخ الحافظ عبد الله بن محمد بن
جعفر بن حيان » توفى سنة ٣٦٩ هـ .

والمفسر شيخ الشافعية بخراسان « أبو سهل محمد بن سليمان ،
الصلوكى وكان اماماً عديم النظير توفى سنة ٣٦٩ هـ .

وشيوخ العلماء « أبو زيد المروزى » الشافعى الزاهد « محمد بن
أحمد » شيخ « أبى بكر القفال » توفى سنة ٣٧١ هـ .

وخطيب الخطباء المشهور المعروف بابن نباته الفارقى توفى
سنة ٣٧٤ هـ .

والعلامة « أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى ،
الأديب المصنف توفى سنة ٣٨٢ هـ .

و « أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد النسائى » الشافعى
توفى سنة ٣٨٢ هـ .

و « أبو الحسن الرمانى » النحوى المشهور صاحب المائة
مصنف توفى سنة ٣٨٤ هـ .

وحافظ العصر « أبو الحسن على بن عمر الدار قطنى » المتوفى
سنة ٣٨٥ هـ .

والحافظ « أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين البغدادى
الواعظ المفسر ومن كتبه التفسير - ألف جزء - والمسند - ألف
وثلاثمائة جزء - توفى سنة ٣٨٦ هـ .

والصوفى المشهور العالم « أبو طالب المكى » صاحب « قوت
القلوب » توفى سنة ٣٨٦ هـ .

و « أبو سليمان الخطابي » صاحب معالم السنن ، واسمه
« أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي » توفي سنة
٣٨٨ هـ .

وامام العربية « أبو الفتح عثمان بن جنى » الموصلى توفي سنة
٣٩٢ هـ .

وامام اللغة صاحب الصباح « أبو نصر اسماعيل بن حماد
الجوهري » توفي سنة ٣٩٣ هـ .

وحافظ « اصبهان » « أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن منده
العبدى » الذى سمع من ألف وسبعمئة شيخ توفي سنة ٣٩٥ هـ .

وزاهد العراق الشيخ « عثمان الباقلانى » توفي سنة ٤٠٢ هـ .

وعالم العراق القاضى « أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلانى »
المالكي الأصولى ، كان ورده عشرين ترويقة ، فاذا فرغ كتب من
تصنيفه خمسا وثلاثين ورقة ، وكانت له حلقة بجامع « المنصور »
عظيمة ، توفي سنة ٤٠٣ هـ .

وحافظ العصر « أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم »
المعروف بابن البيع النيسابورى توفي سنة ٤٠٦ هـ .

والصافى « أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك
الأصبهاني » توفي سنة ٤١٠ هـ .

ومحدث العراق « أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزقويه »
توفي سنة ٤١٢ هـ .

وشيوخ الصوفية بخراسان « أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين
ابن محمد بن موسى السلمى » صاحب طبقات الصوفية وغيرها .
توفي سنة ٤١٢ هـ .

ومحدث الشام « أبو القاسم ثمام بن محمد الرازى » توفى
سنة ٤١٤ هـ .

ومحدث اصبهان « أبو سعيد محمد بن على النقاش » الحنبلى
الحافظ توفى سنة ٤١٤ هـ .

وشيوخ الشافعية بخراسان « أبو بكر عبد الله بن أحمد القفال »
المروزى صاحب التصانيف ، وكان بارعا فى عمل الأقفال توفى سنة
٤١٧ هـ .

و « أبو اسحاق الاسفرايينى » الأصولى توفى سنة ٤١٨ هـ .
وعالم الأندلس ومفتيها وحافظها « أبو عبد الله محمد بن عمر
ابن الفخار القرطبى » كان يحفظ « المدونة » و « النوادر » لابن أبى
زيد ، وكان مجاب الدعوة ، ورعا مثملا عارفا بمذاهب الأئمة .
توفى سنة ٤١٩ هـ .

ومحدثا خراسان القاضى « أبو بكر أحمد بن الحسن الحبرى »
و « أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى » توفيا سنة ٤٢١ هـ .
و « أبو بكر أحمد بن محمد البرقائى الشافعى » قال « الخلال »
عنه : كان نسيج وحده . توفى سنة ٤٢٥ هـ .

و « أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى
الثعلبى » المفسر . توفى سنة ٤٢٧ هـ .

والحافظ « أبو بكر أحمد بن على الأصبهانى اليزدى » محدث
نيسابور صاحب التصانيف توفى سنة ٤٢٨ هـ .

وشيوخ الحنفية « أبو الحين أحمد بن محمد القدورى البغدادى »
توفى سنة ٤٢٨ هـ .

والرئيس « ابن سينا » توفى أيضا سنة ٤٢٨ هـ .

هذه طائفة من العلماء والزهاد والمحققين الذين اظلمهم العصر
الذى نبت فيه « أبو نعيم » .

وعلى الرغم من كثرة من ذكرناه الا أننا لم نستقص عددهم ،
لأنهم أكثر من أن يحصوا ، وفي ذلك دلالة على ازدهار العلم وكثرته
وانتشاره وتنوع فروعه ، ومن هؤلاء الذين ذكرناهم كثير من اقليم
اصبهان موطن « أبي نعيم » ، وقد وجد في المتقدمين منهم طلبته وفي
ظلمهم رغبته . .

ولا يستكثر القارئ ما قدمناه من أسماء هؤلاء العلماء الاعلام
ففى ذلك حفز للهمم واثارة للنفوس نحو الهدف العلمى الشريف .
وان أعظم ما يحرص عليه الانسان لبقاء الذكر وخلود الأثر انما
هو الحرص على طلب العلم والجهد فيه .

والمثل الأعلى رائد الطالب النابه ، وقد وجد « أبو نعيم » فى
نجوم عصره مثله الأعلى ، كما وجد فى جده « محمد بن يوسف
البنا » مثلاً أعلى كذلك جاء فى « طبقات الشافعية » : « كان جده
الشيخ الزاهد « محمد بن يوسف البنا » أحد مشايخ الصوفية وأحد
الاعلام الذين جمع الله لهم بين العلو فى الرواية والنهاية فى
الدراية . . » (١) وقد ترك ذلك طابعه من غير شك فيه ، كما وجد فى
أبيه العالم العامل صورة المثل الأعلى أيضا ، فغرس فى قلبه تطلعات
مشرقة الى الكمال الروحى والصفاء النفسى والنبوغ العلمى ، فكان
طلب العلم مقرونا بالعمل عنده ، بل أصبح غاية العلم فى نظره
الجزء الأسمى من الله والتقرب اليه . وهذا المفهوم الأسمى للعلم
منحه الله لبعض العلماء العاملين ومنهم « الحسن بن الهيثم »
المعاصر لأبى نعيم ، وقد أقام « ابن الهيثم » فلسفته على أساس أن

(١) طبقات الشافعية للسيبكي ج ٤ ص ١٨ .

التقرب الى الله تعالى لا يكون بشئىء اقوى من النظر والتفكير
والبحث ، وقد ولد « ابن الهيثيم » سنة ٣٥٤ هـ وتوفى سنة ٤٢٠ هـ .

شيوخه في طلب العلم :

دفع به أبوه في سن مبكرة الى يد المعلمين ، بل كان أبوه أول
معلم له ، فقد كان عالما جليلا له روايات عدة في الحديث الشريف ،
وترجم « أبو نعيم » لأبيه في كتابه « أخبار أصفهان » ترجمة تدل على
استفادته منه قال فيها : « عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن
مهران » وأسلم « مهران » مولى « عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن
جعفر بن أبى طالب » .

و « عبد الله بن أحمد » هذا أبى وكنيته « أبو محمد » وتوفى
في رجب سنة ٣٦٥ هـ ودفن عند جده من قبل أمه « محمد بن يوسف
البناء » الصوفى بمقبرة « روشاباد » .

كان مولده سنة ٢٣١ هـ - ومعنى هذا أنه كان من المعمرين
فقد امتدت حياته قرنا وثلاث قرن -

روى عن « أبى خليفة » و « عبدان » و « عبد الله بن ناجية »
و « الجندى » و « اسحاق الخزامى » و « ابراهيم بن متويه »
و « محمد بن يحيى بن منده » و « ابن رسته » .

ثم أورد بعض مروياته عن أبيه منها :

- حدثنا أبى - رحمه الله - ثنا « أبو خليفة الفضل بن
الحباب » املاء سنة ثلاثمائة ، ثنا « أبو الوليد الطيالسى » ، ثنا
« زهير بن معاوية » ، ثنا « على بن عبد الأعلى » عن « أبى سهل »
عن « مسه » عن « أم سلمة » قالت : كانت النفساء على عهد رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - تقعد بعد نفاسها أربعين يوما ، قالت :
وكانت احدانا تطلى الورس على وجهها من الكلف •

- حدثنا أبي ، ثنا « عبدان » من لفظه ، ثنا « أبو كامل » ،
ثنا أبو معشر البراء « عن « عبد الرحمن بن أسحاق » عن « عبد الله
ابن دينار » عن « ابن عمر » أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان
يتختم في يمينه •

- حدثنا أبي ، ثنا « عبد الله بن محمد بن ناجية » ثنا ،
« محمد بن يحيى بن أبي عمر » ثنا « عبد المجيد بن عبد العزيز بن
أبي رواد » عن « بلهط بن عباد » عن « محمد بن المنكدر » عن
« جابر » قال : شكونا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حر
الرمضاء فلم يشكنا ، وقال : استعينوا بلا حول ولا قوة الا بالله ،
فانها تذهب سبعين بابا من الضر أدناها الهم •

- حدثنا أبي ، ثنا محمد بن إبراهيم بن أبان السراج « ببغداد ،
ثنا « يحيى بن عبد الحميد » نا « فضيل بن عياض » عن « الأعمش »
عن « حبيب » عن « ثعلبة » عن « يزيد الحماني » عن « علي » قال .
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من كذب على متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار •

كانت سنه لا تجاوز السادسة حين أخذ يختلف الى حلقات
الدروس ، ولابد أن يكون أول شيء بدأ به هو القرآن الكريم كما هو
المتبع حينذاك •

وفي الثامنة من عمره - كما يقول « السبكي » في « طبقات
الشافعية » أخذ يتلقى دروس العلم على شيوخ لهم مكانتهم المرموقة ،
وعن طريق هؤلاء الشيوخ يمكن معرفة أي تلميذ هذا الذي يقدر له
الانتظام في حلقاتهم ••

كان شيوخه في هذه المرحلة من حياته هم :

١ - « عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس بن الفرّج » ولد سنة ٢٤٨ هـ ، وتوفي سنة ٣٤٦ هـ . روى عن « أبي مسعود أحمد بن الفرّات » و « هارون بن سليمان الخزار » و « وأحمد بن عصام » كان رجلاً صالحاً براً . قال « أبو نعيم » عنه في « أخبار أصفهان » : سمعت : ابن حيان « يقول : سمعت « أبا عمر القطان » يقول عن « عبد الله بن جعفر » : رأيت « عبد الله بن جعفر » في المنام - بعد موته - فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر ذنبي وأنزلني منازل الأنبياء . قال « أبو محمد » : وحكى لنا « أبو جعفر الحناط » قال : حضرت موت « عبد الله بن جعفر » فكنّا جلوساً عنده ، فقال : هذا ملك الموت قد جاء ، فقال له بالفارسية : اقْبُضْ رُوحِي كما تقبض روح رجل يقول تسعين سنة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وهذه شهادة صريحة بصلاح الرجل وتقواه وإقباله على ربه بقلب مطمئن ، فهو لم تفزعه رهبة الموت ولم يخفه هول المطلع .

وقد روى « أبو نعيم » عن شيخه « عبد الله بن جعفر » كثيراً من الأحاديث منها :

حدثنا « عبد الله بن جعفر » ، نا « اسماعيل بن جعفر » ثنا « عبد الملك بن مسلمة المصري أبو مروان » ثنا « إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر » سمعت عمي « محمد بن المنكدر » يقول : سمعت « جابر بن عبد الله » يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال « جبريل » قال الله تعالى : هذا دين ارتضيت له نفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق ، فأكرموه بهما ما صحبتموه .

– أخبار اصفهان – ترجمة عبد الله بن جعفر .

٢ – القاضي « أبو أحمد بن أحمد بن أحمد الغسال » وقد ترجم في كتابه « أخبار اصفهان » لمن اسمه « أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الغسال » قال وكنيته : أبو جعفر ولقبه « المعدل » وتوفي في شعبان سنة ٣٧٤ هـ .

واعتبزه من شيوخه وروى عنه أحاديث منها :

حدثنا « أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد » ثنا « عبد الله بن محمد بن عبد الكريم » ثنا « محمد بن غالب » ثنا « عمار بن هارون الثقفي » ثنا « اسماعيل بن الحسن » شيخ من أهل الشام ، ثنا « ابن عجلان » عن « أبي الزبير » عن « جابر » قال : أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – شاب ، فقال : يا رسول الله أشكو إليك الوحدة والوحشة فإنه لا زوجة لي ولا ولد واني في البيت أستوحش فيه وحدي ، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : فاتخذ زوجا من حمالك يؤنسك ويوحدان الله عز وجل (١) .

فلعله هو المقصود ، والمعروف أن الرجل قد تكون له أكثر من كنية .

٣ – « أحمد بن معبد السمسار » واسمه بالكامل : « أحمد بن جعفر بن أحمد بن معبد أبو جعفر السمسار » توفي سنة ٣٤٦ هـ .

روى عن « أحمد بن عصام » و « أحمد بن مهدي » و « أبي بكر بن النعمان » و « عبيد الغزال » و « يعقوب بن أبي يعقوب » .
وقد روى « أبو نعيم » عن شيخه هذا أحاديث كثيرة منها :

(١) أخبار اصفهان ج ١ ص ١٥٧ .

— حدثنا « أبو جعفر أحمد بن جعفر بن أحمد بن معبد » ثنا
« أحمد بن عصام » ، ثنا « وهب بن جرير » ، ثنا « عبيد الله بن عمر »
عن « نافع » عن « ابن عمر » أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
نهى عن أطام المدينة أن تهدم .

— حدثنا « أحمد بن جعفر » ثنا « أحمد بن عصام » ، ثنا
« أبو بكر الحنفى عبد الكبير بن عبد المجيد » ، ثنا « مالك بن انس »
عن « الزهرى » عن « انس بن مالك » أن رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاءه
رجل فقال : ان « ابن خطل » (١) متعلق بأستار الكعبة . قال :
اقتلوه .

— حدثنا « أحمد بن جعفر » ثنا « أحمد بن مهدى » ، ثنا
« يحيى بن صالح الوحاظى » ثنا « سليمان بن بلال » ، ثنا « العلاء
ابن عبد الرحمن » عن أبيه عن « أبى هريرة » أن رجلا جاء الى
النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا رسول الله ، أرايت ان جاء
لى رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : لا تعطه مالك . قال : أرايت ان
قاتلتنى ؟ قال : فقاتله . قال : أفرأيت ان قتلتنى ؟ قال : فانت شهيد .
قال : أفرأيت ان قتلتته ؟ قال : هو فى النار (٢) .

٤ — « أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر القصار » الفقيه ،
وكنيته « أبو بكر » توفى سنة ٣٩٩ هـ . تفقه على مذهب الامام
الشافعى — رضى الله عنه — وروى عن « أبى على بن عاصم »
و « عبد الله بن خالد الرازى » و « عبد الله بن جعفر » و « محمد بن
اسحاق بن عباد البصرى » (٣) .

(١) عبد الله بن خطل أكثر من هجاء المسلمين وإبدائهم فأمرد النبي دمه .

(٢) أخبار اصفهان ج ١ ص ١٤٩ .

(٣) أخبار اصفهان ج ١ ص ١٦٩ .

واقصر في ترجمته له في أخبار اصفهان على ما ذكر .

٥ - « أحمد بن بندار بن اسحاق أبو عبد الله الشعار » توفي سنة ٣٥٩ هـ ثقة ، قال عنه : وحين وفاته كنت غائبا عن البلد ، كان ظاهري المذهب ، يروى عن « ابراهيم بن سعدان » و « عبيد الغزال » و « عمر بن مرداس » و « محمد بن زكرياء » و « الخزاعي » .

قال : وروى أيضا عن جدى « محمد بن يوسف » و « ابن أبى عاصم » و « محمد بن أيوب الرازى » سمع كتب « ابن أبى عاصم » منه ، ودرس عليه المذهب وبمذهبه تمذهب .

ومن مرويات « أبى نعيم » عنه :

- حدثنا « أحمد بن بندار » ثنا « محمد بن زكرياء » ، ثنا « سليمان بن كراز » ، ثنا « عمر بن صهبان الأسلمى » عن « محمد ابن المنكر » عن « جابر » قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اطلبوا الخير عند حسان الوجوه .

- حدثنا « أحمد بن بندار » ثنا « الحسن بن ادريس » ثنا « ابراهيم بن سلم الرملى » ، ثنا « عبد الرحمن بن قيس الضبى » عن « عوف الأعرابى » عن « الحسن » عن « أبى هريرة » عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : لا تنقضى الدنيا حتى تخرج الشياطين من البحر يعلمون الناس القرآن .

- حدثنا « أحمد بن اسحاق » ثنا « محمد بن زكرياء » ثنا « القعبنى » ثنا « حسين بن ضميرة » عن أبيه عن جده عن « قيس ابن سعد » قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : رب الدابة أحق بصدرها .

- حدثنا « أحمد بن بندار » ثنا « الحسن بن ادريس العسكرى » ثنا « ابراهيم بن سهل الرملى » ، ثنا « داود بن المحبر » عن « صخر بن

جويرية « عن « نافع » عن « ابن عمر » قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله (١) .

٦ - « عبد الله بن الحسن بن بندار بن ناجية بن سدوس المديني » توفي في ربيع الآخر سنة ٣٥٣ هـ . حدث عن « محمد بن اسماعيل بن الصائغ » وعن « أسيد بن عاصم » و « أحمد بن مهدي » وغيرهم .

روى « أبو نعيم » عنه أحاديث عدة . منها :

- حدثنا « عبد الله بن الحسن بن بندار » ، ثنا « محمد بن اسماعيل أبو جعفر الصائغ » سنة إحدى وسبعين ومائتين ، ثنا « يعلى بن عبد الله » ، ثنا « محمد بن أسحاق » عن « أيوب السخيتاني » عن « أبي قلابة » عن « أنس » قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : للبكر سبعا وللثيب ثلاثا .

- حدثنا « عبد الله بن الحسن بن بندار » ، ثنا « على بن محمد بن سعيد الثقفي » ثنا « منجاب » ثنا « ابن الأجلح » ، ثنا « أبان بن تغلب » عن « عطية » عن « أبي سعيد الخدري » أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال حين مزق كسري كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يهلك كسري ثم لا يكون كسري بعده أبدا ، ويهلك قيصر ثم لا يكون قيصر بعده أبدا ، وتنفق كنوزهما في سبيل الله عزل وجل « (٢) .

٧ - « سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي أبو القاسم الطبراني » قدم أصبهان سنة تسعين ومائتين ، وخرج منها ثم قدمها ثانية فأقام بها محدثا ستين سنة « ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنة

(١) أخبار أصفهان ج ١ ص ١٢٨ .

(٢) أخبار أصفهان ج ٢ .

٣٦٠ هـ ودفن بباب مدينة « جى » قال « أبو نعيم » : وحضرت الصلاة عليه .

روى عنه « عبد الله بن أحمد » و « أبو خليفة الجمحى » و « أبو العباس بن عقدة » والمتقدمون ، وروى عن النجوم والأكابر .

ومن مرويات « أبى نعيم » عنه :

- حدثنا « سليمان بن أحمد بن أيوب » ثنا « يحيى بن عثمان ابن صالح » نا « محمد بن على بن غراب الكوفى » ، ثنا « قيس بن الربيع عن النضر بن محارب بن دثار » عن أبيه عن « جابر بن عبد الله » عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال نعم الادم الخل .

- حدثنا « سليمان بن أحمد » ، ثنا « يحيى بن عثمان بن صالح » ، ثنا « سعيد بن أبى مريم » ، ثنا « عبد الله بن فروخ » عن « ابن جريج » عن « عطاء بن أبى رباح » عن « أنس بن مالك » قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أكرموا بيوتكم ببعض صلاتكم .

- حدثنا « سليمان بن أحمد » ثنا « أحمد بن يحيى الحلوانى » ، ثنا « يحيى بن أيوب المقابرى » ، ثنا « عامر بن صالح » عن « هشام ابن عروة » عن أبيه عن « عائشة » قالت : كنت آكل مع النبى - صلى الله عليه وسلم - فجاء سائل ، فقلت : بورك فيك . فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - إذا وضع الطعام فلا عذر (١) .

٨ - « عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان » وكنيته « أبى

(١) أخبار اصفهان ج ١ ص ٣٣٥ .

محمد « توفي في سلخ المحرم سنة ٣٦٩ هـ . يعرف بأبى الشيخ .
 أحد الثقات الأعلام صنف في الأحكام والتفسير والشيوخ . وحدث
 عن « إبراهيم بن سعدان » و « محمد بن أسد » صاحب « أبى داود »
 وتوفى وله ست وتسعون سنة ، كان يقيد عن الشيوخ ويصنف لهم
 ستين سنة .

ومن مرويات « أبى نعيم » عنه :

— حدثنا « عبد الله بن محمد بن جعفر » ، ثنا « عبد الله بن
 زكريا » ، ثنا « اسماعيل بن عمرو البجلي » ، ثنا « مسعر بن كدام »
 عن « عبد الكريم » عن « طاووس » عن « ابن عباس » قال : سئل
 النبي — صلى الله عليه وسلم — من أحسن الناس قراءة ؟ قال : من
 اذا قرأ رأى أنه يخشى الله عز وجل .

— حدثنا « عبد الله بن محمد » ، ثنا « إبراهيم بن سعدان »
 ثنا « بكر بن بكار » ثنا « الجراح بن المنوال » ، ثنا « أبو الزبير »
 عن « جابر » قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : التسبيح
 للرجال والتصفيق للنساء .

— حدثنا « عبد الله بن محمد » ثنا عمر بن أحمد بن اسحاق
 الأهوازي ، ثنا « عبد الله بن معاذ » ، ثنا أبى عن « محمد بن
 طلحة » عن « زبيد بن مرة » عن « عبد الله بن مسعود » قال : خطب
 رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في هذا المسجد ، مسجد الخيف
 فقال : نضر الله امرءا سمع مقالتي هذه فحفظها حتى يبلغ غيره ،
 فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه غير فقيه ،
 ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم : اخلاص العمل لله والنصيحة
 لولاة الأمر ولزوم جماعتهم ، فان دعوتهم تحيط من ورائهم (١) .

(١) تاريخ اصفهان ج ٢ .

٩ - الجعابى وهو حافظ وقته « محمد بن عمر التميمى الجعابى » وكنيته « أبو بكر » قال « أبو عمر الهاشمى » : سمعته يقول : احفظ أربعمائة ألف حديث ، توفى سنة ٣٥٥ هـ (١) . قال عنه « أبو نعيم » انه قدم علينا سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . ولم يزد (٢) .

هؤلاء بعض شيوخه فى « أصفهان » مكث يتلقى العلم على أيديهم فترة تقدر بحوالى عشرين سنة ، وفى خلال هذه الفترة لابد أن يكون قد أتقن علوما جمّة ، ولكن التعطش للعلم يحمله على أن يترك مسقط رأسه ، فيطوف فى البلاد ويرحل الى أماكن عدة ويلتقى بشيوخ كثيرين وينهل من علوم النجوم فى كل مكان يحل فيه .
وحط رحاله فى بغداد سنة ٣٥٦ هـ .

وبغداد ان ذاك حاضرة البلاد وكعبة القصاد ، وفى أرجائها ازدهر العلم وآزر شطأه واستوى على سوقه ، فاقبل « أبو نعيم » على علماء بغداد يقطف من جناهم أطيب الثمار وأشهى الأكل .

التقى هناك بأبى بحر البريهارى وهو « محمد بن الحسن بن كوثر » وكنيته « أبو بحر » ، حدث عن « محمد بن الفرج الأزرق » و « محمد بن غالب التمتام » و « اسماعيل بن اسحاق القاضى » وغيرهم . ولد سنة ٢٦٦ هـ ، وتوفى سنة ٣٦٢ هـ (٣) .

والتقى بعبسى بن محمد بن أحمد بن عمر . المعروف بالطومارى وكنيته أبو على ولد سنة ٢٦٢ وتوفى سنة ٣٦٠ هـ ، وقد حدث عن

(١) دول الاسلام ج ١ ص ٢٢٠ .

(٢) اخبار اصفهان ج ٢ .

(٣) تاريخ بغداد .

« أبى الحارث بن أسامة و « الحسين بن فهم » و « محمد بن أحمد بن البراء » و « إبراهيم الحري » وغيرهم (١) .

وبعبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا المعروف بعبد الرحمن والد المخلص . والمخلص هو « محمد بن عبد الرحمن » أبو طاهر الحافظ البغدادي الذهبي المتوفى سنة ٣٩٣ هـ (٢) .

وبحبيب القزاز ، وهو « حبيب بن الحسن بن داود بن محمد أبو القاسم القزاز » سمع « أبا مسلم الكجي » و « عمر بن حفص السدوسي » و « محمد بن يحيى المروزي » وغيرهم من الثقات . وكان يؤثر عنه الصلاح . قال عنه « أبو نعيم » - فيما يرويه عنه « الخطيب البغدادي » : ثقة حسن المذهب مستور الحال . توفى سنة ٣٥٩ هـ (٣) .

كما التقى بكثير غير هؤلاء من أمثال : « أبى على بن الصواف » و « أبى بكر بن الهيثم الأنباري » و « ابن خلاد النصيبى » و « أبى سهل بن زياد » و « أبى بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي » وغيرهم .

وظل في بغداد زمنا ثم ولى وجهه شطر البيت الحرام في مكة ، حيث عكف مجاورا بها ، يسمع من علمائها ما عسى أن يروى ظمأه وينقع غلته ، والتقى هناك بعالم مكة المشهور : « أبى بكر الآجرى » .

وهو « أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى » الفقيه الشافعى المحدث صاحب كتاب « الأربعين حديثا » وهو مشهور به ،

(١) تاريخ بغداد

(٢) دول الاسلام ج ١ ص ٢٣٧ .

(٣) تاريخ بغداد .

وكان صالحاً عابداً ، روى عن « أبي مسلم الكجى » و « أبي شعيب
الحرانى » و « أحمد بن يحيى الطوائى » و « الفضيل بن محمد
الجندي » كان ثقة صدوقاً ديناً ، وله تصانيف كثيرة ، توفي بمكة
سنة ٣٦٠ هـ . وروى عنه كثير من الحفاظ منهم « أبو نعيم » .

وقد ترجم له « ابن خلكان » في تاريخه ، وقال فيما يدل على
صلاحه أنه حينما توجه الى مكة قال : اللهم ارزقنى الإقامة فيها
سنة ، فسمع النداء يقول : بل ثلاثين سنة ، وقد كان (١) .

والتقى كذلك بغيره من العلماء ، وما أكثر علماء مكة ان

ذاه .

ثم رحل الى البصرة ، والتقى هناك بعلمائها من أمثال
« فاروق بن عبد الكريم الخطابي » و « محمد بن مسلم العامري » .

ثم ولى وجهه نحو الكوفة فالتقى هناك بعالمها الجليل « أبي
بكر عبد الله بن يحيى الطلحى » وجماعة من علمائها .

وتوجه بعد ذلك الى نيسابور ، وفيها التقى بأبي أحمد الحاكم
وهو « محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى المعروف بابن البيع »
امام أهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التى لم يسبق إلى
مثلها . قال عنه « ابن خلكان » : كان عالماً عارفاً واسع العلم ،
تفقه على المذهب الشافعى وقرأ على « أبي على بن أبي هريرة »
الفقيه ، ثم طلب الحديث ، وغلب عليه واشتهر به ، ومعجم شيوخه
يقرب من ألفى رجل ، وصنف في علوم الحديث ما يبلغ ألفاً وخمسمائة
جزء ، منها الصحيحان ، والعلل ، والأمالى توفي سنة ٤٠٥ هـ (١) .

(١) طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٧٥ .

والتقى كذلك بحسينك التميمي ، وهو « الحسين بن علي بن محمد بن يحيى أبو أحمد التميمي النيسابوري » . يقال له حسينك بفتح النون وسكون الكاف ، ويعرف أيضا بأبن منينه ، تربى في حجر الامام « أبي بكر بن خزيمة » وكان يقدمه على أولاده ، سمع من ثقات عصره وأئمتهم ، وروى عنه « البرقاني » و « الحاكم » وجماعة . قال « الخطيب البغدادي » عنه : كان ثقة حجة . توفي في ربيع الآخر سنة ٣٧٥ هـ (١) .

والتقى بأصحاب « السراج » فمن بعدهم .
ثم قفل راجعا الى « اصبهان » بعد رحلة استمرت أربعة عشر عاما في سبيل العلم . بدأت بعام ٣٥٦ هـ وانتهت بعام ٣٧٠ هـ .
كان العلماء الذين التقى بهم « أبو نعيم » في رحلته من جملة العلماء الذين اتسعت معارفهم وتعددت مواهبهم .
وكان قد سلخ من عمره حين عاد الى مسقط رأسه أربعة وثلاثين عاما أو ستة وثلاثين عاما ، وهي فترة كافية لأن تجعله من المشهورين الذين يقصدهم الناس ليفيدوا من علمهم وتجاربهم .
وهكذا أصبح « أبو نعيم » مقصد الطلاب والمتعلمين من كل قطر ، وأصبح مرحولا اليه بعد أن كان راحلا . قال « الذهبي » في تذكرة الحفاظ : رحلت الحفاظ اليه لعلمة وحفظه وعلو أسائده ، وروى عنه كثيرون من كبار الأئمة المذكورين منهم :
« كوشيار بن لياليزور الجيلي » ومات قبله ببضع وثلاثين سنة .

و « أبو بكر بن أبي علي الذكواني » .

(١) طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٧٥ .

- و « أبو سعيد الماليني »
- ومن الحفاظ « الخطيب البغدادي »
- و « أبو صالح المؤذن »
- و « أبو علي الوخشي »
- و « أبو بكر محمد بن إبراهيم العطار »
- و « سليمان بن إبراهيم »
- و « هبة الله بن محمد الشيرازي »
- و « محمد بن الحسن البكري » بآمل
- و « بنجير بن عبد الغفار » بهمدان
- و « أبو بكر محمد بن سبأسي » القاضي وجماعة بالري
- و « أبو بكر الأرموي » بتنيس
- و « أبو بكر السمنطاري » بصقلية
- و « أبو عمرو بن الضابط » بالأندلس
- و « نوح بن نصر الفرغاني »
- و « يوسف بن الحسن التفكري »
- و « أبو الفضل حمد الحداد » وأخوه « أبو علي المقرئ »
- و « عبد السلام بن أحمد » القاضي المفسر
- و « محمد بن بيا »
- و « أبو سعيد المطرز »
- و « غانم البرجي »

و « أبو منصور محمد بن عبد الله الشروطي » ، وخلق كثير
سمع من هؤلاء منهم « السلفي » الحافظ المشهور ، وقد ذكرت المصادر

المختلفة أسماء أولئك الذين ذكرناهم ،ومن هذه المصادر « تذكرة الحفاظ » للذهبي ، و « طبقات الشافعية » للسبكي .

ومن بين هؤلاء أعلام يشار إليهم بالبنان ، من أمثال « الماليني » وهو « أحمد بن محمد بن أحمد » أحد الحفاظ الكثيرين في الحديث ، والرحالة الكثيرين من التجوال في الآفاق طلبا للعلم . روى عن « أبي نعيم » وعن « ابن عدي » توفي سنة ٤١٢ هـ (١) .

ومن أمثال « الخطيب البغدادي » وهو الحافظ « أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت البغدادي » صاحب كتاب « تاريخ بغداد » المشهور وكان أحد الحفاظ المتقنين ، وعلى كثرة روايته عن « أبي نعيم » إلا أنه لم يترجم له في تاريخه ، وقد عد هذا من المأخذ عليه . توفي الخطيب سنة ٤٦٣ هـ (٢) .

« أما الحافظ « السلفي » فقد أخذ عن أخذوا عن « أبي نعيم » وهذا من أمارات النجاة . والسلفي هو « الحافظ أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد أحمد الأصفهاني » كان اماما حافظا متقنا ناقدا ثبتا دينا خيرا ، انتهى إليه علو الاسناد ، وروى عنه الحفاظ في حياته ، وله تصانيف عدة ، وكان أوحده زمانه في علم الحديث . توفي سنة ٥٧٦ هـ بالاسكندرية . أما ولادته فكانت سنة ٤٧٢ هـ باصبيهان(٣) .

شهادة العلماء له :

قال « الخطيب البغدادي » لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحافظ غير « أبي نعيم » و ، « أبي حازم العبدوي » . وقول « الخطيب » هذا

(١) حسن المحاضرة للسيوطي ص ١٤٨ .

(٢) الوفيات ح ١ ص ٤٦ .

(٣) الوفيات ح ١ ص ٥٣ .

له معناه ، ويقصد بالحفظ شدة الضبط والتحقيق والاحاطة والاتقان - وسيأتى تحديد مفهوم هذا اللفظ عند علماء مصطلح الحديث - ولا يمنع أن يكون هناك من أطلق عليه لقب الحافظ على وجه التكريم أو المجاملة . ومع ذلك لم يسلم « أبو نعيم » من نقد « الخطيب » الذى وجد من يرد عليه .

وقال « على بن الفضل » الحافظ - فيما يرويه « الذهبي » في « تذكرة الحفاظ » : قد جمع شيخنا « السلفى » أخبار « أبى نعيم » قسمى نحو من ثمانين نفسا حدثوه عنه .

ويكفى أن يكون للعالم المتقن هذا العدد من التلاميذ النجباء الذين أخذوا عنه ، مع تعدد بلادهم واختلاف أقطارهم ومشاربهم ، وفي هذا دلالة على علو منزلته وعظيم شهرته التى طبقت الآفاق . قسمع به القاصى والدانى ، ونهل من علمه القريب والبعيد .

وقال الحافظ « أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني » المتوفى في رمضان سنة ٤١٠ هـ قبل وفاة « أبى نعيم » بعشرين عاما ، وكان « ابن مردويه » من أئمة اصبهان . قال عن « أبى نعيم » :

كان « أبو نعيم » في وقته مرحولا اليه ، ولم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه ، وكان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ، فكان كل يوم نوبة واحد منهم ، يقرأ ما يريده الى قرب الظهر ، فإذا قام الى داره ربما كان يقرأ عليه في الطريق جزء ، وكان لا يضجر ، ولم يكن له غذاء سوى التصنيف أو التسميع . روى ذلك « السبكي » في طبقات الشافعية ، ورواه أيضا « الذهبي » في تذكرة الحفاظ .

وهذا التقرير من هذين العلمين الجليلين يفيد صبر « أبى

نعيم « على العلم ونهمه في طلبه ، والعلم كما يقول « الامام على » كرم الله وجهه يزكو على الانفاق ، وحقا ذلك فاحياء العلم مذاكرته ومدارسه ، وما أقبل العالم على علم باخلاص وحب الا أدناه من ناصيته وذلك له صعبه وأسلم له قياده ، وتفجرت أمامه ينابيع من الفهم والاستنباط والحكمة فيغرف من ذلك ما يشاء .

وهكذا كان « أبو نعيم » لا يدانيه أحد في عصره في علمه ، حتى قال « حمزة بن العباس العلوي » عنه : كان أصحاب الحديث يقولون : يقي « أبو نعيم » أربع عشرة سنة بلا نظير ، لا يوجد شرقا ولا غربا أعلى اسنادا منه ولا أحفظ منه .

وقال عنه « ابن النجار » : هو تاج المحدثين وأحد أعلام الدين .

إجازة العلماء له :

وقد ظفر « أبو نعيم » بإجازة العلماء الأجلاء المحدثين . والإجازة عند علماء مصطلح الحديث هي أن يأذن ثقة من الثقات لغيره بأن يروي عنه حديثا أو كتابا ، سواء أكان هذا الكتاب من تصنيفه أم كان يرويه عن شيوخه بالاسناد الى مؤلفه . وتكون هذه الرواية بالأذن معتبرة وموثوقة بها ، وليس من شرط الإجازة أن يتصل هذا الشخص بمن أذن له اتصالا مباشرا (١) .

وأصبحت الإجازة هواية يبحث عنها العلماء بجهودهم ، أو يبحث لهم عنها من توسم فيهم الخير والنجابة ، وقد كان الآباء يحرصون على طلب الإجازة لأبنائهم من كبار الشيوخ في عصرهم ،

(١) دائرة المعارف الإسلامية - مادة إجازة .

ويعتبرون هذا شرفاً يعدون أبناءهم له ، وهدفاً يدفعونهم نحو تحقيقه واستئصاله .

وقد توسم والد « أبى نعيم » فى ابنه خيرا ، فاستجاز له طائفة من شيوخ العصر فى أقطار مختلفة منهم :

- « أبى محمد جعفر بن محمد بن نصير الخواص الخلقى » المشهور بـ جعفر الخلقى . بغدادى المولد والمنشأ ، صاحب « الجنيد ابن محمد » وعرف بصحبته كما صاحب « أبى الحسين النورى » و « رويما » و « سمنون » و « أبى محمد الحريرى » وغيرهم من مشايخ الوقت ، وكان المرجع اليه فى علوم الصوفية وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم . قال : عندى مائة ونيف وثلاثون ديوانا من دواوين الصوفية ، وكان من أفتى المشايخ وأجلهم وأحسنهم قولاً ، حج قريباً من ستين حجة ، وتوفى ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

وكانت له روايات فى الحديث وسند متصل بالرواة ، ومن كلامه الذى يدل على بصيرة وذوق قوله : لا يجد العبد لذة المعاملة مع لذة النفس ، لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التى تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق . وقال : الفرق بين الرياء والاخلاص أن المرأى يعمل ليرى والمخلص يعمل ليصل . ومما يدل على فتوته قوله : سعى الأحرار لآخوانهم لا لأنفسهم (١) .

والاجازة التى ظفر بها « أبى نعيم » من « الخلقى » هنا لا بد أن تكون متصلة بما قاله أو رواه فى علوم التصوف وكلام القوم فيه .

- ومنهم « خيثمة بن سليمان الأطرابلسى » محدث الشام

(١) طبقات الصوفية للسلمى ط الشعب .

وعالمها الذى لا يكاد يدانى ، وقد بارك الله فى عمره ، وانتفع بعلمه خلق كثير ، وقد توفى سنة ٣٤٣ هـ عن ثلاث وتسعين سنة ، وقيل : بل تجاوز المائة كما حدث بذلك « الذهبى » فى كتابه « دول الاسلام » (١) .

— ومنهم محدث خراسان « أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم » النيسابورى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ عن مائة سنة ، وقد حمل عن أصحاب « سفيان بن عيينة » و « عبد الله بن وهب » وغيرهما ٠٠ (٢) .

وغيرهم من نجوم عصورهم من أمثال : « عبد الله بن شاذب » فى واسط و « أبى سهل بن زياد » فى بغداد .

لقد حرص الأب على أن يضمن لابنه مستقبله العلمى ، فظفر له باجازه هؤلاء الذين توفوا قبل أن ينضج التلميذ ، ولكنه تفاؤل وتوسم للخير وفراسة صادقة حالفها التأييد .

ولم يقدر لأبيه أيضا أن يرى نبوغ ابنه فى اصبهان بعد رجوعه اليها فقد مات الأب سنة ٣٦٥ هـ فى أثناء غيبة الابن مجاهدا فى سبيل العلم والتفوق فيه ٠٠

(١) ح ١ ص ٢١٣ .

(٢) دول الاسلام ح ١ ص ٢١٤ .

مذهبـه

تفقه « أبو نعيم » على مذهب الامام « الشافعى » - رضى الله عنه - وكان هذا المذهب قد انتشر فى أقطار الأرض من مصر التى اختارها « الشافعى » مقرا لها حتى وصل الى فارس ، وكان مذهب الامام « أحمد بن حنبل » فيها •

وقد درس « أبو نعيم » المذهب الشافعى على كثير من أئمتـه الذين عاصـرهم وسبقت الاشارة الى بعضهم •

وكان الامام « الشافعى » قد رحل اليه العلماء من مختلف الأقطار ونقلوا عنه ، وعنهم انتشر مذهبـه فى الآفاق • جاء فى «وفيات الأعيان» وفى « حسن المحاضرة » للسيوطى قال « ابن عبد الحكم » : لما حملت أم الشافعى به رأت كأن « المشتري » خرج منها حتى انقض بمصر ثم وقع فى كل بلدة منه شظية ، فتأول أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص أهل مصر ثم يتفرق فى سائر البلدان • ويقال ان الأثر الذى يقول : عالم قريش يملأ طباق الأرض علما يعنى به « الشافعى » •

جاء في « طبقات الشافعية » ح ١ : « وأعلم أن أصحابنا تفرقوا بتفرق البلاد فمنهم أصحابنا بالعراق ، ومنهم أهل فارس . قال الأستاذ « أبو منصور البغدادي » : ولم يبرحوا شافعية أو ظاهرية على مذهب « داود » والغالب عليهم الشافعية ، وهى مدائن كثيرة ، قاعدتها « شيراز » ، ونحو مائة منبر - يعنى مائة مدينة - فى بلاد « أذربيجان » وما وراءها يختص بالشافعية ، لا يستطيع أحد أن يذكر فيها غير مذهب « الشافعى » ، ومنهم خلائق من بلاد آخر ، من بلاد الشرق على اختلاف أقاليمه واتساع مدنه ، كسمرقند وبخارى وشيراز وجرجان والرى وأصبهان وطوس وسأوة وهمذان . . . وغير ذلك من المدن الداخلة فى أقاليم ما وراء النهر . . . وكل هذه كانت تحتوى على مدائن تقرر العين وتسرى القلب الى حين قدر الله تعالى ، وله الحمد على ما قضاه من خروج جنكيز خان . فاهلك البلاد والعباد . . . »

وقال « السيوطى » فى « حسن المحاضرة » : قال الامام « أحمد » : ان الله تعالى يقيض للناس فى كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنة وينفى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكذب ، فنظرنا فاذا فى رأس المائة « عمر بن عبد العزيز » وفى رأس المائتين « الشافعى » (١) .

ولم يكن علم « الشافعى » قاصرا على الفقه ، ولكنه تناول غير ذلك من الحديث والتفسير وأصول الفقه والكلام وغير ذلك من العلوم اللسانية العقلية ، وله كتب فى مختلف فروع العلم . قال « ابن خلكان » فى « وفيات الأعيان » : كان « الشافعى » كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين اجتمعت فيه العلوم بكتاب الله وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكلام الصحابة - رضى الله

(١) حسن المحاضرة ح ١ ص ١٢٢ .

عنهم - وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر - حتى ان « الأصمعي » مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين وأخذ عنه شعر « الشنفرى » - ما لم يجتمع في غيره • وقال « أحمد بن حنبل » : ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست « الشافعى » : وقال « عبد الله بن أحمد بن حنبل » : قلت لأبى : أى رجل كان « الشافعى » فأنى سمعتك تكثر من الدعاء له ؟ فقال : يا بنى ، كان الشافعى « كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن ، وهل لهذين من خلف أو عنهما من عوض ؟

وقال « الكرابيسى ت ٢٠٤ » : ما كنا ندرى ما الكتاب ولا السنة ولا الاجماع حتى سمعنا « الشافعى » يقول ذلك (١) •

وللشافعى مؤلفات جمة في مختلف فروع العلم - كما قدمنا - منها « الرسالة » و « الأم » و « أحكام القرآن » و « اختلاف الأحاديث » و « إبطال الاستحسان » و « القياس » و « الحجة » وغير ذلك ، وله كتاب صغير الحجم كبير الفائدة اسمه « الفقه الأكبر » قال في مقدمته : هذا كتاب ذكرنا فيه ظواهر المسائل في أصول الدين التى لابد للمكلف من الوقوف عليها ، وقد تناول مختلف جوانب العقيدة والشريعة ، وتحدث فيه عن الالهيات والنبوات والسمعيات • كما تحدث فيه عن الامامة والأئمة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وان الخلفاء الراشدين اختيروا باجماع المسلمين ولا تجتمع الأمة على ضلالة •

والمتفقه من عامة الناس على مذهب من المذاهب يكفيه ما يعرفه من معالم المذهب الفقهي ليصحح بذلك عبادته ويقيم شعائر الدين •

(١) مقدمة ديوان الشافعى تحقيق د. محمد مبد المنعم خفاجى ص ١٩ .

أما إذا كان المتفقه في مثل « أبى نعيم » فلا بد من أن يحيط بآراء صاحب المذهب وأفكار مذهبه وأسراره ودقائقه وتفصيلاته حتى يصبح حجة فيه . وكذلك كان « أبو نعيم » .

لقد تمكن من مذهب الامام « الشافعى » وتمرس به فكرا وعملا وسلوكا .

ولقد أرخت له كتب الطبقات التى تعنى برجال المذاهب ، وأفرد له « السبكى » - كما سبق - فى « طبقات الشافعية » صفحات طوالا ، ويدل ذلك على أنه وصل الى غاية بعيدة فيه .

وعقيدة « أبى نعيم » نابعة من مذهبه « الشافعى » فهو امام من أئمة أهل السنة ، وأعجب برأى الأشاعرة فاعتنقه ، وبسبب هذه العقيدة الأشعرية كانت هناك خصومة بين « أبى نعيم » و « ابن منده » .

وجدير بالقول أن عقيدة الأشاعرة هى العقيدة الوسطى بين التعطيل والتشبيه ، وهى منسوبة الى الامام « أبى الحسن الأشعرى » المتوفى سنة ٣٣٢ هـ .

وقد قال بعض الشعراء فى هذه العقيدة والمنتسبين اليها :

الأشعرية قوم قد وفقوا للمصواب
لم يخرجوا فى اعتقاد عن سنة وكتاب

وقال المرحوم « عبد المتعال الصعدي » فى كتابه « الوسيط فى تاريخ الفلسفة الاسلامية » فى تحليل ظهور الأشاعرة :

« كان المسلمون فى حاجة الى مذهب وسط بين المذهبين - يعنى مذهب المعتزلة الذين كانوا يرون أن مذهبهم هو الدين الصحيح الذى يجمع بين العقل والنقل ومذهب أهل السنة الذى يقف عند النقل

ولا يعترف للعقل الا بسلطة ضيقة لا تتجاوز تسويغ الاستدلال به في العقائد بعد دليل النقل ، لأن دليل النقل هو الأصل في الدين – فجاء الأشعرى بهذا المذهب الذى لا يغلو في سلطة العقل كما غلا المعتزلة . ولا يتهيب الاستعانة بالعقل في تأويل بعض أدلة النقل ، اذا لم يكن ظاهرها مقبولا كما تهيب اهل السنة ، ولا يتخرج مثلهم من الاستعانة بالنظريات العلمية في حدودها المقبولة ، ولا من الجدل في الدين والعقائد . . جاء هذا المذهب خاليا من افراط المعتزلة ومن تفريط اهل السنة» (١) .

كان الحنابلة يحملون لواء السنة ويتعصبون لها حتى وقفوا وقفة جامدة أمام بعض النصوص التى تحتاج الى تأويل .

الخلاف بين أبى نعيم وابن منده :

وقد عاصر « أبو نعيم » كلا من « أبى عبد الله محمد بن اسحاق محمد بن يحيى بن منده وابنيه عبد الوهاب وعبد الرحمن » ، وقد توفى الأب سنة ٣٩٥ هـ أما ولده « عبد الوهاب » فقد ولد سنة ٣٨٦ هـ وامتد به العمر حتى سنة ٤٧٥ هـ ، وتوفى عبد الرحمن سنة ٤٧٠ هـ .

وقد ترجم القاضى « أبو الحسن بن أبى يعلى » فى كتابه « طبقات الحنابلة » « لأبى عبد الله محمد بن منده » الذى امتدت معاصرته لأبى نعيم حيث عاشا معا فترة واحدة تقدر بستين عاما تقريبا . وقرأ « ابن منده » على بعض العلماء الذين قرأ عليهم « أبو نعيم » وكان « ابن منده » كصنوه « أبى نعيم » فى كثرة الرحلات فى طلب العلم حتى قال : كتبت عن ألف وسبعمائة شيخ (٢) .

(١) الوسيط ص ٨١

(٢) طبقات الحنابلة ج ٥ ص ١٦٧ .

وكان آل منده حنابلة ، وكان « أبو نعيم » شافعى المذهب وعقيدته أشعرية .

وربما نشأت خصومة بين الأشاعرة والحنابلة امتد أثرها الى التلاميذ والعلماء حتى قدح كل من هؤلاء في هؤلاء . وقد تصلل الخصومة أحيانا الى حب الانتصار للرأى . وهذه من آفات الهوى .

ولا نغالى اذا قلنا : ان الخلاف بين العلماء عامة كان قد اشتعل منذ حين ، حتى حمل بعض الخلفاء لواء التعصب لبعض الآراء ، وأرادوا حمل العلماء عليها ، والتاريخ يذكر لنا كيف تعرض الامام « أحمد بن حنبل » وبعض العلماء معه لمحنة قاسية حين أراء « المأمون » أن يكرههم على القول بخلق القرآن ، وسبق الامام « أحمد » مقيدا ووضع في السجن ولقى من التعذيب والتنكيل شيئا كثيرا ، ولكنه لم يستجب الى ما أرادوا حمله عليه . قال الدكتور « محمد مصطفى هدارة » : « نواه - أى المأمون - يبعث الى عامله على بغداد « اسحاق بن ابراهيم الخزاعى » كتابا يطالب فيه بامتحان القضاة والمحدثين في موضوع خلق القرآن ، اذ أنه يرى من واجبه تصحيح عقائد الناس الفاسدة الذين يرون أن القرآن قديم » (١) .

وهكذا يتبنى الخليفة رأى المعتزلة ويريد حمل الناس عليه بالقوة ، ولم تنته هذه الفتنة بوفاة « المأمون » ولكنها استمرت بعده ، فقد حمل لواءها « المعتصم » ثم « الواثق بالله » الذى قتل في ذلك « أحمد بن نصر الخزاعى » الشهيد من أهل السنة لكونه أغلظ للواثق ، وقال له : مه يا صيى ، وكان الخزاعى اماما قوالا بالحق أمارا بالمعروف ، وقام معه خلق من المطوعة ، وصار لهم قوة ومنعة

(١) المأمون الخليفة العالم ص ١٢٨ - أعلام العرب .

فخاف « الواصل » من غائلة ذلك » (١) .

وقيل : ان الواصل « هو الذى ترك المحنة بخلق القرآن » (٢) .
وقيل ان الذى أبطلها « المتوكل » (٣) .

ولم يكن الخلاف بين العلماء قاصرا على ذلك ، ولكن هناك خلافات أنشأتها المذاهب السياسية ، وقد ذكر « الذهبى » فى كتابه « دول الاسلام » فى حوادث سنة ٤٠٧ هـ أن هناك فتنة ثارت بين السنة والشيعية بواسطة نهبت فيها دور الرافضة وأحرقت ، وفى حوادث سنة ٤٠٨ هـ حدثت فتنة كبرى ببغداد بين أهل السنة والرافضة وقتل عدد منهما ، وأطلقت النار فى سوق الدجاج ، ثم استتاب « القادر بالله » جماعة من أهل الرفض والاعتزال ، وأخذ خطوطهم بالتوبة ، وبعث الى السلطان « محمود بن سبكتكين » صاحب « خراسان » يأمره بإشهر السنة فيأمر وفعل ، وقتل جماعة ونفى خلقا من الاسماعيلية والرافضة والمعتزلة والمجسمة ، وأمر بلعنهم على المنابر ، فظفروا بالدرزى الذى ادعى الهية « الحاكم » وقتلوه .

وهاجت هذه الفتنة مرة أخرى سنة ٤٢٢ هـ بين السنة والشيعية ببغداد وقتل عدة نفر ، وأشرف أهل الكرخ على التلف ، فركب الوزير والجند فوقتت بصدر الوزير آجرة وسقطت عمامة .

هذه الأحداث التى حكاها « الذهبى » شهدتها الفترة التى عاش فيها « أبو نعيم » فليس غريبا أن تتور خصومة بينه وبين « ابن منده » وكلاهما يميل الى مذهب يخالف الآخر . فالحنابلة - وهم

(١) دول الاسلام - ج ١ ص ١٣٩ .

(٢) دول الاسلام - ج ١ ص ١٤٠ .

(٣) دول الاسلام - ج ١ ص ١٤٩ .

يمثلون السنة – لا يقبلون بحال آراء المعتزلة ، وربما كان هناك تقارب بين المعتزلة والشيعة الذين أطلق عليهم « الذهبى » لقب الرافضة ، وأدى ذلك الى التنافر بين أهل السنة والشيعة ، ولم يقبل أهل السنة نظرية التوفيق التى دعا اليها « الأشعرى » لقد عارضها أهل السنة تماما فظلوا على موقفهم الذى أطلقوا عليه المنهج السلفى . مع أن الأشاعرة لم يخرجوا على هذا المنهج ، وكل ما هناك – كما سبقت الاشارة – أنهم حاولوا التوفيق بين العقل والنقل ٠٠

وربما كان هناك سبب آخر وراء هذه الخصومة ، هو ذلك السبب الذى من أجله حدث الخلاف بين الفقهاء والصوفية ٠ و «أبو نعيم » يميل الى التصوف ٠

وقد نشأ هذا الخلاف باقبال القرن الثالث الذى ازدهرت فيه الحركة الصوفية ، وانتقلت من طور العبادة والزهد الى طور التصوف النظرى وما أثمره من أذواق وأحوال ، وظهرت مدارس متعددة ومناهج متميزة ، ولكل مدرسة مريدون وشيوخ ، هنالك – كما يقال الدكتور ابراهيم بسيونى فى كتابه نشأة التصوف ص ١١٥ – « بدأت الخلافات تظهر بين أهل التصوف والفقهاء وظهرت حلقات الدروس والتناظر ، واتخذ التصوف طابع الحب ، الحب القائم بين العبد وربّه بعد تقلص الارادة الانسانية وذوبانها فى الارادة الالهية ، وأجاب الحب عن كل الأسئلة الخطيرة التى تتردد فى بيئات المتكلمين والفقهاء عن الجبر والاختيار ، والقضاء والقدر ، وعمل الله وعمل الانسان ، فاذا الحب قادر على حل كل هذه المشاكل ، مذهب لما ران على القلوب من يأس حاث للوجدان على مداومة التطلع واستمرار المسير حتى تفيض المعارف وتنال السعادة » ٠٠

كانت قضية الحب الالهى مثار خلاف بين الفقهاء والصوفية ، فقد قال الفقهاء : أن الشرع برىء من هذا الحب الذى يجاهر به

الصوفية ، لأن الحب لا يكون الا بين ند وند ، وليس هناك مساواة بين الخالق والمخلوق ، وحب الله انما يكون في اتباع نبيه - صلى الله عليه وسلم (١) - مصداقا لقوله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله » (٢) .

أما الصوفية فيقولون : ان الله دعا الى حبه صراحة في قوله تعالى « يحبهم ويحبونه » (٣) وقوله « والذين آمنوا أشد حبا لله » (٤) .

ويدعوهم الى اثبات هذا الحب عن طريق اتباع النبى - صلى الله عليه وسلم - فليس معنى الحب ترك العمل ، وقد نعى الامام « الشافعى » على مدعى الحب دون عمل حين قال :

﴿

تعصى الاله وأنت تظهر حبه

هذا محال فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته

أن المحب لمن يحب مطيع (٥)

وهناك قضية أخرى أثارت الاختلاف هى قضية الظاهر والباطن أو الحقيقة والشريعة ، فالفقهاء - ويمثلون علم الظاهر - يقولون : ليس غير الشريعة ، والصوفية ومن أدرك علومهم يقولون : ان هناك شيئا وراء الظاهر يسمى الباطن ، وأن للشريعة لها هو الحقيقة ،

(١) الأدب الصوفى فى مصر فى القرن السابع . د. على سافى حسين

ص ٩٥ .

(٢) آل عمران ٣١ .

(٣) المائدة ٥٤ .

(٤) البقرة ١٦٥ .

(٥) الديوان ص ٩١ .

وقالوا : ان علم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده » .

ولم يكن الفقهاء يرفعون لواء الخصومة ضد من غالى في حبه لله أو تفوه من الصوفية بألفاظ شاطحة فحسب ، بل رفعوه في وجه الجميع حتى من اشتهر من الصوفية بالاعتدال والتمسك بالسنة - وما من صوفي الا ووجد من الفقهاء من يناوئه .

فلا يبعد أن تكون الخصومة بين « أبى نعيم » و « ابن منده » من هذا القبيل ، على اعتبار أن « ابن منده » فقيه يمثل مذهب امام السنة « ابن حنبل » و « أبى نعيم » فقيه يميل الى رأى الصوفية ويحتضنه ويدافع عنه .

واذن فهناك دوافع متعددة للخصومة : الأشعرية - التشيع - التصوف ..

وربما كان من التجنى على الامام « أحمد » وهو رأس المذهب الحنبلي وصفه بالتزمت في موقفه من التصوف والصوفية ولكنه - والحق يقال - كان مرنا معهم ، يسألهم أحيانا ، ويقبل منهم ، ويثنى عليهم ، وينصح أبناءه بالجلوس معهم . حكى « الشعرائى » في مقدمة « الطبقات الكبرى » :

قائلا : « أذعن الامام « الشافعى » رضى الله عنه لشيبان الراعى ، حين طلب الامام « أحمد بن حنبل » أن يسأله عن نسي صلاة لا يدرى أى صلاة هى ، وأذعان الامام « أحمد » لشيبان كذلك حين قال « شيبان » : هذا رجل غفل عن الله - عز وجل - فجزأه أن يؤدب ، وكذلك يكفيننا أذعان « الامام أحمد بن حنبل » رضى الله عنه لأبى حمزة البغدادى الصوفى رضى الله عنه واعتقاده فيه حين كان يرسل له دقائق المسائل، ويقول : ماتقول في هذا يا صوفى ؟ وحكى الشيخ « قطب الدين بن أيمى » رضى الله عنه أن الامام « أحمد بن

حنبل « رضى الله عنه كان يحدث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه ويقول : انهم بلغوا فى الاخلاص مقاما لم يبلغه » .

وتذكر « دائرة معارف الشعب » فى مادة التصوف التى كتبها المرحوم الدكتور « أحمد الشرباصى » : قيل لأحمد بن حنبل رضى الله عنه ، ان « الحارث المحاسبى » يتكلم فى علوم الصوفية ويحتج لها بالآى والحديث ، فهل لك أن تسمع كلامه من حيث لا يشعر ؟ فقال : نعم . فحضر معه ليلة الى الصباح ، ولم ينكر من أحواله ولا من أحوال أصحابه شيئا . وقال : لأننى رأيتهم لما أذن بالمغرب تقدم فصلى ثم حضر الطعام ، فجعل يحدث أصحابه وهو يأكل ، وهذا من السنة ، فلما فرغوا من الطعام وغسلوا أيديهم جلس وجلس أصحابه بين يديه ، وقال : من أراد منكم أن يسأل عن شيء فليسأل ، فسألوه عن الرياء والاخلاص وعن مسائل كثيرة ، فأجاب عنها واستشهد عليها بالآى والحديث ، فلما مر جانب من الليل أمر « الحارث » قارئاً يقرأ فقروا فبكوا وصاحوا وانتحبوا ، ثم سكوت القارئ ، فدعا « الحارث » بدعوات خفاف ، ثم قام الى الصلاة ، فلما أصبحوا اعترف الامام « أحمد » رضى الله عنه بفضله وقال كنت أسمع عن الصوفية خلاف هذا ، استغفر الله العظيم .

وفى « طبقات الحنابلة » فى ترجمة « يحيى بن منده » ح ٣ ص ١٣٢ جاء : حدثنا « أبو حامد الخلفانى » قال : قلت لأحمد بن حنبل : ما تقول فى القصائد ؟ - أى السماع الذى يتواجد عليه الصوفية - فقال : فى مثل ماذا ؟ قلت : مثل ما تقول .

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من غيرى وبالعصيان تأتينى
(فما قولى له لـ يعصاتبنى ويقصصينى) (١)

(١) البيت الأخير ليس فى طبقات الحنابلة وهو من الحلية ، وذكرته لأنه يتضمن جواب الشرط .

قال : فرد الباب ، وجعل يقول :

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من غيرى وبالعصيان تأتىنى

فخرجت وتركته .

فترديد الامام « أحمد بن حنبل » هذا الشعر اقرار منه بفعل
الصوفية حين يسمعون ما يحرك خواطرهم الى الله .

قالوا : وكان للامام « أحمد » صحبة خاصة ببشر بن الحارث
الصوفى المشهور المعروف ببشر الحافى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ (١) .

والحقيقة أنه لا فرق بين الشريعة والحقيقة الا كما يكون الفرق
بين اللفظ ومعناه كلاهما متمم للآخر أو كما يقول المتصوفة : الشريعة
هى الشجرة والحقيقة ثمارها (٢) .

فالمنصف على ذلك لا يخاصم الصوفية الذين يحترمون
الشريعة ويعرفون لها حقها ولا يفرطون فيها قيد شعرة ، وما أثر عنهم
فى التعبير عن هذا المعنى يفوق الحصر .

وهذا الاستطراد الذى ذكرناه انما هو عرض لاحتمالات أسباب
الخلاف غير ما صرح به المؤرخون من أن الخلاف كان ناجما بين
الحنابلة والأشاعرة بسبب المذهب .

ويبدو أن أتباع أى مذهب كانوا لا يطبقون ظهور أى مذهب
سوى مذهبهم فى أصبهان حتى أن « ياقوت الحموى » فى معجمه أشار

(١) نفيسة العلم والمعرفة لصالح عزام ص ٣٦ ، والطبقات الكبرى
للشمرانى ح ١ ص ٥٧ .

(٢) اعلام التصوف الاسلامى - طه عبد الپافى سرور ح ٢ ص ٤٤ .

الى كثرة الخلافات التي كانت تنشب في اصبهان فقال : وقد نشأ
الخراب في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب .

على أن الخصومة بين « ابن منده » و « أبى نعيم » لم تتخذ
طابع العنف ، ولم تعد التفوه ببعض الألفاظ ، وكل ما قاله « أبى
نعيم » في حق « ابن منده » ما حكاه في ترجمته له في كتاب أخبار
اصفهان . وقد وصفه بأنه حافظ من أولاد المحدثين وأنه كتب - أبى
الحديث - بالشام ومصر وخراسان ، وقال عنه : اختلط في آخر
عمره فحدث عن « أبى أسيد » و « ابن أخى أبى زرعة » و « ابن
الجارود » بعد أن سمع منه أن له عندهم اجازة ، وتخطب أيضا في
أماليه ونسب الى جماعة أقوالا في المعتقد أن لم يعرفوا بها ، نسأل
الله جميل الستر والصيانة برحمته .

هذا نقد « أبى نعيم » لابن منده في كتابه ، وهو كلام يبين به
وجهة نظره في معاصر له ، ولا يعدم من يلتمس العذر وجها للماعتذار
عن « ابن منده » أن صح ما يقوله « أبو نعيم » فليس غريبا على
رجل سمع من ألف وسبعمائة شيخ أن يخلط بين بعض الأقوال
أحيانا ، ولكن هذا الخلط الذي يأتي عفوا لا يقدر في أهلية الرجل
للفضل واستحقاقه لكل ثناء ، وشهادة الفحول خير دليل على ذلك .

ولا يبعد أن يكون كلام « ابن منده » في « أبى نعيم » شبيها بذلك
وان كان قد وصفه بعضهم بأنه فظيع لا يحب أن يحكيه . .

هى خصومة لسانية مبعثها اختلاف الرأى أو المذهب على أى
حال ، ولم تصل الى ما وصلت اليه الخصومة التي لقيها « النسائي »
- مثلا - من معارضيه فقد ذهب - كما يقول « ابن خلكان » - الى
دمشق ، وكان يتشيع فسئل عن « معاوية » فأجاب اجابة لم ترض
السائلين ، فأذوه وأخرجوه من المسجد وضربوه وداسوه حتى كان
ذلك سببا في موته سنة ثلاث وثلثمائة .

و . النسائي « لا يجحد أحد فضله ، فهو « أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب الحافظ المشهور وأحد أئمة الحديث ، وله كتاب « الخصائص » في فضل « علي بن أبي طالب » رضي الله عنه - وأهل البيت ، وأكثر رواياته فيه عن « أحمد بن حنبل » وقد ألفه في دمشق لأنه وجد المنحرفين عن « علي » كثيرين فأراد أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب ، ولكنه كان سبب حقه .

ولعل النسائي « رحمه الله أراد أن يتأسى في ذلك بسلفين كريمين ، أحدهما « الليث بن سعد » رضي الله عنه حين رأى أهل مصر يتنقصون « عثمان » رضي الله عنه فحدثهم بفضائله فكفوا عن ذلك .

والثاني « اسماعيل بن عياش العنسي » حافظ الشام ومفتي حمص المتوفى سنة ١٨١ هـ . كان يحفظ عشرين ألف حديث . وجد « اسماعيل » أهل حمص يتنقصون « عليا » كرم الله وجهه فحدثهم بفضائله ، فكفوا عن ذلك .

لقد رزق الله هذين العلمين رجالا أحسنوا الاستماع والاقتناع ولكن النسائي رزقه الله الشهادة ، وهذا حسبه .

الا أن « النبهاني » في كتابه « جامع كرامات الأولياء » (١) يذكر أن الخصومة عنت بابي نعيم الى درجة أن خصومه أثاروا الناس عليه ، ومنعوه من الجلوس في المسجد لاملأه الحديث والوعظ ثم أخرجوه من البلد ، وقد أحققه ذلك ، فدعا عليهم فأنهم عليهم المسجد يوم الجمعة ، فمات تحت الردم جميع من قام عليه . فخرجوا اليه وردوه الى البلد ، فرجع ، ثم قاموا عليه ثانيا فقامت

(١) ح ١ ص ٢٩٢

فتنة فقتل ثلث البلد : ويحكى « البستاني » (١) هذا الحديث بصورة أخرى، فيقول « كان لأبى نعيم » كرامات وأن أهل أصفهان تعصبوا عليه ومنعوه دخول الجامع ، فاتفق أن السلطان « محمود بن سبكتكين » بعث عليهم واليا فقتلوه ، فمضى السلطان بنفسه وطمانهم حتى اطمأنوا وسكتوا ، ففي يوم الجمعة - وهم بالجامع - أمسك أبواب الجامع وأمر بهم فقتلوا كلهم الا « أبانعيم » لكونه لم يكن بالجامع .

وهذه القصة التى ذكرها « البستاني » لا تتفق وروح المروءة التى عرف بها السلطان « محمود » وليس فيها دلالة على كرامة « لأبى نعيم » لأن عدم وجوده بالجامع لا يمثل خرقا للعادة كما هو شأن الكرامة عادة . وهو أسلوب للتشكيك جرى عليه الكتاب المستشرقون ومن نسج على منوالهم .

ومما يدل على العنف فى الخصومة ما يحكيه « الذهبى » فى تذكرة الحفاظ عن بعضهم قال : حضرت مجلس « أبى بكر بن أبى على المعدل » فى صغرى مع أبى ، فلما فرغ من املائه قال انسان : من أراد أن يحضر مجلس « أبى نعيم » فليقم - وكان مهجورا - فى ذلك الوقت بسبب المذهب ، وكان بين الحنابلة والأشعرية تعصب زائد يؤدى الى فتنة وقال وقيل وصداع ، فقام الى ذلك الرجل أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام وكاد أن يقتل (٢) .

وعلق « العاملى » فى كتابه « أعيان الشيعة » (٣) على ذلك بقوله : هذا حال التعصب بين الحنابلة والأشاعرة ، فكيف تعصبهم

(١) دائرة المعارف البستاني ح ٢ ص ٢٦٥ .

(٢) تذكرة الحفاظ ح ٣ ص ١٠٩٢ .

(٣) ح ١ ص ٥ .

على الشيعة ؟ وكيف تقبل أحاديث هؤلاء وهم يحملون على من يدعو الى مجلس علم عظيم بسكاكين الأقالم لأنه يخالفهم في بعض الأمور الاجتهادية ؟ والى أى درجة بلغ حال الاسلام بحيث يكون حملة أحاديثه بهذه الصفة ؟ ١ هـ

ولم يعيش « العاملى » رحمه الله حتى رأى ما يحدث الآن من قتال دموى رهيب بين الشيعة أنفسهم حتى سالت الدماء أنهارا وعدد القتلى بالألوف واستعملت بين المتقاتلين أضرى الأسلحة وافتكها ، وما حال المسلمين في خلافاتهم الضارية اليوم بشيء يسر ولكنه شيء يقطر القلوب ويذهل العقول ويوجه المخلصين الى دعاء حار الى الله أن يكشف عنهم هذا الكرب الذى لن يفيد منه الا العدو ولن يخسر فيه الا المسلمون .

ان التعصب ممقوت أيا كان منشؤه ، ولا أفضل من مقارعة الحجة بالحجة والرأى بالرأى . وفي أمر الدين يقول الحق جلا وعلا « لا اكراه في الدين » البقرة ٢٥٧ .

وما أروع الامام الشافعى الذى يقول : « وددت أنى اذا ناظرت أحدا أن يظهر الله تعالى الحق على يديه » - الطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ٤٣ .

هل هو شيعى ؟

نسب قوم الى « أبى نعيم » أنه شيعى ، وربما استندوا في ذلك الى أن جده الأعلى « مهران » كان من موالى « عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب » ومولى القوم منهم كما يقولون . واستندوا في ذلك أيضا الى ترجمة كتب الشيعة له ، فقد جاءت

ترجمة له في كتاب « أعيان الشيعة » للعاملى وفي كتاب « روضات الجنات » للميرزا محمد باقر الموسوى .

ولكن « العاملى » صاحب « أعيان الشيعة » ينفى تشيع « أبى نعيم » ويقول : هو من علماء السنة الأشاعرة ، ولكنه ألف في فضائل أهل البيت وأكثر من ذكر ذلك في كتبه ، فاحتمل بعض العلماء تشييعه ولا يخفى عدم دلالة على ذلك . ونص « ابن شهراسوب » في كتابه « المعالم » على أنه من علماء السنة . وقال « العاملى » : وذكرناه في كتابنا لذكر بعض أصحابنا له ، وفي كتاب « حلية الأولياء » ما يدل على خلوص ولائه لأهل البيت .

وفي كتاب « رياض العلماء » يقول مؤلفه : ان « أبى نعيم » كان من محققى علماء أهل السنة ، ولكن سماعى من الأستاذ « محمد باقر المجلسى » أن الظاهر كونه من علماء أصحابنا . اهـ

وفي كتاب « روضات الجنات » يقول مؤلفه : « وممن اطلعت على تشييعه من مشاهير علماء السنة الحافظ « أبو نعيم » المحدث بأصبهان صاحب كتاب « حلية الأولياء » وهو من أجداد جدى ، وقد نقل جدى العلامة « محمد باقر المجلسى » تشييعه عن والده عن أبيه حتى انتهى إليه . قال : وهو من مشاهير محدثى العامة ظاهرا إلا أنه من خلص الشيعة في باطن أمره ، وكان يتقى ظاهرا على وفق ما اقتضته الحال . ولذا نرى كتابه المسمى بحلية الأولياء يحتوى على أحاديث مناقب أمير المؤمنين « على » عليه السلام ، مما لا يوجد في سائر الكتب ، ولما كان الولد أعرف بمذهب الوالد من كل أحد لم يبق في تشييعه شك .

وعن المولى « نظام الدين القرشى » قال : رأيت قبره في « أصبهان » مكتوبا عليه : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

مكتوب على ساق العرش لا اله الا الله وحده لا شريك له ، محمد بن عبد الله عبدى ورسولى ، وأيدته بعلى بن أبى طالب - رواه الشيخ الحافظ المؤمن الثقة العدل « أبو نعيم أحمد بن محمد بن عبد الله » سبط « أحمد بن يوسف البنا » الأصفهاني رحمه الله ، ورضى عنه ورفع فى أعلى عليين درجته •

وقال « العاملى » بعد أن أورد هذه الأخبار : ومع ذلك فدخلوه فى موضوع كتابنا غير متحقق ، وإن كان فيه انصاف فى ذكر المناقب، واستظهار تشيعه ليس الا لذلك الا أنه لا يصلح دليلا للجزم على تشيعه » اه •

أقول : وحديثه عن الامام « على » ومناقبه فى كتابه « حلية الأولياء » ليس دليلا على التشيع ولا نضا فيه ، فانه كما تحدثت عن فضائل الامام « على » فى كتابه تحدث كذلك عن الخلفاء الثلاثة السابقين - رضوان الله عليهم - بأسهاب ، وأبان عن مناقبهم وأشاد بفضائلهم •

ولكن المتيقن منه أنه صوفى ، وليس هناك مجافاة بين السنة والتصوف عند من يدرك حقيقة التصوف ، لأن التصوف مشيد بالكتاب والسنة كما يقول الامام الجنيد رضى الله عنه •

والمعروف أن هناك تعاطفا بين الصوفية وأهل البيت ، وهذا التعاطف ليس مبعثه السياسة كما هو عند الشيعة ، ولكن مبعثه الدين الذى يدعو الى مودة أهل البيت وحبهم لأن الله تعالى يقول « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » - الشورى ٣٣

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى •

وكان « أبو بكر الصديق » رضى الله عنه يقول : ارقبوا محمدا
فى أهل بيته .

فأبو نعيم كما يبدو فى تأليفه وأرائه ينزع عن قوس أهل السنة
والصوفية وهو غير شيعى فقد نفى عنه ذلك « العاملى » وهو
المتخصص فى هذا الشأن وصاحب الكتاب الضخم الذى يضم عشرات
الأجزاء عن أعيان الشيعة ، ولكنه متعاطف مع أهل البيت محب
لهم ، وعنايته بأخبار الامام « على » كرم الله وجهه ليست دليلا على
تشيعه ، لأن هناك مؤلفات كثيرة حول الامام « على » وأهل البيت
رضوان الله عليهم ، كتبها علماء سنيون أو صوفيون ، ومبعث كتابتهم
هو الحب الخالص للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأسرته المطهرة
التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرا .

وما كتب على قبر « أبى نعيم » لا يدل على تشيعه ، فمن المؤكد
أنه كتب بعد وفاته ، وكتبه لا يعرف أن جده المدفون معه اسمه
« محمد » وليس « أحمد » .

وعلى كل فالتشيع المعتدل الذى لا يخرج على نص ولا يجافى
المنطق ليس جريرة تنفى أو تهمة تدرا . وهناك أئمة شيعيون لهم
من الفضل المذكور والعلم المشهور ما تتحدث به الأخبار وتشيد به
التراجم والآثار .

وحب أهل البيت سمة كل فاضل من العلماء الذين تلقوا هذا
الحب عن التابعين فالصحابة المكرمين - جاء فى كتاب « أدب
الاختلاف فى الاسلام » للدكتور طه جابر فياض : رأى « ابن عباس »
رضى الله عنهما « زيد بن ثابت » يوما يركب دابته فأخذ بركابه
يقود به . فقال « زيد » تنح يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال : « ابن عباس » : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا . فقال

« زيد » : أرني يدك ، فأخرج « ابن عباس » يده ، فقبلها « زيد »
وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا (١) .

وقد أثر عن الامام « الشافعي » رضى الله عنه وهو من أئمة
السنة أنه قال :

يا راكبا قف بالمحصب من منى
واهتف بقاعد خيفها والناهض

سحرا اذا قاض الحجيج الى منى
فيضا كملتطم الفرات الفائض

ان كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أنى رافضى (٢)

والمعروف أنهم كانوا يطلقون على كل محب لأهل البيت أو
متشيع لهم لقب : الرافضى .

(١) ص ٦٧ .

(٢) ديوان الشافعي ص ٨٩ .

مجالات التفوق

نبغ « أبو نعيم » في مجالات مختلفة من العلوم ، ولكن هناك علوما بعينها كان له فيها قصب السبق من ذلك :

الحديث :

ولأبي نعيم الأصفهاني مؤلفات متعددة في الحديث ، بل اذا قلنا : ان تأليفه كلها عمادها الحديث لا نجافي الواقع ، لأنه يتخذ الحديث محور كتبه التي يؤلفها ..

ومن مؤلفاته في الحديث :

كتاب الأربعين في الحديث

كتاب أطراف الصحيحين أعنى البخارى ومسلم

كتاب الطب النبوى - أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم -
في الطب •

كتاب دلائل النبوة •

كتاب المستخرج على البخارى ، والمستخرج على مسلم
وله فى رجال الحديث والرواية كتاب معجم الشيوخ وكتاب
معرفة الصحابة •

وهى كتب ذات دلالة على مدى ما وصل اليه « أبو نعيم » من
حفظ وضبط وفهم واستنباط ، ومعرفة بالجرح والتعديل •

هذا عدا كتاب « حلية الأولياء » الذى روى فيه من الأحاديث
مالا حصر له واعتنى فيه بالأسانيد ••
٣٦٤، ٣٦٥

وقد ظفر « أبو نعيم » بتوثيق العلماء ، فقد قال عنه « الذهبى »
فى « تذكرة الحفاظ » : الحافظ الكبير محدث العصر •• تفرد بالسماع
من خلق كثير ورحلت الحفاظ الى باب له لعلمه وحفظه وعلو أسانيد •

وقد مر بنا قول « الخطيب » البغدادى عنه : لم أر أحدا أطلق
عليه اسم الحفظ غير « أبى نعيم وأبى حازم العبدوى » •

وقال « الذهبى » عنه فى « ميزان الاعتدال » : أحد الأعلام ،
صدوق تكلم فيه بلا حجة ، ولكن هذه عقوبة من الله لكلامه فى « ابن
منده » بهوى •

وقد مر بنا بيان وجه كلام كل من « أبى نعيم » و « ابن منده »
فى الآخر ••

فإذا كان هناك نقد وجه الى « أبى نعيم » من « ابن منده »
وجاء من بعده من قبل هذا النقد ، فليس ذلك بقادح فى « أبى نعيم »
لأنه كما قال « الذهبى » من فعل الخصومة بينهما ، والتحاسد بين
العلماء قديم ، والمنافسة بينهم شديدة ، والغيرة قد تشتت ببعضهم
الى غايات حرجة ، وقد أورد « الكسائى » « سيبويه » حقه بسبب
ذلك ، وقصتهما مشهورة فى تاريخ العلم والأدب •

هذا و « أبو نعيم » بشهادة نقاد الحديث جميعا حجة ثبت ،
وكما لا يقبل كلام « ابن منده » في « أبى نعيم » فذلك لا يقبل كلام
« أبى نعيم » في « ابن منده » وكلاهما عالم ثقة •

والذى يقوله « الخطيب » عن « أبى نعيم » : « رأيت لأبى نعيم
أشياء يتساهل فيها ، منها أنه يطلق في الاجازة أخبرنا ولا يبين »
وقد رد « الذهبى » على ذلك في ميزان الاعتدال بقوله : هذا مذهب
رآه « أبو نعيم » وغيره ، وهو ضرب من التدليس •

والتدليس عند علماء الحديث معناه كما جاء في « لسان
العرب » : أن يحدث المحدث عن الشيخ الأكبر وقد كان رآه الا أنه
سمع ما أسنده اليه من غيره من دونه ، وقد فعل ذلك جماعة من
الثقات -

ثم يقول صاحب « ميزان الاعتدال » : وكلام « ابن منده »
في « أبى نعيم » فظيع لا أحب مكاتبته ، ولا أقبل قول كل منهما في
الآخر ، بل هما عندى مقبولان ، ولا أعلم لهما ذنبا أكثر من روايتهما
الموضوعات ساكتين عنها •

وعلى كل فهذا نقد شديد ، لأنهما اذا كانا يعلمان بالوضع
فعليهما التنبيه عليه حتى لا يغتر به غيرهما ويعتقد صحته • الا اذا
كان هذا قد حدث منهما على سبيل السهو ، أو لشهرة المروى بانه
موضوع فسكتا عن تبيانه اتكالا على عدم اغترار أحد به لشهرته
في الوضع •

ولم يسلم « أبو نعيم » من نقد « الذهبى » مع دفاعه عنه ،
فقد قال : قرأت بخط « يوسف بن أحمد الشيرازى » الحافظ : سخر
الله عين « أبى نعيم » يتكلم في « أبى عبد الله بن منده » وقد أجمع
الناس على امامته وسكت عن « لاحق » وقد أجمع الناس على أنه
كذاب •

ثم قال الذهبي : قلت : هذا كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ، وما ينجو منه إلا من عصم الله ، وما علمت أن عصرا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين اللهم لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ؛

و « الخطيب » الذي قال عن « أبي نعيم » رأيت له أشياء يتساهل فيها هو نفسه الذي يقول : لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين هما « أبو نعيم » الأصبهاني و « أبو حازم العبدوي الأعرج » .

وهذا اعتراف من « الخطيب » بمكانة الرجل .

وقد وجه نقد للخطيب لأنه لم يخص « أبا نعيم » بترجمة إضافية في كتابه « تاريخ بغداد » . ذكر ذلك النقد « تاج الدين السبكي » في كتابه « طبقات الشافعية » ح ٤ ص ١٨ عند حديثه عن روى عن « أبي نعيم » فقد قال : وممن روى عنه الحافظ « أبو بكر الخطيب » وهو من أخص تلاميذه ، وقد رحل إليه وأكثر عنه ، ومع ذلك لم يذكره في « تاريخ بغداد » ولا يخفى عليه أنه دخلها ولكن النسيان طبيعة الانسان . وكذلك أغفله الحافظ « أبو سعد السمعاني » فلم يذكره في الذيل .

وما رواه « البغدادى » عن « أبي نعيم » نجد له مثالا في ح ١٢ ص ٤٠٧ عند حديثه عن كتاب « الغريب » في الحديث لأبي عبيد « القاسم بن سلام » قال : وكان مؤدبا لآل هرثمة ، وصار في ناحية « عبد الله بن طاهر » وكان ذا فضل ودين وستر ومذهب حسن . روى عن « أبي زيد الأنصاري » وأبي عبيدة والأصمعي واليزيدي ، وغيرهم من البصريين ، كما روى عن غيرهم ، وروى الناس من كتبه

المصنفة بضعة وعشرين كتابا في القرآن والفقه وغريب الحديث وغيرها . قال الحافظ « أبو نعيم » سمعت « سليمان بن أحمد الطبراني » يقول : سمعت « عبد الله بن أحمد بن حنبل » يقول : عرضت كتاب غريب الحديث لأبي عبيد على أبي فاستحسنه وقال : جزاه الله خيرا .

وفي ص ٤١٢ من الجزء نفسه يقول : أخبرنا « أبو نعيم » الحافظ حدثنا « سليمان بن أحمد الطبراني » حدثنا « عبد الله بن محمد المروزي » حدثنا « أبو سعيد الضرير » قال : كنت عند « عبد الله بن طاهر » فورد عليه نعي « أبي عبيد » قال لي : يا أبا سعيد ، مات « أبو عبيد » ثم أنشأ يقول :

يا طالب العلم قد مات ابن سلام
وكان فارس علم غير محجـام
مات الذي كان فيكم ربع أربعة
لم يلف مثلهم أسـناد أحـكام
حسب البرية عبد الله أولهم
وعامر ولنعم الثاوي عامي
هما اللذان أنافا فوق غيرهما
والقاسمان ابن معن وابن سلام

قال : وكان يقول : علماء الناس أربعة : عبد الله بن عباس في زمانه و « الشعبي » في زمانه ، و « القاسم بن معن » في زمانه ، و « القاسم ابن سلام » في زمانه . وهم الأربعة الذين عناهم « عبد الله ابن طاهر » في أبياته .

فليس من المعقول أن يروى « الخطيب » عن « أبي نعيم » وهو

يظن أنه غير ثقة ، وقد رأينا في هذين المثليين - وما أكثر الأمثلة في الكتاب - كيف اعتنى « أبو نعيم بالسند في روايته ، وهى أخبار أدبية علمية ، فما بالك اذا كانت الروايات في الحديث ؟

ومازلنا مع شهادة الأعلام التى تؤكد ثقة « أبى نعيم » و « تثبته » فقد قال « أحمد بن مردويه » - فيما يرويه صاحب طبقات الشافعية : كان « أبو نعيم » فى وقته مرحولا اليه ، ولم يكن فى أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه ، وكان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ٠٠

وهذا التقرير يشير الى صحة اسناده وقوة حفظه كما يشير الى استاذيته التى شهد له بها الحفاظ ٠ وكلمة الحافظ متى أطلقت انصرفت الى حفظ الحديث ، وهى وصف لازم للكثيرين من علماء الحديث الذين شهر عنهم قوة الحفظ وكثرة الرواية - وسيأتى تعريف المفهوم هذه الكلمة ٠

ويشير أيضا الى همته التى لم تعرف الكلل فى طلب العلم وتعليمه والحرص على مذكرته ٠

ومما يدل على علو كعبه فى الحديث قول « حمزة بن العباس العلوى » عنه : كان أصحاب الحديث يقولون : بقى « أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير لا يوجد شرقا ولا غربا أعلى اسنادا منه ولا أحفظ منه ٠

وقال « على بن المفضل المقدسى » المتوفى سنة ٦١١ هـ وصاحب كتاب « تحقيق الجواب عن أجيز له طرقاته من الكتاب » وكتاب « طبقات الحفاظ » (١) ٠

(١) معجم المؤلفين ج ١ ص ٧٠٤ ٠

قال عنه : قد جمع شيخنا « السلفى » أخبار « أبى نعيم » وذكر من حدثه عنه وهم نحو ثمانين رجلا .

وقال عنه : « ابن النجار » : هو تاج المحدثين وأحد أعلام الدين . وهذه الشهادات التى جمعها « السبكي » فى طبقات الشافعية تؤكد ارتفاع منزلة « أبى نعيم » وعلو قدره فى علوم الحديث .

رد الطعان الموجهة اليه :

دافع « السبكي » فى طبقاته عن « أبى نعيم » دفاعا مجيدا ، وبدد الشبهات التى أوردها من نالوا من « أبى نعيم » وهذه الشبهات تنحصر فيما يأتى :

أولا : انه كان يتساهل أحيانا فى روايته ، وهذه الشبهة أوردها « الخطيب » .

وقال : رأيت لأبى نعيم أشياء يتساهل فيها ، منها أن يقول فى الاجازة أخبرنا من غير أن يبين .

وقال « السبكي » فى دفاعه : هذا لم يثبت عن « الخطيب » وبتقدير ثبوته فليس بقدرح ، ثم ان اطلاق أخبرنا فى الاجازة مختلف فيه ، فإذا رآه هذا الحبر الجليل أعنى « أبى نعيم » فكيف يعد تساهلا ؟ ولئن عد فليس من التساهل ، ولو حجرنا على العلماء ألا يرووا الا بصيغة مجمع عليها لضيعنا كثيرا من السنة .

وقال « الذهبي » : والتساهل الذى أشير اليه كان يفعله فى الاجازة نادرا ، فانه كثيرا ما يقول : كتب الى « جعفر الخلدى » ، كتب الى « أبو العباس الأصم » ، أخبرنا « أبو الميمون بن راشد » قال : ولكن رأيته يقول : أخبرنا « عبد الله بن جعفر » فيما قرئ عليه . والظاهر أن هذا اجازة .

قال « السبكي » : قلت : ان كان « الذهبي » يقول ذلك في مكان غلب على ظنه أن « أبا نعيم » لم يسمعه بخصوصه من « عبد الله بن جعفر » فالأمر مسلم إليه .

ثانيا : أوردوا شبهة حول سماعه جزءا من مسند « محمد بن عاصم بن يحيى الأصبهاني » المتوفى سنة ٢٩٩ هـ مع ادعائهم أنه لم يسمعه . واستندوا في ذلك الى ما ذكره « الخطيب » قائلا : سألت « محمد بن ابراهيم العطار »^(١) مستملى « أبا نعيم » عن جزء « محمد بن عاصم » كيف قرأته على « أبا نعيم » وكيف رأيت سماعه ؟ فقال : أخرج الى كتابا وقال : هذا سماعي فقرأته عليه .

وقد أفرد « السبكي » في طبقاته لهذه الواقعة والرد عليها عنوانا ، فند فيه هذه التهمة ومما قاله في ذلك :

ليس في هذه الحكاية - يقصد سؤال « الخطيب » لابن العطار ورده عليه - طعن على « أبا نعيم » ، بل حاصلها أن « الخطيب » لم يجد سماعه بهذا الجزء فأراد استفادة ذلك من مستمليه ، فأخبره أنه اعتمد في القراءة على اخبار الشيخ وذلك كاف .

ثم قال : وقد دفع « أبو عبد الله بن النجار » قضية جزء « محمد بن عاصم » بأن الحفاظ الأثبات روه عن « أبا نعيم » ، وحكي لنا لك نحن أن أصل سماعه وجد ، فطاحت هذه الخيالات ، ونحن لا نحفظ أحدا تكلم في « أبا نعيم » بقدرح ، ولم يذكر بغير هذه اللفظة التي عزيت الى « الخطيب » وقلنا : انها لم تثبت عنه ، والعمل على امامته وجلالته وأنه لا عبرة بهذين الهاذين .

(١) محمد بن ابراهيم بن على العطار الحافظ وكتيته أبو بكر ، كان عظيم الشأن ببلده عارفا بالرجال والمتون وهو امام ثقة توفى سنة ٤٦٦ هـ - الوافي بالوفيات للصفدي ح ١ .

قال : على أننا لا نحفظ عن أحد تكلم فيه كالما صريحا في
جرحه ، ولو حفظ لكان سبة على قائله ، وقد برأ الله « أبا نعيم » من
معرفته •

وأكد « السبكي » دفاعه قائلا : قد حدث « أبو نعيم » بهذا
الجزء ورواه عن الأثبات ، والرجل ثقة ثبت وإمام صادق ، وإذا
قال : هذا سماعي جاز الاعتماد عليه • لقد طعن بعض الجهال
الطاعنين في أئمة الدين فقالوا : أن الرجل لم يوجد له سماع بهذا
الجزء ، وهذا الكلام سبة على قائله ، فإن عدم وجدانهم لسماعه
لا يوجب عدم وجوده ، وأخبار الثقة بسماع نفسه كاف •

واستدل « السبكي » على قوله بما ذكره الحافظ « الذهبي »
حين قال : أن الحافظ «أبا الحجاج المزي » - محدث الشام وهو جمال
الدين يوسف بن عبد الرحمن القضاة ت ٧٤٢ - حدثه أنه رأى
بخط الحافظ « ضياء الدين المقدسي » - محمد بن عبد الواحد
المقدسي شيخ المحدثين بالشام ت ٦٤٣ - أنه وجد بخط الحافظ
« أبي الحجاج يوسف بن خليل - محدث حلب ت ٦٤٨ - أنه قال :
رأيت أصل سماع الحافظ « أبي نعيم » لجزء « محمد بن عاصم »
فبطل ما اعتقدوه ، ريبة - اه •

أقول : وفي « أخبار اصفهان ترجم « أبو نعيم » لمحمد بن
عاصم ، وقال عنه • صنف كتبا كثيرة وروى عن المصريين
والاصبهانين •

وكانت رواية « أبي نعيم » عنه عن طريق « أحمد بن إسحاق »
و « عبد الله بن محمود بن محمد » و « سليمان بن أحمد » •

ثالثا : وهناك مسند آخر استرأب بعضهم في سماع « أبي نعيم »

له بتمامه . فقد قال « السبكي » قال « يحيى بن منده » الحافظ : سمعت « أبا الحسين القاضي » - ت ٤٦٢ هـ - يقول : سمعت « عبد العزيز النخشبي » يقول : لم يسمع « أبو نعيم » مسند « الحارث بن أسامة » بتمامه ، وحدث به كله .

والرد على ذلك هو ما قاله الحافظ ابن النجار - محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود ت ٦٤٣ - : وهم « عبد العزيز » في هذا فأنا رأيت نسخة من الكتاب عتيقة وعليها خط « أبي نعيم » يقول : سمع مني فلان الى آخر سماعي من هذا المسند مع « ابن خلاد » فلعله روى الباقي بالاجازة ثم أنشد « ابن النجار » متمثلاً - فيما يرويه « الذهبي » -

لو رجم النجم جميع الوري لم يصل الرجم الى النجم

فمن هذه الردود التي تولاه « السبكي » في طبقات الشافعية تتبين منزلة الرجل في الحديث ، وأنه من الأعلام الذين لا ترقى اليهم الشبهات ، وأن الشبهات التي تثار حوله لا تثبت أمام المناقشة الهادفة .

وعلى الرغم من خصومة « ابن منده » له فان ذلك لم يمنع « أبا نعيم » أن يروي عن عمه « عبد الله محمد بن يحيى بن منده » ت ٣٠١ « في مواضع متفرقة من كتبه . من ذلك على سبيل المثال ما جاء في كتابه حلية الأولياء في ترجمة « النعمان بن عبد السلام (١) » من قوله : سمعت « أبا محمد بن حيان » يقول : ثنا « محمد بن يحيى ابن منده » ثنا « محمد بن عاصم » قال : سمعت : أبا سفيان يقول : الورع ورعان ، ورع صواب وورع أحقق ، فالصواب أن تقول

(١) حلية الأولياء ح ١٠ ص ٣٨٩ .

للرجل : من أين جئت ؟ فيقول : من السوق ، والورع الأحمق أن
تقول للرجل : من أين جئت ؟ فيقول : من المسجد ان شاء الله .

وهناك روايات عديدة من هذا القبيل تدل على أن الخصومة
لا تمنع الرجل من اعطاء كل ذي حق حقه ، ومن استمداد الحكمة
من مظانها ، وهذا هو اتساع الأفق وأدب الاختلاف الذي كان سائدا
في العصور الأولى .

ولئن كان قد أؤذى بسبب التعصب الذي قد وقع عليه فان ذلك
لم يمنعه - لفقته ونسكه - من التغاضى عما أصابه ونسيان ما وقع
عليه .

لقب الحافظ :

وقد استحق « أبو نعيم » لقب الحافظ بجدارته ، وألقاب علماء
الحديث في اصطلاحهم تدور بين المسند والمحدث والحافظ والحجة
والحاكم .

وتعنى كلمة المسند بكسر النون من يروى الحديث بإسناده
سواء أكان عنده علم به أم ليس له الا مجرد روايته .

وتعنى كلمة المحدث من يعرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال
ويكثر من حفظ المتن وسماع الكتب الستة والمسانيد والمعاجم
والأجزاء الحديثية .

وتعنى كلمة الحافظ المحدث عن السلف (١) .

ولكن « ميرزا محمد باقر » في كتابه « روشات الجنات » يذكر
مدلولاً لكلمة الحافظ فيقول : لفظ الحافظ يطلق - في مصطلح
الحديث - على من يحفظ أكثر من مائة ألف حديث بأسانيدها ، ولفظ

(١) شذرات من علوم السنة ج ١ ص ٢٠١ د. محمد الاحمدى أبو النور .

الحافظ مصطلح في عرف أهل الدراية والمحدثين على من حفظ هذه
العدة من الأخبار عن ظهر قلب .

كما أن الحجة عندهم من كان يحفظ ثلثمائة ألف حديث .

والحاكم من أحاط حفظه بالجميع .

وأما عند القراءة والمجودين فأطلاق لفظ الحافظ على من يقرأ
جميع القرآن في أحسن التجويد بالقراءات العشر أو السبع أو
الواحدة منها لا أقل (١) .

ونذكر الدكتور « محمد الأحمدى أبو النور » : قال الشيخ
« فتح الدين بن سيد الناس » : المحدث في عصرنا من اشتغل بالحديث
رواية ودراية ، وجمع بين روايته واطلع على كثير من الرواة
والروايات في عصره ، وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه ، واشتهر
فيه ضبطه ، فان توسع في ذلك حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه
طبقة بعد طبقة ، بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله
فهذا هو الحافظ . وأما ما يحكى عن بعض المتقدمين من قولهم :
كنا لا نعد صاحب حديث من لم يكتب عشرين ألف حديث في الاملاء
فذلك بحسب أزمئتهم . قال : وقال الامام « أبو شامة » : علوم
الحديث الآن ثلاثة أشرفها حفظ متونه ومعرفة غريبها وفقهها ،
والثاني حفظ أسانيدها ومعرفة رجالها وتمييز صحيحها من سقيمها ،
والثالث جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه وطلب العلو فيه . قال
« الحافظ بن حجر » : من جمع هذه الثلاث كان فقيها محدثا كاملا ،
ومن انفرد باثنتين منها كان دونه (٢) .

و « فتح الدين بن سيد الناس » كان مدرسا للحديث بالمدرسة

(١) روضات الجنات ح ١ ص ٥٨ ترجمة ابن عقدة .

(٢) شذرات من علم السنة .

الظاهرية في القاهرة وله كتاب عنوانه « عيون الأثر في فنون المغازي
والشمايل والسير » يتضمن سيرة وإفية للنبي - صلى الله عليه
وسلم - وتوفى عام ٧٣٤ هـ وتعريفه للحافظ يبين منزلة « أبي نعيم »
فما استحق هذا اللقب من فراغ ولكنه استحقه عن معرفة واسعة
بعلوم الحديث مع كثرة وإفرة لحفظه .

و « أبو شامة » هو « شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن
اسماعيل المقدسى » توفى سنة ٦٦٥ هـ بدمشق وله مؤلفات عدة .
وكلامه عن علوم الحديث يضع « أبا نعيم » في القمة منها لأنه جمع
بين حفظ المتن ومعرفة الغريب وتفقه فيها ، وحفظ الأسانيد وعرف
رجالها وميز بين الصحيح والسقيم منها ، ثم جمع مما حفظ وكتب
مما سمع ، فانطبقت كلمة الامام « شهاب الدين أحمد بن على »
المعروف بابن حجر المتوفى سنة ٧٧٣ هـ من أن من جمع هذه الثلاث
كان فقيها محدثا كاملا عليه .

منزلة أبي نعيم في الحديث :

ويمكن ادراك منزلة « أبي نعيم » في الحديث من كثرة من
تتلمذوا عليه ، وأخذوا عنه ، فما يصبح العالم مرحولا اليه - على
حد تعبير « أحمد بن مردويه » - الا وقد بلغ الغاية في الحفظ والدقة
وعلو الاسناد والخبرة التامة بأنواع الحديث .

ولعللى بن الفضل كتاب في طبقات المحدثين عد فيه « أبا نعيم »
من أهل الطبقة التاسعة - على حسب المولد - ذكر ذلك « الذهبي »
في تذكرة الحفاظ ، وعد معه في هذه الطبقة « أبا ذر » و « البرقاني »
و « الصوري » .

أما « البرقاني » فقد سبق « أبا نعيم » بالوفاة بخمس سنين

وهو الحافظ « أبو بكر أحمد بن محمد البرقاني » الشافعي ت سنة ٤٢٥ هـ - قالوا : وكان نسيج وحده .

و « أبو ذر » هو « عبد الله بن أحمد الأنصاري الهروي » المالكي نزيل مكة وتوفي سنة ٤٣٤ هـ بعد « أبي نعيم » بأربع سنين .

و « الصوري » هو حافظ الوقت « أبو عبد الله محمد بن علي الصوري » توفي ببغداد سنة ٤٤١ هـ بعد « أبي نعيم » بأحدى عشرة سنة .

قال « الذهبي » : وفي عام وفاة « أبي نعيم » مات مسند العراق الواعظ « أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران البغدادي » والمفسر « أبو عبد الرحمن اسماعيل بن أحمد الحيري الضرير » الذي قرأ عليه « الخطيب » البخاري في ثلاثة مجالس .
كأنه يشير الى عظم الخسارة التي منى بها العالم الاسلامي بوفاته هؤلاء الأعلام في عام واحد .

وقد تفرد « أبو نعيم » برواية بعض الأحاديث الغريبة منها ما رواه عن « نافع » عن « ابن عمر » أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن آطام المدينة أن تهدم .

واسناده كما يأتي :

أخبرنا « أحمد بن سلام » في كتابه عن « مسعود بن أبي منصور » ح وقرأت على « أحمد بن محمد » المؤدب أنا « ابن خليل » ، أنا « مسعود » ، أنا « أبو علي المقرئ » ، أنا « أبو نعيم » الحافظ ، أنا « أحمد بن جعفر السمسار » أنا « أحمد بن عصام » أنا « وهب ابن جرير » أنا « عبيد الله بن عمر » عن « نافع » عن « ابن عمر » أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن آطام المدينة أن تهدم .
نكرر « الذهبي » في تذكرة الحفاظ وقال عنه : حديث غريب .

وقد سبقت رواية هذا الحديث عند ذكر شيوخه ٠٠

مرويات العلماء عنه :

والحديث السابق مثال لمرويات العلماء عنه ، وهناك أمثلة أخرى ، فقد استشهد « الدميرى » فى كتابه « حياة الحيوان » بكثير من أسانيد « أبى نعيم » وأخباره ، و « الدميرى » وهو « كمال الدين أبو البقاء بن محمد بن موسى الدميرى » المصرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ كان اماما من أئمة الحديث - كما تقول مقدمة كتابه -

ففى الجزء الأول ص ٣٥ يروى هذا الخبر قائلا : وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة « وهب بن منبه » قال : لما أمر « نوح » عليه السلام أن يحمل من كل زوجين اثنين • قال : يارب ، كيف أصنع بالأسد والبقر ؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب ؟ وكيف أصنع بالحمام والثعلب ؟ فأوحى الله تعالى اليه : من ألقى بينهم العداوة ؟ فقال : أنت يارب • قال - عز وجل - : فانى أولف بينهم فلا يتضررون •

وفى ص ٨٠ : يروى عن « أبى نعيم » أنه قال : سمعت « معروفا الكرخى » يقول : لما اجتمعت اليهود على قتل « عيسى » - عليه السلام - أهبط الله تعالى « جبريل » - عليه السلام - مكتوبا فى بطن جناحه : اللهم انى أعوذ باسمك الأحد الأعز ، وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذى ملأ الأركان كلها أن تكشف عنى ضر ما أمسيت وأصبحت فيه ، فقال ذلك « عيسى » فأوحى الله - عز وجل - الى جبريل - عليه السلام - أن ارفع عبدى الى •

وفى ص ١٧٥ : روى الحافظ « أبو نعيم » بسنده الى « حمزة ابن أسد الحارثى » قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى جنازة رجل من الأنصار الى بقيع الغرقد ، فاذا ذئب مفترش

ذراعيه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هذا أويس فافرضوا له • قلم يفعلوا •

وفي ص ٢٣٦ روى « الطبراني » و « أبو نعيم » من طرق صحيحة عن « خزيمه بن أوس قال : هاجرت الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك ، فأسلمت ، فسمعت يقول : هذه الحيرة قد رفعت الى وانكم ستفتحونها وهذه الشيماء بنت نفيل الأزديّة » على بغلة شهباء معطرة بخمار أسود • فقلت : يا رسول الله ، ان نحن دخلنا الحيرة فوجدناها على هذه الصفة فهي لى ؟ قال - عليه الصلاة والسلام - : هى لك • فأقيدنا مع « خالد بن الوليد » نريد الحيرة ، فلما دخلناها كان أول من تلقانا « الشيماء بنت نفيل » كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بغلة شهباء ومعطرة بخمار أسود ، فتعلقت بها ، وقلت : هذه وهبها لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فطلب منى « خالد » البينة ، فأتيته بها فسلمها لى ، ونزل الينا أخوها « عبد المسيح » فقال لى : أتبيعنيها ؟ فقلت : نعم • فقال : احتكم ما شئت ، فقلت : والله لا أنقصها عن ألف درهم ، فدفع الى ألف درهم • ففيل لى : لو قلت مائة ألف درهم لدفعها اليك ، فقلت : لا أحسب مالا أكثر من ألف درهم •

قال « الطبراني » : وبلغنى أن الشاهدين كانا « محمد بن مسلمة » و « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما •

ولم يقتصر « الدميرى » على روايات « أبى نعيم » فى الحلية ، ولكنه « أخذ عنه فى دلائل النبوة » و « أخبار أصبهان » •

فمما أخذه عما رواه فى « دلائل النبوة » قوله فى ح ١ ص ٢٩٢ : كان لرجل صنم وكان يأتى بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول

له : اطعم ، فجاء ثعلبان فأكل الخبز والزبد ثم عسل - بال - على رأس الصنم - والثعلبان ذكر الثعالب - فقام الرجل فضرب الصنم فكسره ، ثم جاء الى النبی - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بذلك ، وقال فيه شعرا وهو :

لقد خاب قوم أملوك لشدة أرادوا نزالا أن تكون تحارب
فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ولا أنت دفاع اذا حصل نائب
أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم قال « الدميرى » عقب ذلك : والرجل المذكور « راشد بن عبد ربه » وحديثه مشروح في كتاب « دلائل النبوة » لأبى نعيم الأصفهاني .

وفي ح ٢ ص ٥٨٧ قال : روى الحافظ « أبو نعيم الأصبهاني » و « أبو بكر البيهقي » من حديث « يعلى بن مرة » قال : بينما نحن نسير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذ مررنا بناضج يستقى عليه ، فلما رآه البعير جرجر ووضع جرائنه وخطامه ، فوقف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : أين صاحب هذا ؟ فجاءه ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : بعنيه فقال : بل نهيه لك ، وانه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره . فقال - صلى الله عليه وسلم : انه شكا الى كثرة العمل وقلة العلف ، فأحسنوا اليه ، قال : وذكر نحوه « الحاكم » في المستدرک من طريق ، يعلى » وقال : صحيح .

ومما أخذه عنه في « أخبار أصفهان »

قال : روى « الحافظ أبو نعيم » في تاريخ أصفهان ، و « المستغفرى » في الدعوات و « البيهقي » في الشعب عن « على » رضى الله عنه . قال : لدغت النبی - صلى الله عليه وسلم - عقرب وهو في الصلاة ، فلما فرغ من صلاته قال « لعن الله العقرب ما تدع

مصليا ولا غيره ولا نبيا ولا غيره الا لدغته ، وتناول نعله فقتلها به ، ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ : قل هو الله أحد والمعوذتين - د ٢ ص ٢٤٣ .

وفي ترجمة « أحمد بن الحسن » عن « ابن عمر » رضى الله تعالى عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : أول نعمة ترفع من الأرض العسل . د ٢ ص ٦٠٩ .

فاعتماد العلماء عليه من أمثال « ابن الأثير » الذي اعتمد عليه في أسد الغابة ، والنبهاني الذي اعتمد عليه في جامع كرامات الأولياء و « الدميري » في حياة الحيوان له دلالة على مكانة الرجل ومنزلته . وهذا وكتاب « الجامع الكبير » للسيوطي يستمد كثيرا أحاديثه من مرويات أبي نعيم في الحلية وغيرها .

وهل ترك الحافظ « أبو نعيم » مسندا يجمع أحاديثه التي رواها وحفظها ؟

لقد ترك مصنفات عدة في ذلك الى جانب كتابه الجامع « حلية الأولياء » وهو كتاب يجمع بين الترجمة والرواية . وكذلك كتابه « أخبار أصفهان » يتجه هذا الاتجاه .

وقد سبقنا الإشارة الى مؤلفاته في الحديث ، وعد له « بروكلمان » كتبيين يشتملان على أحاديث ، وذكر له كتابا أسماه « المسند » المستخرج على صحيح مسلم ومسندا آخر لم يعرفه .

ومسنده على صحيح مسلم محفوظ في مخطوطات الهيئة المصرية للكتاب برقم ٤١٧ - وسيأتى عرض بعد لهذا المسند أن شاء الله - وله مخطوط آخر بعنوان الأربعين حديثا في النهي عن الظلم برقم ٥٤٤ مجاميع .

وأشار صاحب كشف الظنون الى أن لأبى نعيم كتابا اسمه : المستخرج على البخارى أسانيده ومثونه ، لأنه يبحث فيه عن كل منهما . وعلق على هذا بقوله : المستخرجات كثيرة ، كالمستخرج على سنن أبى داود لمحمد بن عبد الملك بن أيمن ، وكالمستخرج على الترمذى لأبى على الطوسى ، واستخرج « أبو نعيم » على التوحيد لابن خزيمة . قال « ابن حجر » : اذا اجتمع المستخرج مع صاحب الأصل فيمن فوق شيخه لا يسمى مستخرجا الا اذا لم يجد طريقا يوصله الى شيخه ، وحاصله أن يشترط ألا يصل الى الأبعد مع وجود السند الى الأقرب الا لعذر ، وربما أسقط المستخرج أحاديث لم يجد لها سنداً يرضيه وربما ذكرها عن طريق صاحب الكتاب .

ويفيد هذا الكلام أهمية المستخرجات لأن فيها إضافة أو توضيحا أو تعديلا . ولم يشر صاحب كشف الظنون الى مستخرجه على صحيح مسلم ، كما لم يشر الى كتاب الأربعين مع شهرته . . كما أشار كتاب أعيان الشيعة الى أن له كتاب الأربعين حديثا في أخبار المهدي .

ولأن كتاب « حلية الأولياء » يتضمن أحاديث لا حصر لها تفرقت بين أبواب الكتاب وحسب تراجم الرجال الواردة به ، فقد وجدت هذه الأحاديث - كما يقول بروكلمان - من يعتنى باستخراجها ويضمها مرتبة في كتاب مستقل أسماه : « تقريب البغية في ترتيب أحاديث الحلية » لأبى الحسن بن على بن أبى بكر الهيثمى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ .

ولا يشك أحد في سعة دراية ورواية « أبى نعيم » وهو ابن أصفهان التى اشتهرت برواية الحديث وحفظه . واذا تتبعنا كتب التاريخ وجدنا أعلاما كثيرين من أصفهان نفعوا عبر العصور في علوم الحديث وتركوا فيه آثارا مشهودة . و « أبو نعيم » ابن هذه البيئة الخصبة وقد تهيأت له الظروف المواتية للنمو والتفوق .

وليس من شك في أن حظ العراق وفارس من الحديث كان دون حظ الحجاز التي عرف أهلها بأنهم ضبطوا السنة فلم يشذ عنهم منها شيء، فالمدينة كما يقول د. طه العلواني في كتابه أدب الاختلاف في الاسلام - كان فيها عشرة آلاف من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلفهم عليه الصلاة والسلام بعد غزوة حنين عاشوا فيها الى وفاته ، وكان « عمر بن عبد العزيز » يكتب الى أهل الأمصار يعلمهم السنن والفقه ولكنه حين يكتب الى المدينة فانه يكتب اليهم يسألهم عما مضى وأن يعلموه ما عندهم من السنة ليرسل بها الى الآخرين .

ولكن ذلك لم يمنع أن يكون هناك صحابة أجلاء ذهبوا مع الفتوح وبقوا في البلاد المفتوحة ، وكتب الطبقات تحدثنا عن كثير من هؤلاء الصحابة الذين أقاموا في العراق وما وراء النهر ، واستوطنوا تلك الديار ، ونفعوا ، ونشروا العلم والحديث والسنة ، وحيث أن هذه البيئة الجديدة لم تكن لتخلو من بعض الاتجاهات التي يمكن أن تؤثر على نقاء الأحاديث وصحتها ، لذلك اجتهد فقهاء هذه الأقطار في اتخاذ الاحتياطات الكافية ووضع الشروط الضابطة لقبول السنة والأخبار ، ومن هنا اعتنى علماء الحديث ومن بينهم « أبو نعيم » الأصفهاني وغيره بالضبط والتعديل وصحة الاسناد ونشأ بسبب ذلك ما يعرف بعلم مصطلح الحديث الذي يضع الضوء الكامل أمام المتنبئين لمعرفة درجة الحديث وصحته .

عرض كتاب المسند المستخرج على صحيح مسلم .

ونقدم فيما يلي كتاب « المسند » المستخرج على كتاب « أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري » . تأليف الحافظ « أبي

نعيم الأصفهاني رواية أبي على الحسن بن أحمد المقرئ الحداد «
عنه • وهو محفوظ بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية •

ويتكون من ستة عشر جزءا ، وقد اطلعنا على صورة
« بالميكروفيلم » وهى بخط غير جيد يحتاج الى مجهود فى قراءته ،
وحبذا لو توفر بعض الدارسين على اخراجه مطبوعا محققا ليستفيد
به الدارسون والمنافعون بالعلم الشريف •

قال « أبو نعيم » فى مقدمة كتابه : عدنا الى الأصول التى
خرجها « مسلم » والأبواب التى لخصها فنتبعنا على كتابه وتراجمه
عن شيوخنا كتابا يكون عوضا لمن فاتته سماع كتابه ، وذكرنا
مستعينا بالله على ذلك ومتوكلا عليه فى ذلك ، فنسأل الله العظمة
والانتفاع بما أعطى وأولى •

وقد قدم الامام « مسلم » بين يدى كتابه الجامع فصولا يتحدث
فيها عن الرواية وأصولها ، وعن النهى عن الأخذ من الرواية
الضعفاء ، وذكر جملة من هؤلاء الرواة المتروكين لأسباب أوضحها
علماء الحديث فى كتبهم ، وأشار اليها « مسلم » فى صحيحه حيث
تحدث عن المراد بعلم الحديث ، وقسم الأخبار ، وبين حال بعض
الرواة ، وقال : ان علامة المنكر فى حديث المحدث اذا ما عرضت
روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا خالفت
روايته روايتهم أو لم تكد توافقها ، فاذا كان الأغلب من حديثه كذلك
كان مهجور الحديث غير مقبوله ولا مستعمله •

وأوجب « مسلم » الرواية عن الثقات قائلا : « واعلم - وففتك
الله تعالى - أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح
الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين ألا يروى منها
الا ما عرف صحة مخارجه والستارة فى ناقله وإن يتقى منها ما كان

منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع ، والدليل على أن الذي قلنا من هذا هو اللازم دون ما خالفه قول الله جل ذكره : « يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتحبسوا على ما فعاتم نادمين » الحجرات ٦ وقال عز وجل : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » الطلاق ٢ - فدل بما ذكرنا من هذه الآي أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول وأن شهادة غير العدل مردودة » .

وكما ذكر « مسلم » في مقدمة كتابه أسماء بعض المردودين الذين لا تقبل أحاديثهم كذلك فعل « أبو نعيم » في مستخرجه ، حيث ذكر في أول كتابه أسماء الرزاة الذين طعن فيهم نقاد الحديث مرتبين على حروف المعجم ، وذكر أمثلة من ذلك :

في حرف السين : « سعيد بن سنان أبو مهدى الفلسطيني » يروى عن « أبى الزاهون » بالمناكير .

— « سعيد بن داود الزنيرى المدنى » يروى عن « مالك بن أنس » بالمناكير .

في حرف العين :

— « عمران بن مسلم » روى عن « عبد الله بن دينار » يروى عن « يحيى بن سليم » منكر الحديث - قاله « البخارى » .

أقول : وعمران هذا ذكره « ابن حجر » في « هدى السارى » مقدمة « فتح البارى » وقال عنه : « عمران بن مسلم التصسير البصرى » من صغار التابعين ، وثقه « أحمد » و « ابن معين » وغيرهما ، وذكره « العقيلى » فى الضعفاء ، وحكى عن « يحيى القطان » أنه كان يرى القدر وهو مستقيم الحديث ، وأورد له « ابن عدى » فى الكامل أحاديث تفرد بها .

— « غبسة بن عبيد القرشى » تركوه قاله « البخارى » .

في حرف الغين

– « غالب بن عبيد الله الجزري » منكر الحديث •

في باب الميم

– « محمد بن عمر الكلاعي » روى عن « الحسن » و « قتادة »
يروى عنه « سويد بن سعيد » مناكير •
– « محمد بن ابراهيم الشامي » يروى عن « الوليد بن مسلم »
و « شعيب بن اسحاق » و « بقية » و « سويد بن عبد العزيز »
موضوعات •

– « محمد بن الحجاج اللخمي أبو ابراهيم » روى عن
« عبد الملك بن عمير » منكر •

– « محمد بن مروان السندی » صاحب « الكلبى » ساقط •

في حرف الياء

– « يحيى بن سابق المدني » حدث عن « موسى بن عتبة »
و « أبى حازم » و « ابن المنكر » موضوعات •

وبعد أن استقصى أسماء هؤلاء الرواة على حسب ترتيبهم
الأبجدي من الألف الى الياء • قال : « فجملة من سميت في هذا
الفصل بروايته للمناكير والموضوعات ضعفاء » •

ثم بدأ في أبواب الكتاب جزءا جزءا ، وقد اشتمل الجزء الأول
على عدة موضوعات تدور مع الموضوعات التي تضمنها صحيح
« مسلم » فيذكر الحديث الذي رواه « مسلم » بروايته هو عن
شيوخه • وهذا من شأنه يعضد أحاديث مسلم ويزيدها توثيقا ••
ولنضرب لذلك مثلا بما ورد في الباب الأول وهو بعنوان : « باب
قول النبي – صلى الله عليه وسلم – من كذب على متعمدا » •

الحديث الذى رواه « مسلم » فى ذلك هو :

حدثنا « أبو بكر بن أبى شيبة » حدثنا « غندر » عن « شعبة »
ح وحدثنا « محمد بن المثنى » و « ابن بشار » قالا : حدثنا
« محمد بن جعفر » حدثنا « شعبة » عن « منصور » عن « ربيع بن
خراش » أنه سمع « عليا » رضى الله عنه يخطب قال : قال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تكذبوا على فانه من يكذب على
يلج النار .

أما الأحاديث التى رواها « أبو نعيم » فى هذا الباب فهى :

- أخبرنا « عبد الله بن جعفر » قراءة عليه ، نا « يونس بن
حبیب » نا « أبو داود » نا « شعبة » أخبرنى « منصور » قال :
سمعت « ربيع بن خراش » قال : سمعت « عليا » يخطب وهو يقول :
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تكذبوا على فانه من
يكذب على يلج النار .

- وأخبرنا أيضا « عبد الله بن جعفر » نا « أبو سعود » أنا
« أبو داود » عن « شعبة » عن « منصور » عن « ربيع » سمع
« عليا » قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تكذبوا
على فانه من كذب على يلج النار .

ثم قال : رواه عن « شعبة » غندر ، و « يحيى بن سعيد »
عن « شعبة » عن « منصور » عن « ربيع » .

- وحدثناه « محمد بن أحمد بن الحسن » نا « عبد الله بن
أحمد بن حنبل » حدثنى أبى نا « محمد بن جعفر » نا « شعبة بن
منصور » عن أبيه أنه سمع « عليا » يخطب قال : قال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - : لا تكذبوا على فانه من كذب على يلج
النار .

ـ حدثنا « محمد بن جعفر » أخبرنا « إبراهيم بن إسحاق
الحربى » نا « عفان » .

ـ وحدثنا « أبو بكر بن خالد » نا « الحارث بن أبى أسامة »
نا « يزيد بن هارون » .

وحدثنا « فاروق بن عبد الكريم » نا « إبراهيم بن عبد الله »
نا « حجاج » .

وأخبرنا « الحسين بن محمد بن كيسان » نا « يوسف القاضي »
نا « ابن أبى بكر » . نا « يحيى بن سعيد » عن « شعبة » نحوه .

ثم قال : رواه « مسلم » عن « محمد بن المثنى » و « يندار »
عن « غندر » وقد استقصى « أبو نعيم » الأحاديث الواردة في هذا
الباب برواياته عن شيوخه . كما استقصاها « مسلم » عن شيوخه
قبل أن ينتقل الى باب الضعفاء والكذابين ومن ترك حديثهم ، ذكروا
أسماءهم والأسباب التى استنكروا من أجلها .

ثم انتقل « أبو نعيم » الى باب آخر بعنوان باب « الايمان » .
وسرد الأحاديث التى استخرجها عن روايته كأنه يريد أن يبين
روايات « مسلم » كما فعل في الباب السابق .

ثم انتقل الى باب بعنوان : قصة « وفد عبد قيس » .

وقد روى « مسلم » في ذلك أحاديث منها :

حدثنا « يحيى بن أيوب » حدثنا « ابن علية » حدثنا « سعيد
ابن أبى عروبة » عن « قتادة » قال : حدثنا من لقي الوفد الذين
قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من « عبد القيس » .
قال « سعيد » وذكر . . قتادة أبا نضرة » عن « أبى سعيد الخدرى »
في حديثه هذا أن أناسا من « عبد القيس » قدموا على رسول الله

— صلى الله عليه وسلم — فقالوا : يا نبي الله ، انا حى من ربيعة ، وبيننا وبينكم كفار مضر ، ولا نقدر عليك الا فى أشهر الحرم ، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا وندخل به الجنة اذا نحن أخذنا به . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع .

اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وصوموا رمضان ، وأعطوا الخمس من الغنائم ، وأنهاكم عن أربع : عن الدباء (١) والحنتم (٢) والمزفت (٣) والنقيز . قالوا : يا نبي الله ما علمك بالنقيز ؟ قال : بلى جذع تتقرونه فتقذفون فيه من القطيعاء . قال « سعيد » . أو قال : من التمر ، ثم تصبون فيه من الماء ، حتى اذا سكن غليانه شربتموه ، حتى ان أحدكم أو ان أحدهم ليضرب ابن عمه بالسيف . قال : وفى القوم رجل أصابته جراحة كذلك ، قال : وكنت أخبئها حياء من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقلت : فقيم نشرب يا رسول الله ؟ قال : فى أسقية الأدم (٤) التى يلاث (٥) على أفواهما . قالوا : يا رسول الله ان أرضنا كثيرة الجردان ولا تبقى بها أسقية الأدم . فقال نبي الله — صلى الله عليه وسلم — وان أكلتها الجردان ، وان أكلتها الجردان ، وان أكلتها الجردان . قال : وقال نبي الله — صلى الله عليه وسلم — لأشج (٦) عبد القيس : ان فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم الأناة

-
- (١) الدباء بضم الدال وبالد : القرع اليابس أى الوماء منه
(٢) الحنتم — بحاء مهملة فنون قتاء مثناة : نوع من الجرار الخضر ، وقيل : هى جرار يجلب فيها الخمر من مصر أو الطائف ، وقيل : هى جرار كانت تعمل من طين وشعر ودم .
(٣) المزفت : المطلى بالقار وهو الزفت .
(٤) الأدم : جمع أديم وهو الجلد تم دبافه .
(٥) يلاث : يلف الخيط على أفواهما ويربط به .
(٦) الأشج : اختلف فى اسمه والمشهور أنه المنذر بن عائد .

هذه إحدى روايات « مسلم » وهناك روايات غيرها مذكورة
في مسنده .

وأخذ « أبو نعيم » يستقصى مروياته في هذا الحديث قائلا :

حدثنا « ابراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري » و « محمد
ابن محمد الجرجاني » أملانا « محمد بن اسحاق السراج » ثنا
« قتيبة بن سعيد » ثنا « عباد بن عباد » و « حماد بن زيد » ح
وحدثنا « أبو حفص الخطابي » ثنا « أبو مسلم الكتبي » ثنا « حجاج »
ثنا « حماد بن زيد » ثنا « أبو حمزة » قال : سمعت « ابن عباس »
يقول : قدم وفد عبد القيس . ح وحدثنا « أبو أحمد » ثنا « المنيعي
أبو الربيع » و « القواريري » و « خلف بن هشام » قالوا : ثنا
« حماد بن زيد » ثنا « أبو حمزة » عن « ابن عباس » قال : قدم
وفد عبد القيس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا :
انا هذا الحي من ربيعة ، ولسنا نصل اليك الا في أشهر الحرام
فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو اليك من ورائنا . فقال آمركم بأربع
وأنهاكم عن أربع : الايمان بالله . ثم فسرهما : شهادة الا اله الا الله .

قال « أبو نعيم » : رواه « مسلم » عن « يحيى بن يحيى » عن
« عباد بن عباد » لفظ « قتيبة » ورواه أيضا عن « خلف بن هشام »
عن « حماد بن زيد » .

- حدثنا « حبيب بن الحسن » ثنا « عمر بن حفص السدوسي »
ثنا « عاصم بن علي » نا « شعبة » نا « أبو حمزة » قال : كان ابن
عباس يقعد على سريره . . .

- وحدثنا « فاروق بن عبد الكريم » نا « ابراهيم بن عبد الله » ،
ثنا عمرو بن حكام « ثنا « شعبة » عن أبي حمزة » قال : كنت مع

« ابن عباس » على سريره أترجم بينه وبين الناس ، فقال : أن
وقد عبد القيس أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ثم أخذ يستقصى مروياته الواردة في ذلك .

ثم انتقل الى باب آخر بعنوان : باب « من شهد أن لا اله الا
الله وأن محمدا رسول الله ، وأن عيسى عبده وكلمته دخل من أي
الأبواب شاء .

ولفظه عن « عبادة بن الصامت » قال : قال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - : من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ،
وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته
اللقاها الى « مريم » أدخله الله الجنة على ما كان من عمل .

- رواه مسلم عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن مبشر - .

واستقصى « أبو نعيم » مروياته في ذلك الباب .

ثم انتقل الى باب قوله : لا يشهد أحد أن لا اله الا الله وأنى
رسول الله فيدخل النار .

ثم باب قوله - عليه السلام - : المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده .

ثم باب قوله - عليه السلام - : لا يؤمن أحدكم حتى يحب
لأخيه ما يحب لنفسه .

ثم باب - قوله - عليه السلام - : الايمان يمان والجماع في أهل
المشرق .

ثم باب قوله - عليه السلام - : لا يزنى الزانى حين يزنى
وهو مؤمن .

ثم باب قوله - عليه السلام - : اذا كفر الرجل اخاه .

ثم باب بعنوان : فيمن ادعى الى غير أبيه •

ثم باب بعنوان : في الطعن في النسب • •

ثم باب بعنوان : ما ذكر في العبد اذا أبق

ثم باب بعنوان : في حث النساء على الصدقة •

ثم باب بعنوان : أى الذنب أعظم عند الله •

ثم باب بعنوان : من قتل نفسه •

ثم باب بعنوان : من غل وما جاء في الغلول •

وهو آخر الجزء الأول •

وتناول الجزء الثانى بعض الآداب التى يجب أن يتحلى بها
المسلم •

ففيه : ما ذكر « الطفيل بن عمرو الدوسى » •

وما ذكر في رفع الصوت فوق صوت النبى - صلى الله عليه
وسلم •

وباب : من أحسن في الاسلام لم يؤاخذ بما كان عليه في
الجاهلية •

وباب : في قوله - تعالى - : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم •

وباب : اذا هم العبد بحسنة أو سيئة •

وباب : في الوسوسة •

وباب : من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه •

وباب : من قتل دون ما له فهو شهيد •

- **وباب : بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا**
- **وباب : لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله**
- **وباب : في قوله - صلى الله عليه وسلم - : نحن احق بالمشك من ابراهيم**
- **وباب : في قوله - صلى الله عليه وسلم - : لا يسمع بى احد من هذه الامة لا يؤمن بى**
- **وباب : ثلاثة يوفون اجرهم مرتين**
- **ثم أبواب تشير الى علامات الساعة • كباب ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم**
- **وباب : ذكر طلوع الشمس من مغربها**
- **وباب : في الشفاعة**
- **وينتهى الجزء الثانى ليبدأ الجزء الثالث ببقية الأحاديث الواردة في الشفاعة**
- **ثم بعض الأبواب التى تتناول الموضوعات الآتية :**
- **موضوع : لكل نبي دعوة يدعو بها**
- **موضوع : قوله تعالى : وأئذر عشيرتك الأقربين**
- **موضوع : عن « أبى طالب » وهو في ضحضاح**
- **موضوع : عن قوله - صلى الله عليه وسلم - أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة**
- **ثم بدأ في العبادات متقدما بباب الطهارة وما يتعلق بها**
- **فموضوع الوضوء ، ثم موضوع : الجمعة الى الجمعة والصلوات الخمس كفارات لما بينهن**

وموضوع : صفة وضوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وموضوع : ويل للأعقاب من النار .
وموضوع : قوله - صلى الله عليه وسلم - أنتم الغر
المحجلون .

وموضوع : ما ذكر في اسبغ الوضوء .
وموضوع : ما ذكر في السواك .
وموضوع : خمس من الفطرة .
وموضوع : من قال : عشر من الفطرة .
وموضوع : ما ذكر أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يحب
التيمن .

وموضوع : اتقوا الملاعن .
وموضوع : الاستنجاء .
وموضوع : المسح على العمامة .
وموضوع : إذا استيقظ أحدكم من منامه .
وموضوع : إذا ولغ الكلب .
وموضوع : النهى عن أن يبال في الماء الراكد .
ويمضى الجزء الرابع في اكمال أبواب الطهارة ثم يبدأ بعد
ذلك في الصلاة متقدما بالأذان ، وما يقال عند سماعه .
ثم أورد - كالمعتاد - مروياته من أحاديث تدور حول الأبواب
الآتية :

- رفع اليدين في الصلاة .

— لا صلاة الا بقراءة •

— باب الدعاء •

— الصلاة الى القبور •

وتستمر الأجزاء الخامس والسادس والسابع وبعض الثامن
في سرد مروياته في أحاديث الصلاة وما يتعلق بها •

أما بقية الثامن ، فيروى فيه الأحاديث المتعلقة بفضل القرآن
الكريم • كفضائل سورة البقرة وآل عمران والكهف والمعوذتين
وغيرها من السور •

ثم يروى الأحاديث الواردة في فضل حافظ القرآن وقارئه •

فيفرد بابا بعنوان : ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما •

وبابا بعنوان : بيان القرآن وأنه أنزل على سبعة أحرف •

ثم يعود الى بعض أبواب تتعلق بالصلاة • فيعقد بابا بعنوان :
النهى عن صلاة بعد العصر •

وبابا عن الجمعة والجماعة

وبابا بعنوان فضل هذه الأمة •

وبابا بعنوان قراءة القرآن على المنبر ••

ويتناول الجزء التاسع آدابا تتعلق بالاسلام ، وأحكاما تتعلق
بالحجائز وما يتصل بها •

فباب بعنوان : ليس منا من ضرب الخدود •

وباب : لا يدخل الجنة نام ••

وباب : الصبر عند المصيبة •

وباب : غسل الميت ٠٠

كما تناول هذا الجزء بعض الأبواب التي تتعلق بالزكاة ٠

ودار الجزء العاشر حول :

الحث على النفقة ، وأحكام أخرى تتعلق بالزكاة وجامع
الصدقة وكراهية السؤال ، وحكم الغنى يهدى له ٠ ٠

أما الجزء الحادى عشر فتدور أبوابه حول الصوم وأحكامه

والأجزاء الثانى عشر والثالث عشر وبعض الرابع عشر تدور
موضوعاتها حول الحج وأحكامه ، وحرمة مكة والمدينة ، وفضل
الصلاة فى الحرمين المكى والمدنى ٠

ويتناول بقية الجزء الرابع عشر الى آخر الأجزاء أحكام النكاح
ثم الطلاق ٠

هذا عرض سريع لأبواب هذا المسند الضخم ، الذى استقصى
فيه « أبو نعيم » مروياته حول الأحاديث التى وردت فى صحيح
مسلم ٠٠

وكان هدفه منه تأييد هذه الأحاديث برواياته ، وكأنها تواترت
من طرق مختلفة تشهد بصحتها وتؤكد سلامتها ٠٠ فالذين روى عنهم
« مسلم » ابتداء غير الذين روى عنهم « أبو نعيم » وأن اتفق الرواة
فى النهاية فى صحة المتن والصحابى ٠٠

ويدل هذا المستخرج على سعة حفظ « أبى نعيم » وضبطه
واثقانه ، وهو شهادة له بعلو باعه فى الحديث ٠

وقد فتح الطريق لمن جاء بعده لينسجوا على منواله ، ويطوروا
مؤلفاتهم حتى جاء العلامة « شهاب الدين أحمد بن على بن محمد »
المعروف بابن حجر العسقلانى فشرح صحيح البخارى ووضع بين

يديه مقدمة كبرى بعنوان « هدى السارى » تناولت أمورا هامة منها : بيان السبب الباعث للبخارى على تصنيف كتابه ، بيان موضوعه ، والكشف عن مغزاه ، بيان الحكمة فى تقطيعه الحديث واختصاره ، وفائدة اعادته ، وبيان السبب فى ايراد الأحاديث المعلقة والآثار الموقوفة ، وضبط الغريب الواقع فى متنه ، وضبط الأسماء المشككة والكنى والأنساب ، وتعريف شيوخه ، وسياق الأحاديث التى انتقدها عليه بعضهم ، سياق اسماء جميع من طعن فيه من رجاله على ترتيب حروف المعجم والجواب عن ذلك الطعن بطريق الانصاف ، ثم فهرسة الكتاب المذكور بابا بابا ٠٠ وعلى هذا المنوال نسج كثير من العلماء ٠

وبالجملة فان مستخرج « أبى نعيم » نموذج من نماذج تأليفه فى الحديث يمكن أن تقاس عليه تأليفه الأخرى التى لم تصل الى أيدينا ٠٠

ولنا حديث مع كتابه « حلية الأولياء » فى الموضوع اللاحق لأنه الصق بالتصوف ٠٠

قال عنه « ابن كثير » فى البداية والنهاية : صاحب التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة ٠٠ دلت على اتساع روايته وكثرة مشايخه وقوة اطلاعه على مخارج الحديث وشعب طرقه ٠٠ وهى شهادة من « ابن كثير » لها دلالتها ٠ وتجعله جديرا بأن يسبق اسمه لقب « الحافظ » الذى خلع عليه بحق واستحقه بكفاءة وجدارة - رحمه الله -

التصوف :

عرف الامام « الشعرانى » امام القرن العاشر الهجرى التصوف بأنه علم انقدح فى قلوب أولياء الله حين استنارت بالعمل بالكتاب

والسنة ، وهو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة اذا خلا عمله من
العلل وحفظ النفس (١) .

ونذكر « ابن خلدون » في مقدمته أن التصوف من العلوم
الشرعية الحادثة في الاسلام وأن طريقته هي طريقة الحق والهداية
التي كان عليها سلف الأمة ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع
الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا والإنفراد عن الخلق في
الخلوة للعبادة . اهـ

وننتج للمتصوفة الصادقين نتيجة لقيامهم بذلك مدركات خاصة
وذوقية ، وبدعوا يتحدثون عن هذه المدركات ، كما دونها بعضهم في
مؤلفات ، وبذلك تطور التصوف من ممارسة للعبادات الى علم من
العلوم الشرعية عرفه الباحثون بقولهم : « علم يعرف به كيفية ترقى
أهل الكمال من النوع الانساني في مدارج سعادتهم والأمور العارضة
لهم في درجاتهم ، بقدر الطاقة البشرية ، وانما كان بقدر الطاقة
البشرية لأن التعبير عن الدرجات والمقامات بما هو حقه غير ممكن
لأن العبارات انما وضعت للمعاني التي وصل اليها فهم أهل
اللغات » (٢) .

وكتب « الشيخ مصطفى عبد الرازق » في دائرة المعارف
الاسلامية تعليقا طريفا على مادة التصوف نقطط منه الحقائق
الآتية :

« أطلق لفظ الصوفي والمتصوف بادية الأمر مرادفا للزاهد
والعابد والفقير ، ولم يكن لهذه الألفاظ معنى يزيد على شدة العناية
بأمر الدين ومراعاة أحكام الشريعة ، فان الفقر والزهد وليس

(١) مقدمة الطبقات الكبرى للشمراني .

(٢) الوسيط في تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٨٥ .

الصوف مظهر ذلك ، وكانت أحكام الشريعة تتلقى من صدور الرجال لا فرق بين عباداتها ومعاملاتها وعقائدها ، ثم تحدث الناس في الأمور الدينية على نظام علمي ، ونشأ التدوين فكان أول ما توجهت إليه الهمم علم الشريعة بمعنى الأحكام العملية ، حتى لقد حسب الناس أن الاشتغال بهذا العلم والعمل به هو غاية الدين . هنالك تطور معنى التصوف الى ما يناسب الكمال في الدين الذي وضع له اللفظ أولا ، وأدى هذا الطموح الى نشأة علم ديني الى جانب العلم الفقهي .

« وقد ذكر « ابن تيمية » في رسالته - الصوفية والفقراء - أن الأمور الصوفية التي فيها زيادة في العبادة والأحوال خرجت من البصرة ، فافترق الناس في أمر هؤلاء الذين زادوا في أحوال الزهد والورع والعبادة على ما عرف من رجال الصحابة ، فقوم يذمونهم وينتقصونهم وقوم يجعلون هذا الطريق من أكمل الطرق وأعلما ، والتحقيق أنهم كانوا في هذه العبادات والأحوال مجتهدين ، كما كان جيرانهم من أهل الكوفة مجتهدين في مسائل القضاء والامارة ونحو ذلك .

« وزاد » « ابن تيمية » هذا الرأي بيانا فقال : واذن عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة وأنه كان فيها من يسلك من طريق العبادة والزهد ماله فيه اجتهاد ، وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف ، فقليل في أحدهم صوفي ، وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولاهم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به ، ولكنهم أضيفوا اليه لكونه ظاهر الحال . وكلام « ابن تيمية » هذا يشير الى ما بين التصوف والفقهاء من صلة » .

ومازال التصوف ينتشر كطريقة متميزة في ربوع العالم الاسلامي ، وتظهر فيه التأليف المختلفة حتى جاء « أبو نعيم » فأدلى بدلوه التي خرجت غاصة بالفرائد والفوائد .

وقد سبق « أبو نعيم » في التأليف في التصوف مؤلفون منهم « أبو نصر السراج الطوسي » المتوفى سنة ٣٧٨ هـ وله كتاب « اللمع » الذي تتلمذ عليه علماء كثيرون ويعد الكتاب الأم في تاريخ التصوف الإسلامي ، بل هو أقدم مرجع صوفي ، ومن مادته الخصبية اقتبس كافة من أرخوا للتصوف - كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله - في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب .

ويعد « الطوسي » معاصراً لأبي نعيم ، والتقيا معا بجعفر الخلدی وغيره من أئمة التصوف ، ولكن « الطوسي » سبق « أبا نعيم » بالم وفاة ، ومكث « أبو نعيم » بعده فترة تقدر بنصف قرن أو تزيد كانت كافية لأن تترك في ذهنه وقلبه وذوقه أشياء كثيرة ظهر أثرها في كتابه الجامع « حلية الأولياء » .

شيوخه في التصوف :

نشأ « أبو نعيم » في بيئة صوفية ، فهو يحدث في كتابه « حلية الأولياء » أن جد أبيه لأمه « محمد بن يوسف البنا » رحمه الله أحد من نشر الله به عز رجل نكر بعض المنقطعين إليه ، وعمر به أحوال كثير من المقبلين عليه .

كما حدث عن جده هذا في كتابه « أخبار أصفهان » فوصفه بأنه عروس الزهاد وقال عنه « سكن هو وأخواه » عبد الرحمن و « عبد العزيز » محلة « جورجير » وتوفي بالمصيصة ودفن إلى جنب « مخلص بن الحسين » سنة ١٨٤ هـ وله المناقب المشهورة والفضائل المذكورة . توفي ولم يكمل الأربعين من عمره .

وروى عن « الأعمش والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وصالح المري » .

ومن زهدده دفن كتبه ، وأقبل على التوحيد والتعبد وآثر الخمول
واتباع منهج الرسول وابتغى الدنو والوصول • وحدث عنه كثير
من العلماء • قال عنه « يحيى القطان » : ما رأيت رجلاً أفضل من
« محمد بن يوسف » وقال « عبد الرحمن بن عمر بن رسته » :
« لقيني » محمد بن يوسف المعداني « في طريق مكة ، فأخذ بيدي فنظر
يمنة ويسرة فقال لي :

مر بدار المترفين وقل لهم
أين أبواب المصانع والقرى ؟

ومر بدار العابدين وقل لهم
ألا قطع الموت التنصب والعنا(١)

وله كلام كثير يدل على بصيرة وذوق ومعرفة وقرب من الله •
وكان والده صالحاً ورعاً • لذلك تفتحت عينه منذ نشأته على
هذا اللون من السلوك الصوفي ، الذي لا شك في أنه أخذ يترجمه
عملياً في حياته على يد الشيوخ الصوفيين الذين كان يلتقي بهم
ويتلقى العلم على أيديهم •

وقد مر بنا أن من بين شيوخه الذين أجازوه « جعفر الخلدی »
الصوفي الجليل الذي قال عنه « السلمي » في طبقاته : انه من أفتى
المشايخ وأجلهم وأحسنهم قولاً ، ومن أقوال التي تنم عن شخصيته :
الفتوة احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين • وكان « الخلدی »
قد لقي « الجنيد » وسمع منه ، ويقول في ذلك : سمعت « الجنيد »
يقول : التصوف العلو الى كل خلق شريف والعدول عن كل خلق
دنى • فسأله سائل : وما تقول أنت ؟ فقال : مثل قوله •

(١) أخبار اصفهان ح ٢ ص ١٧١ وقد ترجم له النبهاني في كتابه :
جامع كرامات الأولياء ح ١ ص ١٧٠ قال عنه : أحد أكابر الصوفية لقي ستامة
شيخ وكتب الحديث الكثير ولكنه قال منه ان توفي سنة ٢٨٦ هـ •

وأخبر في « الحلية » أن ممن أجازوه « أبو عبد الله محمد بن خفيف » وترجم له ، وقال عنه : أنه الحنيف الطريف له الفصول في النصول والتحقيق والتثبت في الوصول ، وقد توفي سنة ٣٧١ هـ . ومن مفاريد ما سمع منه ما أخبرنا في إجازته وكتابه الى ٠ قال : حدثنا « أبو بكر محمد بن أحمد بن شاذ هرmez » ثنا « زيد بن أحزم » عن « أبي داود » قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لما عرج بى الى السماء سمعت تذمرا ، فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : موسى يتذمر على ربه ، فقلت : ولم ذلك ؟ قال : عرف ذلك منه فاحتمله ٠

ثم ذكر طرفا من أقواله الطيبة منها : السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب ، والخوف اضطراب القلب مما علم من سطوة المعبود ، التقوى مجانبية ما يبعدك عن الله ٠

وقد ترجم « السلمى » في طبقاته لابن خفيف وقال عنه : انه كان شيخ المشايخ في وقته ، كان يقيم بشيراز وكانت أمه نيسابورية ، صحب « رويما ، والجريرى ، وأبا العباس بن عطاء وظاهر المقدسى » وغيرهم من أجلة العلماء والصوفية ، وكان عالما بعلوم الظاهر والحقائق ، وكان أوحده وقته حالا وعلمنا وخلقا ومن الأحاديث التى أسندها : عن « سهل بن سعد » قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافرا منها شربة ٠ وذكر الحديث الذى رواه « أبو نعيم » ولكنه أسنده الى « ابن عمر » ٠

قال : وسئل « ابن خفيف » عن التصوف فقال : تصفية القلب عن موافقة البشرية ومفارقة أخلاق الطبيعة والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى الشريعة ٠

وفى الحقيقة ان الفترة التى عاش فيها « أبو نعيم » كانت

خصبة بالتصوف وقد ازدهرت في خلال القرن الرابع الهجري بطائفة من العلماء الذين جمعوا بين العلم والعمل والشريعة والحقيقة ، من أمثال « السراج الطوسي » الذي سبقت الإشارة إليه ، و « أبي عبد الرحمن السلمى » المتوفى سنة ٤١٢ هـ بنيسابور ، وهو صاحب طبقات الصوفية ، وأحد من لقيهم « أبو نعيم » وقال عنه في « حلية الأولياء » : هو أحد من لقيناه ممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة وتهذيبه على ما بينه الأوائل من السلف . مقتد بسمتهم ، ملازم لطريقتهم ، متبع لآثارهم ، مفارق لما يؤثر عن المنخرمين المتهوسين من رجال هذه الطائفة منكر عليهم . وحقيقة هذا المذهب عنده متابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغ وشرع . ثم القدوة بالمتحققين من علماء المتصوفة ورواة الآثار وحكام الفقهاء .

وهذه العبارة تشير الى مذهب « أبي نعيم » الصوفي والذي تبلور في كتابه « حلية الأولياء » كما سيأتى بعد ان شاء الله تعالى .

ومن أمثال « أبي عمرو الزجاجي » المتوفى سنة ٣٤٨ هـ ، ومن كلامه الذى يدل على الصدق : العقل الصحيح هو الذى يستحسن محاسن الشريعة ويستقبح ما تستقبحه .

ومن أمثال « أبي العباس القاسم السيارى » المتوفى سنة ٣٤٢ هـ ومن كلامه الرائع : الأغنياء أربعة . غنى بالله وغنى بغنى الله ، قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : الغنى غنى القلب . وغنى باليقين . قال النبى - صلى الله عليه وسلم - كفى باليقين غنى . وغنى لا يذكر غنى ولا فقرا لما ورد على سره من هبة القدرة .

ومن أمثال « أبي العباس أحمد بن محمد الدينورى » المتوفى بعد الأربعين وثلاثمائة الذى يقول : ليس يبلغ بالانسان الى مراتب

الأخيار الا الصدق ، وكل وقت وحال خلا من الصدق فباطل ،
وأنشد :

ما أحسن الصدق في موطنه والصدق في كل موطن حسن

لقد التقى « أبو نعيم » بأصحاب « السراج الطوسي » في
نيسابور ، وقبل عودته الى « أصبهان » .

وأصحاب « السراج » هم معاصروه الذين عاشوا في خلال
القرن الرابع الهجري وأهل الطبقة الخامسة في كتاب الطبقات
للسلمى .

كما التقى بغيرهم في البلاد الأخرى التي رحل اليها ، ومنهم
اكتسب حالا وذوقا ومعرفة . من أمثال « أبي بكر محمد بن الحسين
الآجري » الذي سبق الحديث عنه في أثناء التعرف على من أجازوه
... والآجري الى جانب شهرته العلمية له شهرته الصوفية ومعرفته
الروحية .

ولئن كان قد التقى في رحلاته بكثير من الشيوخ الصوفية ،
فلقد كانت أصبهان مسقط رأس كثير من الصوفية الذين تحدث عنهم
في الحلية وذكرهم غيره من أصحاب الطبقات من أمثال « على بن
سهل بن الأزهر » الأصبهاني . قال عنه « السلمى » هو من قدماء
مشايخ « أصبهان » وهو من أقران « الجنيد » وكان يكاثبه ، ومن
كلامه الرائق : المبادرة الى الطاعات من علامات التوفيق ، والتقاعد
عن المخالفات من حسن الرعاية ، ومراعاة الأسرار من علامات
التيقظ ، وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية ، ومن لم يصحح
مبادئ ارادته لا يسلم في منتهى عواقبه .

ومن عمله الذي يدل على فتوته أن « عمرو بن عثمان المكي »

قصده في دين كان عليه بمكة فكتب بديونه سفاتيح^(١) الى مكة ولم يعلمه بذلك وهو ثلاثون ألف درهم .

فقد أدى بذلك دين صاحبه متعرضا لحمله عنه . وهذه هي الفتوة الحقة . والايتار الصادق .

كما ذكر في الحلية بعض هؤلاء الصوفية الذين سطعوا في أفق « أصبهان » قائلًا في مقدمة ذلك :

« سألتهم عن ايداع ذكر جماعة من نساك بلدنا وعبادهم ليكون الكتاب مختوما بذكرهم ونشر أحوالهم . واعلموا أن طريقة المتقدمين من نساك بلدنا القدوة والاتباع لمقدميهم من العمال والعلماء الذين لحقوا الأئمة الأعلام ، وقد ذكرت جماعة منهم في كتابنا : طبقات المحدثين من الرواة من أهل بلدنا .

منهم « النعمان بن عبد السلام أبو المنذر » كان أبوه يلي أمر السلطان ومات عن ضيعة نفيسة ومال جم ، فترك ذلك كله ورغب عنه زهدا . ومن أقواله : كل عمل لغير الله فهو ذنب على عامله . والاخلاص اليقين .

وفي أثناء حديثه عن « النعمان » كتب تقريرًا عن متصوفة « أصبهان » قال فيه : والغالب من أحوالهم اغتنام الوقت وعنايتهم بجمع الهمم . ومحافظة الأوراد والتشمر للارتداد والتسارع الى الاستباق ، فأما بسط الكلام في الأحوال والمقامات قولًا بلا فعل فيرونة دعاوى لا حقيقة لها يتحرزون منها غاية التحرز .

والنعمان بن عبد السلام

ثم قال : وممن أدركناهم وأدركنا أيامهم وصحبوا « محمد بن

(١) السفاتيح جمع سفتجة - كلمة فارسية . معناها أن تعطى مالا لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر اليه فتأخذ منه خطابا لمن عنده المال في ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذي دقمته اليه قبل سفرك .

يوسف « وسمعوا منه : « محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سياه » و « محمد بن جعفر بن حفص المعدل المغربي » و « أبو بكر محمد بن عبد الله بن ممشان المعروف بالقنديل القوال » و ، أحمد بن بندار بن اسحاق الفقيه الشعار » و « أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن الكسائي المقرئ » و « عبد الرحمن بن محمد بن ششتاه القرطبي المؤذن » وسمعت « أبا بكر محمد بن حيان » يقول وحكى لى عنه حكايات وذكر أنه كان يزوره مع والده « محمد بن جعفر » فى الجمعات وقال : سمعته يروى عن « سليمان بن شبيب » و « عبد الله بن يزيد » أخى « رستم » و « أبى مسعود » ولم أكتب عنه .

ثم قال : وختم التحقيق بطريقة المتصوفة بأبى الحسن بن ماشاذة لما أولاه الله من فنون العلم والسخاء والفتوة وسلوكه مسلك الأوائل فى البذل والعطاء والانفاق والتبلى من التملك والامساك ، وكان عارفا بالله عالما وفقهيا عاملا ، عالما بالأصول وبارعا فى الفروع ، وله من الأدب الحظ الجزيل والخلق الحسن الجميل . رزقنا الله ما رزقهم من الاقبال عليه والانتقطاع اليه ، وجمعنا واياهم فى سائر أرضه وبحبوحة جنته انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وإذا كان التصوف لا يكتسب بالتعلم ، ولكنه يكتسب بالعمل — كما يقول شيوخ التصوف — فلا بد أن يكون « أبو نعيم » قد خاض تجربته بعزم وصدق نتج عنهما ذلك الفيض العلمى الغامر .

ولا نعلم طريقته فى جهاد نفسه وتزكيتها ، حتى أثمرت هذه المعارف الصوفية التى استطاع أن يضمها كتابه الجامع « حلية الأولياء » ولكنه — حتما — سار على نهج من سبقوه من وجوب تحررى الاخلاص فى العبادة والصدق فى الجهاد ومقاومة الآفات النفسية . حسبما أشار اليه فى كتابه الذى نحاول استعراض ما فيه بقدر الجهد المتواضع والعجز الظاهر وبالله التوفيق .

في صحبة حلية الأولياء :

لقد قرظ كثير من العلماء هذا الكتاب وتحدثوا عنه بما هو أهله . ومما قاله « حاجي خليفة » في كشف الظنون ج ١ ص ٦٨٩ ما يلي : حلية الأولياء للحافظ « أبي نعيم » مجلد ضخمة أوله الحمد لله محدث الأكران ، وهو كتاب حسن معتبر يتضمن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأعلام المحققين والمتصوفة والنسك ، وبعض أحاديثهم وكلامهم ، وصدره بذكر الخلفاء العشرة في الترتيب ثم جعل من سواهم أرسالا ، لئلا يستفاد منه تقدم فرد على فرد ، لكنه أطل فيه الأسانيد وتكرير كثير من الحكايات .

قال : ولذلك اختصره « ابن الجوزي » اختصارا حسنا وسماه « صفة الصفوة » ويبدو أنه أوجز في الاختصار بحيث لم يبق الا رسومه . ثم ان صاحب « مجمع الأخبار » « محمد بن الحسن الحسيني » سلك في اختصاره مسلكا وسطا مع زيادة تراجم .

وجاء الامام العلامة الزاهد العابد « أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد الرقي الحنبلي » المتوفى سنة ٧٠٣ هـ فاختصره في كتاب سماه « أحاسن المحاسن » حققه أخيرا السيد « محمد علوي المالكي » ونشرته المكتبة السلفية بمكة سنة ١٣٩٠ هـ .

وقال عنه الحافظ « السلفي » : لم يصنف مثل كتاب « حلية الأولياء » .

وقال « محمد أمين الخانجي » ناشر الكتاب : هو أكبر موسوعة في تاريخ نسك هذه الأمة وزهادها ، يشتمل على زهاء ٨٠٠ ترجمة في ٤٠٠٠ صفحة مقسمة الى عشرة مجلدات .

سبب تأليف الكتاب :

انشغل ذهن الغيورين من هذه الطريقة بالأحوال التى أوشك التصوف الحق أن يتردى فيها بسبب بعض من اختلط بهم وما أضيف اليه من أقوام لم يحسنوا القيام بآدابه ، ولم يتمرسوا تماما بأخلاقه ، وقد اندس بين صفوف الصوفية من حاولوا أن يشوهوا صورة التصوف ويغيروا طريقته ٠٠ وهذا هو الذى حدا بالسراج الطوسى أن يؤلف كتابه « اللمع » ويقول فى مقدمته : وينبغى للعاقل فى عصرنا هذا أن يعرف شيئا من أصول هذه العصاية وقصودهم وطريقة أهل الصحة والفضل منهم ، حتى يميز بينهم وبين المتشبهين بهم والمتلبسين بلبسهم والمتسمين باسمهم ، حتى لا يغلط ولا يائثم ، لأن هذه العصاية - أعنى الصوفية - هم أمناء الله جل وعز فى أرضه وخزنة أسرارهِ وعلمهِ ٠٠ ثم قال : وأعلم أن فى زماننا هذا قد كثر الخائضون فى علوم هذه الطائفة ، وقد كثر أيضا المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها والمجيبون عن مسائلها ، وكل واحد منهم يضيف الى نفسه كتابا قد زخرفه وكلاما ألفه ، وليس بمستحسن منهم ذلك ، لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا فى هذه المسائل وأشاروا الى هذه الاشارات ونطقوا بهذه الحكم ، انما تكلموا فى هذه المسائل بعد قطع العلائق واماتة النفوس بالمجاهدات ٠

وهذا الاحتراس أيضا هو الذى حدا بالامام « أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى » المتوفى سنة ٤٦٥ هـ الى وضع رسالته المشهورة باسم « الرسالة القشيرية » التى يقول فى مقدمتها : اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ، ولم يبق فى زماننا هذا من هذه الطائفة الا اثرهم كما قيل :

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

حصلت الفترة فى هذه الطريقة ، لا بل اندرست الطريقة

بالحقيقة ، مضى الشيوخ الذين كان بهم اعتداء ، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسنتهم اقتداء ، وزال الورع وطوى بساطه . واشتد الطمع وقوى رباطه ، الى أن يقول : فعلقت هذه الرسالة اليكم أكرمكم الله ، ونكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم . . لتكون لمرئى هذه الطريقة قوة ، ومنكم لى بتصحيحها شهادة ولى فى نشر هذه الشكوى سلوة ، ومن الله الكريم فضلا ومثوبة .

وهذا هو الهدف نفسه الذى حرك البواعث لدى « أبى نعيم » ليحرر كتابه « حلية الأولياء » ويقول فى مقدمته :

أما بعد . أحسن الله توفيقك ، فقد استعنت بالله عز وجل وأجبتك الى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن اسامى جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم ، وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من فرق الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، ممن عرف الأدلة والحقائق ، وبأشرف الأحوال والطرائق ، وساكن الرياض والحدائق ، وفارق العوارض والعلائق ، وتبرا من المتنطعين والمتعمقين ، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين ، من الكسالى والمثبطين ، المتشبهين بهم فى اللباس والمقال ، والمخالفين لهم فى العقيدة والفعال ، وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار ، فى كل القطر والأمصار ، فى المنتسبين اليهم من الفسقة والفجار ، والمباحية والحلولية الكفار ، وليس ما حل من الوقوعة والانكار بقادح فى منقبة البررة الأخيار ، وواضع من درجة الصفوة الأبرار ، بل فى اظهار البراءة من الكذابين نزاهة للصادقين .

أوصاف الصادقين من الصوفية :

وقد وضع فى مقدمة كتابه خلاصة وافية عن التصوف ، كما كان

الأعلام الذين ترجم لهم بعد ذلك تطبيقاً عملياً في سلوكهم للمعارف الصوفية التي تحدث عنها •

لقد أخذ يوضح نعوت الصادقين من الصوفية ويشهر مناقبهم وقال في ذلك :

اعلم أن لأولياء الله نعوتاً ظاهرة وأعلاماً شاهرة ينقاد لمولاتهم العقلاء والصالحون ، ويغبطهم بمنزلتهم الشهداء والنبيون ، مصداقاً للحديث الشريف : « أن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله - عز وجل - قال رجل : من هم وما أعمالهم لعلنا نحبههم • قال : قوم يتحابون بروح الله - عز وجل - من غير أرحام بينهم ولا أعمال يتعاطونها بينهم ، والله أن وجوههم لنور وأنهم لعلى منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم قرأ :
إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون •

وخلاصة هذه الصفات التي ذكرها « أبو نعيم » هي :

١ - أنهم المورثون جلاسهم كامل الذكر والمفيدون خلائهم بشامل البر ، واستشهد بالأثر القدسي : أن أوليائى من عبادى وأحبائى من خلقى الذين يذكرون بذكرى وأنكر بذكرهم •

٢ - أنهم المسلمون من الفتن مصداقاً للحديث الشريف : أن الله عز وجل - ضنائن من عباده يغذيهم فى رحمته ويحييهم فى عافيته ، إذا توفاهم توفاهم الى جنته ، أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها فى عافية •

٣ - أنهم المضرورون فى الأطعمة واللباس ، المبرورة أقسامهم عند المنازلة واللباس ، مصداقاً للحديث الشريف : كم من ضعيف

متضعف ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم « البراء بن مالك » .

ثم استطرد الى ذكر شاهد يؤيد هذا الحديث من سيرة « البراء » فقال : لقى « البراء » زحفا من المشركين ، وقد أوجع المشركون في المسلمين ، فقالوا له : يا براء ان النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : لو أقسمت على الله لأبرك ، فأقسم على ربك ، فقال : أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم فمنحوا أكتافهم ، ثم اتقوا على قنطرة السوس ، فأوجعوا في المسلمين فقالوا : أقسم يا براء على ربك - عز وجل - فقال : أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقنتى بنبيك - صلى الله عليه وسلم - فمنحوا أكتافهم وقتل « البراء » .

٤ - ان ليقينهم تنفلق الصخور وبيمينهم تنفتق البحور . قال « سبهم بن منجاب » : غزونا مع « العلاء الحضرمى » فسرنا حتى أتينا « دارين » والبحر بيننا وبينهم ، فقال « العلاء » : يا عليم يا حليم يا على يا عظيم ، انا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك ، اللهم فاجعل لنا اليهم سبيلا ، فتقحم بنا البحر فخذنا ما يبلغ لبيدنا الماء ، فخرجنا اليهم .

وروى « أبو هريرة » ما يشبه هذا في البحرين ، وزاد : فلما رأنا « ابن مكبر » عامل كسرى قال : لا والله لا نقاتل هؤلاء ، ثم قعد فى سفينة فلحق بفارس .

٥ - هم سباق الأمم والقرون وبإخلاصهم يمتطرون وينصرون ، واستشهد على ذلك بالحديث الشريف : لكل قرن من أمتى سابقون ، وبحديث : خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة ، والأبدال أربعون ، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون ، كلما مات رجل أبدل الله - عز وجل - من الخمسمائة مكانه وأدخل من الأربعين مكانهم . قالوا :

يا رسول الله ، دلنا على أعمالهم • قال : يعفون عن ظلمهم
ويحسنون الى من أساء اليهم ويتواسون فيما أتاهم الله عز وجل •

٦ - أنهم نظروا الى باطن العاجلة فرفضوها والى ظاهر
بهجتها وزينتها فوضعوها ، وروى حديث « وهب بن منبه » : قال
الحواريون : يا عيسى ، من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ؟ قال « عيسى بن مريم » عليه السلام : الذين نظروا الى
باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ، والذين نظروا الى أجل
الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها ، فأماتوا منها ما يخشون أن
يشينهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم •

٧ - هم المصونون عن مرامقة حقارة الدنيا بعين الاغترار ،
المبصرون صانع حبيبهم بالفكر والاعتبار • عن « ابن عباس »
- رضى الله عنهما - : قال : لما بعث الله - عز وجل - موسى وهارون
- عليهما السلام - الى فرعون قال لهما : لا يغرنكما الذى ألبسته
فان ناصيته بيدى فلا ينطق ولا يطرف الا باذنى •

٨ - وهم الشغفون به وبوده ، والكلفون بخطابه وعهده • عن
« عائشة » - رضى الله تعالى عنها - عن النبى - صلى الله عليه
وسلم - : أن « عيسى » - عليه السلام - قال : يارب أخبرنى بأكرم
خلقك عليك • قال : الذى يسرع الى هواى اسراع النسر الى هواه ،
والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالناس ، والذى
يغضب ان انتهكت محارمى غضب النمر لنفسه ، فان النمر اذا
غضب لم يبال أقل الناس أم كثروا •

واستطرد - هنا - الى وصف « ذى النون » المصرى للصوفية •

٩ - هم مصابيح الدجا وينابيع الرشد والحجا ، خصوا
بخفى الاختصاص ونقوا من التصنع بالاخلاص • مر « عمر » بمعاذ

وهو يبكى • فقال : ما يبكيك يا معاذ ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول : أحب العباد الى الله الأتقياء الأخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا شهدوا لم يعرفوا أولئك هم أئمة الهدى ومصابيح العلم •

١٠ - هم الواصلون للحبل والعازلون للفضل والحاكمون بالعدل • مصداقا لحديث « عائشة » عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - : أتدرون من السائقون الى ظل الله - عز وجل - ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : الذين اذا أعطوا الحق قبلوه ، واذا سئلوه بذلوه ، وحكموا للناس حكمهم لأنفسهم •

١١ - هم المنبسطون جهرا المنقبضون سرا ، يبسطهم روح الارتياح والاشتياق ويقلقهم خوف القطيعة والفراق • قال « عياض ابن غنم » : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول : ان من خيار أمتي فيما اتانى الملائ الأعلی في الدرجات العلا قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ، ويبكون سرا من خوف شدة عذاب ربهم - عز وجل - ، أقدامهم في الأرض وقلوبهم في السماء ، أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة ، ليس لهم هم الا أمامهم ، قبورهم في الدنيا ومقامهم عند ربهم - عز وجل - ، ثم تلا : ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد •

١٢ - وهم المبادرون الى الحقوق من غير تسويق والموفون بالطاعات من غير تطفيف • فيما يروى عن « جابر » عن النبي صلى الله عليه وسلم - : ان من موجبات ولى الله ثلاثا ، اذا رأى حقا من حقوق الله لم يؤخره الى أيام لا يدركها وأن يعمل العمل الصالح العلانية على قوام من عمله في السريرة ، وهو يجمع مع ما يعمل صلاح ما يأمل •

اشتقاق كلمة التصوف :

وتحدث « أبو نعيم » في مقدمة كتابه عن اشتقاق كلمة التصوف فقال :

اشتقاقه عند أهل الإشارات والمفتين عنه بالعبارات من الصفاء والوفاء .

واشتقاقه من حيث الحقائق التي أوجبت اللغة ، فإنه تفعل من أحد أربعة أشياء :

١ - من الصوفانة وهي بقلة وغباء قصيرة .

٢ - من صوفة وهي قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة .

٣ - من صوفة القفا وهي الشعرات النابتة في المؤخرة .

٤ - من الصوف المعروف على ظهر الضأن . وتعليل ذلك :

أخذه من الصوفانة وهي البقلة ، فلاجتزاء القوم بما وجدوا وبما من الله به عليهم من غير تكلف . عن « قيس بن أبي حازم » عن « سعد بن أبي وقاص » قال : والله انى لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله - عز وجل - ، ولقد كنا نغزو مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لنا طعام نأكله الا ورق الحبلية وهذا السمر حتى قرحت أشداقنا ، وحتى ان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ، ماله خلط .

وأخذه من « صوفة » التي هي القبيلة ، فلأن المتصوف فيما كفى من حاله أحد أعلام الهدى ، لعدولهم عن الموبقات واجتهادهم في القربات . - جاء في دائرة المعارف الإسلامية : صوفة أبو حى من مضر وهو « الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس مضر »

كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج ، أى يفيضون بهم ، وكانت العرب اذا حجت وحضرت عرفة لا تدفع منها حتى يدفع بها صوفة » ، وسمى « الغوث » بصوفة لأن أمه جعلت في رأسه صوفة وجعلته ربيطا للكعبة يخدمها -

وأخذه من صوفة القفا ، فمعناه أن المتصوف معطوف به الى الحق ، مصروف به عن الخلق •

وأخذه من الصوف لاختيارهم لباس الصوف لأنه لا كلفة للآدميين في انبائته وانشائه ، وأن النفوس الشاردة تذلل بلباس الصوف ، وتكسر نخوتها وتكبرها به لتلتزم المذلة والمهانة وتعتاد البلغة والقناعة • قال « جعفر بن محمد الصادق » : من عاش في ظاهر رسول الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو سنى ، ومن عاش في باطنه فهو صوفى • وأراد بباطنه أخلاقه الطاهرة واختياره للأخرة ، فمن تخلق بأخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتخير ما اختاره رغب فيما فيه رغب ، وتكذب عما تنكب ، وأخذ بما اليه ندب ، فقد صفا من الكدر • ومن عدل عن سمته ونهجه ، وعول على حكم نفسه كان من التصوف خاليا وفي التجاهل ساعيا •

ثم ان العقل يدعو الى التصوف استنادا الى الحديث الشريف الذى رواه « أبو سعيد الخدرى » - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : قسم الله - عز وجل - العقل على ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ، ومن لم يكن فيه فلا عقل له : حسن المعرفة بالله - عز وجل - ، وحسن الطاعة لله - عز وجل - ، وحسن الصبر على ما أمر - عز وجل - •

تذوقات العارفين لمعنى الصوفى :

قال : « أبو نعيم » : كيف ينسب الى التصوف من اذا عورض

في حقيقة معرفة الله - عز وجل - كل عنها وخاط فيها ؟ وإذا طوِّب
بموجب الطاعة جهلها وتخطب فيها ؟ وإذا امتحن بمحنة يجب الصبر
عليها وعنهما جزع وعجز ؟

وعلى هذا فالصوفي - في نظره - هو الذي يجعل معرفة الله
وطاعته هدفه الأسمى مستعينا على ذلك بالصبر على ما يعترضه
من محن وعلى ما يقابله من عقبات ، وعلى الاستمرار في الطاعة
فلا يقف فيها عند حد ، ولأى يفرح بما يقابله دون الوصول إلى
الغاية من منح .

واستدل « أبو نعيم » على مفهومه ذلك بأقوال العارفين .

فقد قال « الجنيد » : التصوف اسم جامع لعشرة معان :
التقلل من كل شيء من الدنيا عن التكاثر فيها - اعتماد القلب على
الله - عز وجل - من السكون إلى الأسباب - الرغبة في الطاعات
من التطوع في وجود العوافي - الصبر عند فقد الدنيا عن الخروج
إلى المسألة والشكوى - التمييز في الأخذ عند وجود شيء - الشغل
بالله - عز وجل - عن سائر الأشغال - الذكر الخفي عن جميع
الأذكار - تحقيق الاخلاص في دخول الوسوسة - اليقين في دخول
الشك - السكون إلى الله - عز وجل - من الاضطراب والوحشة .

أما « ذو النون المصري » فيقول : الصوفي من إذا نطق أبان
نطقه عن الحقائق ، وإن سكنت نطقته عنه الجوارح بقطع العلائق .

والتصوف هو قمة الأخلاق الفاضلة . يقول « الجنيد » في ذلك:
التصوف الخروج من كل خلق دنى والدخول في كل خلق سنى .

والصوفي هو العارف بالله ، وعلامة العارف - كما يقول
« الشبلي » - صدره مشروح وقلبه مجروح وجسمه مطروح .

وقد قيل للشبلي : هذه علامة العارف فمن العارف ؟ قال :
العارف الذى عرف الله - عز وجل ، وعرف مراد الله - عز وجل -
وعمل بما أمر الله ، وأعرض عما نهى الله ، ودعا عباد الله الى
الله .

وحين قيل له : من الصوفى ؟ قال : من صفى قلبه فصفا ،
وسلك طريق المصطفى ، ورمى الدنيا خلف القفا ، وأذاق الهوى
طعم الجفا .

قيل له : هذا الصوفى فما التصوف ؟ قال : التآلف والتظرف
والاعراض عن التكلف .

وقال عنه أيضا : تسليم تصفية القلوب لعلام الغيوب .
وقال أيضا : التصوف تعظيم أمر الله وشفقته على عباد الله .
أما الصوفى فحده : من صفا من الكدر ، وخلص من العكر ،
وامتلا من الفكر ، وتساوى عنده الذهب والدر .

والتصوف فى رأى « أبى نعيم » ليس عبادة فقط ، ولكنه مع
ذلك تصفية للنفس وترقية للفكر ، وسياحة عقلية فى ملكوت الله تترد
على صاحبها بأرقى أنواع المعارف والمشاهدات والأسرار . وقد
أشار الى ذلك بقوله :

يشتمل كلام المتصوفة على ثلاثة أنواع :

١ - اشارتهم الى التوحيد .

٢ - كلامهم فى المراد ومراتبه .

٣ - كلامهم فى المريد وأحواله .

ولكل من هذه الثلاثة مسائل وفروع .

فأول أصولهم العرفان ثم احكام الخدمة والادمان ، فقد أوصى

النبي - صلى الله عليه وسلم - « معاذ بن جبل » حين أرسله الى اليمن فقال له : انك تقدم على قوم اهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله ، فاذا عرفوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم صلوات ، فاذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم فترد على فقرائهم ٠٠

وهذا الحديث يرسم الطريق للداعية الى الله كيف يضع منهجه في الدعوة ، وكيف ينتقل بمن يدعوهم الى الله خطوة خطوة ، حتى يجمع همهم ولا يفرق عزمهم ، وبذلك يحكمون الشعائر ويفهمون أسرارها بعد التحقق بها ٠

وقد ذهب رجل الى النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلب منه أن يدلّه على غرائب العلم ٠ فقال له : ماذا فعلت فيما علمته ؟ اعمل بما علمت ، ثم تعال أعلمك من غرائب العلم ٠

وهذا أصل من أصول الطريق الصوفي ، وهو العمل ، والعمل يورث العلم ، مصداقاً لقوله تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله » - البقرة ٢٨٢ - وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » الأنفال ٢٩ ٠

وقوله - عليه الصلاة والسلام - : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ٠

المعاني الصوفية :

وقد أشار « أبو نعيم الى أن المعاني الصوفية تدور حول أركان أربعة هي :

١ - معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ٠

٢ - معرفة النفوس وشرورها ودواعيها •

٣ - معرفة وساوس العدو ومكائده ومضاله •

٤ - معرفة الدنيا وغرورها وتفتينها وتلوينها وكيفية الاحتراز منها والتجافي عنها •

وقد ألزموا أنفسهم بعد توطئة هذه الأبنية دوام المجاهدة وشدة المكابدة ، وحفظ الأوقات واغتنام الطاعات • قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ان الله يحب العبد التقي الغنى الخفى •

ان هذا المنهج في رأى « أبى نعيم » لابد أن يثمر الأحوال الشريفة والأخلاق اللطيفة •

ولهم في تعليم النبى - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه قدوة طيبة ، فقد روى عن « ابن عباس » - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له : يا غلام ، ألا أحبوك ؟ ألا أنحك ؟ ألا أعطيك ؟ قال : قلت : بلى ، يا أبى أنت وأمى يا رسول الله - قال : فظننت أنه سيقطع لى قطعة من مال - فقال : أربيع تصلين كل يوم وليلة ، فتقرأ أم القرآن وسورة ، ثم تقول : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة • ثم تركع فتقولها عشرا ، ثم تفعل فى صلاتك كلها مثل ذلك • فإذا فرغت فقل بعد التشهد وقبل التسليم : اللهم انى أسألك توفيق أهل الهدى ، وأعمال أهل اليقين ، ومناصحة أهل التوبة ، وعزم أهل الصبر ، وجد أهل الخشية ، وطلبة أهل الرغبة ، وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك ، اللهم انى أسألك مخافة تحجزنى عن معاصيك وحتى أعمل بطاعتك عملا أستحق به رضاك ، وحتى أناصحك فى التوبة خوفا منك ، وحتى أخلص لك النصيحة حبا لك وحتى أتوكل عليك فى الأمور حسن الظن بك ، سبحان خالق النور ،

فإذا فعلت ذلك يابن عباس غفر الله لك ذنوبك صغيرها وكبيرها ،
قديمها وحديثها ، سرها وعلايتها ، وعمدها وخطأها •

لقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - حريصا على تعليم
أصحابه كيف يأخذون أنفسهم بعزائم الأمور ، وكيف يغتنمون
الفرص للتقرب الى الله ومناجاته والتضرع اليه • أما الدنيا فلا
حساب لها في ميزان الفكر السليم ، ولقد كان « ابن عباس » في واد
والنبي - صلى الله عليه وسلم - في واد آخر ، حتى أخذ النبي - صلى
الله عليه وسلم - بيده الى الطريق الصحيح والمحجة الواضحة •

والمتصوف الحق لا قيمة للدنيا في نظره ، فهي لا تعدل عند
الله جناح بعوضة •

ان الصوفية - كما يقول « أبو نعيم » هم السفراء الى الخلق
والأسراء لدى الحق ، أزعجهم الفرق وأهمهم القلق •

حبهم للحق وفي الحق يحييهم ويفنيهم ، وعمن سواه من الخلق
يلهيهم ويسليهم •

فقه التصوف :

لقد وصل « أبو نعيم » الى حقيقة التصوف ، وفقه معناه ،
فكانت ترجمته لمن ترجم لهم في كتابه « حلية الأولياء » ترجمة عملية
لروح التصوف وأذواقه ومعانيه •

لقد ثبت لديه مما روى في كتابه من أحاديث وما ترجم من أعلام
ان التصوف أحوال قاهرة وأخلاق طاهرة •

وبدا في تراجمه بذكر من اشتهر من الصحابة بحال من
الأحوال وحفظ عنه حميد الفعال ، وكان من السابقين في جهاد
النفس العارفين بجلال الله وحقه ، حتى يكونوا قدوة للسالكين
والمريدين •

ونُختار بعض النماذج المترجمة التي استنبط من سلوكها
الممتاز دقائق التصوف لنقتطف مما كتبه عنها بعض العبارات التي
تشهد بقوة استنباطه ودقة فهمه وعمق فقهه • ففي سيرة « أبي
بكر » - رضى الله عنه - يقول :

كان - رضى الله عنه - يتوصل بعز الوفاء الى أسنى مواقف
الصفاء • وقد قيل : ان التصوف تفرد العبد بالصمد الفرد •

وكان - رضى الله عنه - لا يفارق الجد ولا يجاوز الحد ،
وقيل : ان التصوف الجد في السلوك الى ملك الملوك •

وكان - رضى الله عنه - يقدم على المضار لما يؤمل فيه من
المسار ، وقد قيل : ان التصوف السكون الى اللهيبة في الحنين
الى الحبيب •

وكان - رضى الله عنه - يقدم الحقيق مفتادا للخطير ، وقد
قيل : ان التصوف وقف الهمم على مولى النعم •

ويستشهد على هذه الفقرة بالقصة الآتية : أتى « أبو بكر »
النبي - صلى الله عليه وسلم - بصدقته فأخفاها ، فقال يا رسول
الله : هذه صدقتى والله عز وجل عندي معاد •

وجاء « عمر » بصدقته فأظهرها فقال : يا رسول الله هذه
صدقتي ولى عند الله معاد • فقال الرسول : يا عمر وترت قوسك
بغير وتر • ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما •

وكان - رضى الله عنه - في المصادفات صافيا وفي المؤاخذة
وافيا ، وقد قيل : ان التصوف استنفاد الطوق في معاناة الشوق ،
وتزجية الأمور على تصفية الصدور •

لقد أخذ من سيرة « أبي بكر » - رضى الله عنه - ما استطاع
الصوفية أن يجعلوه منهجا يسسيرون عليه ، ويصوغون في ظله
عباراتهم التي توضح مدلول التصوف كمسلك وذوق •

وفى ترجمة « عمر » رضى الله عنه - يقول :

كان - رضى الله عنه - للدين معلنا ولأعمال الخير مبطنا ،
وقد قيل : ان التصوف الوصول بما علن الى ظهور ما بطن •

وكان مخصصا بالسكينة فى الانطاق ، محذرا من القطيعة
والفراق ، ومشهرا فى الأحكام بالأصابة والوفاق • وقد قيل : ان
التصوف الموافقة للحق والمفارقة للمخلق •

وكان رضى الله عنه - بالحقائق لهجا عروفا وعن الأباطيل
عزوفاً ، وقد قيل : ان التصوف دفع دواعى الردى بما يرقب من
الصدى •

وكان - رضى الله عنه - عن فناء الملائك منتهيا ولباقى المعاد
مبتغيا ، يلزم المشقات ويفارق الشهوات ، وقد قيل : ان التصوف
حمل النفس على الشدائد الذى هو أشرف الموارد •

فهذه الصفات التى وصف بها أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب»
من اخفاء أعمال البر وإظهار الجهاد فى سبيل الحق وموافقة الطاعة
والميل الى الخفاء والاقبال على الطاعة والعزوف عن الباطل وإيثار
الآخرة على الأولى هى أخص صفات التصوف •

وفى حديثه عن « عثمان » - رضى الله عنه - أيضا يربط
التصوف بأخلاقه فيقول :

كان رضى الله عنه - ممن هو قانت آتاء الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، غالب أحواله الكرم والحياء والحدز
والرجاء ، حظه من النهار الجود والصيام ومن الليل السجود والقيام ،
مبشر بالبلوى ومنعم بالنجوى ، وقد قيل : ان التصوف الصبر على
مرارة البلوى ليدرك به حلوة النجوى •

كما كان - رضى الله عنه - الى رضاه ربه متوصلا وببذله

للعباد متنقلا • ولحظ نفسه متقللا ، وفي لباسه وطعامه متعللا ، وقد قيل : ان التصوف ابتغاء الوسيلة الى منتهى الفضيلة •

فانظر كيف ربط بين صفات أمير المؤمنين « عثمان » - رضى الله عنه - وبين ما يدعو اليه التصوف من صفات مثلى وسلوك حميد ، وبذلك يكون التصوف مربوطا بسبب وثيق الى الخلافة الرشيدة وصحبة الرسول المجيدة •

وقد أخذت ترجمة الامام « على » - رضى الله عنه - حظها الموفور من حديث « أبى نعيم » ولذلك اعتبار خاص عند الصوفية حيث ينظرون اليه على أنه منبع من منابع علومهم ، فأساس الذكر مروى عنه - كما يقول الشيخ « عبد ربه بن سليمان » (١) - • وهو أول من تكلم في علم التصوف كما يقول « ابن عجيبة » (٢) - وهذا ما يراه « العقاد » (٣) نقلاً عن « ابن أبى الحديد » •

لعل هذا المعنى راود ذهن « أبى نعيم » فأفاض في ترجمة الامام « على » وصدرها بقوله : وسيد القوم محب المشـهـود ومحـبـوب المعبود ، باب مدينة العلم ، قدوة المتقين وزينة العارفين المنبئ عن حقائق التوحيد المشير الى لوازم التفريد ، صاحب القلب العقول واللسان السؤول ، والأذن الواعى والعهد الوافى ، فقهاء عيون الفتن ووقى من منون المحن ، فدفع الناكثين ووضع القاسطين ودفع المارقين ، الأخيشن في دين الله المسوس في ذات الله ، وقد قيل : ان التصوف مرآة المودود ومصارمة المحدود •

(١) فيض الوهاب في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب ح ٨

ص ٢٣ •

(٢) ايظاظ الهمم على شرح الحكم ح ٦ •

(٣) مبرية الامام ص ٣٠ - سلسلة اقرا •

وكان الاستسلام والانقياد شأنه والتبرؤ من الحول والقوة مكانه ، وقد قيل : التصوف اسلام الغيوب الى مقلب القلوب •

وكان - رضى الله عنه - على الأوراد مواظبا وللأزواد مناحبا وقد قيل : التصوف الرغبة الى المحبوب فى درك المطلوب •

وكان اذا لزمه فى العيش الضيق والجهد اعرض عن الخلق ، فأقبل على الكسب والكد ، وقد قيل : ان التصوف الارتقاء فى الأسباب الى المقدرات من الأبواب •

وكان بذات الله عليما ، وعرفان الله فى صدره عظيما ، وقد قيل : التصوف البروز من الحجاب الى رفع الحجاب •

واستشهد من كلام « على بن أبى طالب » على ما يفتح الطريق الى التعبير عن مذاقات الصوفية وأحوالهم ، فقد روى عن « خلاص ابن عمر » قال : كنا جلوسا عند « على بن أبى طالب » فسأله رجل من « خزاعة » عن نعت الاسلام ، فقال : بنى الاسلام على أربعة أركان : على الصبر واليقين والجهاد والعدل •

وللصبر أربع شعب : الشوق والشفقة والزهادة والتقرب •

فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات

ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات

ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات

ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات

ولليقين أربع شعب : تبصرة الفطنة ، وتأويل الحكمة ، ومعرفة العبرة ، واتباع السنة •

فمن أبصر الفطنة تأول الحكمة

ومن تأول الحكمة عرف العبرة

ومن عرف العبرة اتبع السنة
ومن اتبع السنة فكأنما كان في الأولين
وللجهاد أربع شعب : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ،
والصدق في المواطن ، وشنآن الفاسقين •
فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمنين
ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق
ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه وأحرز دينه
ومن شنأ الفاسقين فقد غضب الله ، ومن غضب الله يغضب الله
له •

وللعدل أربع شعب : غوص الفهم ، وزهرة العلم ، وشرائع
الحكم ، وروضة الحلم •
فمن غاص بالفهم فسر جمل العلم
ومن رعى زهرة العلم عرف شرائع الحكم
ومن عرف شرائع الحكم ورد روضة الحلم
ومن ورد روضة الحلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس وهو
في راحة •

(كذا رواه « خلاص بن عمرو » مرفوعا ، وخالف الرواة عن
« علي » فقال : الاسلام • ورواه « الأصمعي بن نباتة » عن « علي »
مرفوعا فقال : الايمان ، ورواه « الحارث » عن « علي » مرفوعا
مختصرا ، ورواه « قبيصة » عن « جابر » عن « علي » من قوله) -
الحلية ح ١ ص ٧٤ •

ثم ذيل ترجمته عن « علي » بفقرات من وثيق عباراته ودقيق

اشاراته ، وذكر وصيته لكميل بن زياد التي تدل السالكين على الله ، وذكر أمثلة طيبة من زهده وتعبدته ، كما أفاض في أوصاف أصحابه له ، ومن ذلك وصف « ضرار » له في مجلس « معاوية » وأشار الى أنه أبو العترة الطاهرة التي يحبها الصوفية . ثم عقب « أبو نعيم » على ذلك بقوله : فالمحققون بموالاة العترة الطيبة هم : الذيل الشفاه المفترشو الجباه ، والأذلاء في نفوسهم الفناة ، المفارقون لمؤثرى الدنيا من الطغاة ، هم الذين خلعوا الراحة ، وزهدوا في لذى الشهوات ، وأنواع الأطعمة وألوان الأشربة ، فدرجوا على منهاج المرسلين والأولياء من الصديقين ، ورقضوا الزائل الفانى ، ورغبوا في الزائد الباقي في جوار المنعم المفضل ومولى الأيادى والنوال .

وهكذا يفعل « أبو نعيم » في تراجمه جميعا ، لا يهمه الا مراعاة الآداب الصوفية التى تميز بها صاحب الترجمة ، فهو يعرض طائفة من أخلاقه وسلوكه وعبادته وزهادته التى تدل على أن المتصوفة انما ساروا في طريقهم على نهج السلف الصالح ، ولذلك فهم السلفيون بمعنى الكلمة .

يؤيد هذا المعنى ما ذكره في الجزء الثانى ص ٢٥ ، بعد أن انتهى من ذكر أهل الصفة حيث قال : اذ حقيقة هذا المذهب متتابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغ وشرع وأشار اليه وصدر ثم القدوة المتحققين من علماء المتصوفة ورواة الآثار وحكام الفقهاء ولذلك ضمنت الى ما ذكرهم « السلمى » ما ذكر الأغر الأبلج « أبو سعيد بن الأعرابى » رحمه الله - وكان أحد أعلام رواة الحديث والمتصوفة ، وله التصانيف المشهورة فى سيرة القوم والسياسة واقتفاء آثارهم ، واقتفى فى باقى الكتاب من ذكر التابعين حذوه ، اذ هو شرع فى تأليف طبقات النساك ، واقتصر ان شاء الله على ذكر جماعة من كل طبقة مستعينا بالله ومعتمدا على جميل كفايته اذ هو الولي والمعين . اهـ .

وهذه مقتطفات من سير بعض من ذكرهم من الصحابة والتابعين :

- « فطلحة بن عبيد الله » كان في الشدة والقلة لنفسه بذولا وفي الرخاء والسعة بماله وصولا . وقد قيل : ان التصوف النزوح بالأحوال والتخفف من الأثقال .

- و « الزبير بن العوام » كان لمولاه مستكينا وبه مستعينا ، قاتل الأبطال وبأذل الأموال . وقد قيل : ان التصوف الوفاء بالثبات والتسامح بالمال والجداات .

- و « عثمان بن مظعون » لم تنقصه الدنيا ولم تحطه عن العلياء ، تعجل الى المحبوب فتسلى عن المكروب . وقد قيل : التصوف تشوف الصادى الراغب عن الكدر الى صفاء الورد من غير صدر .

- و « مصعب بن عمير » سيد التقاة ، سبق الركب وقضى النحب ، ورغب عن التتريف والتسويف ، وغلب عليه الحنين والتخويف . وقد قيل : التصوف طلب التائيس في رياض التقديس .

- « وحبيب بن عدى » الثابت الصابر في ذات الله المحبوب ، وقيل : التصوف اقامة الدنف المعذب على حفاظ الكلف المذهب .

- و « جعفر بن أبى طالب » فارق الخلق ورامق الحق ، وقيل : التصوف الانفراد بالحق عن ملابسة الخلق .

- و « عبد الله بن رواحة » الذى استشهد بالبلقاء ، كان زاهدا في البقاء راغبا في اللقاء . وقيل : التصوف الانفراد بالحق عن ملابسة الخلق .

- و « صهيب بن سنان » أسرع الاجابة لله تعالى ورسوله ، لماله بذول ولنفسه قتل ولدينه عقول . والتصوف الأخذ بالأصول والترك للفضول والتشمير للوصول .

– و « أبو ذر الغفاري » اعتزل مخالطة البرايا ، وخدم الرسول وتعلم الأصول ونبذ الفضول . وقيل : التصوف التاله والتدله عن عليات التوله .

– و « الحسن بن على – رضى الله عنهما – له فى معانى المتصوفة الكلام المشرق المرتب والمقام المؤثق المذهب . وقد قيل : التصوف تنوير البيان وتطهير الأركان .

– و « مسروق بن الأجدع » واسمه : « مسروق بن عبد الرحمن الهمداني الكوفي » هو الهائم بحبه الذاكر لذنبه . وقد قيل : التصوف المتشمر للورد والحق ، والتبصر فى الوجود والطروق .

– و « الحسن البصري » هو الفقيه الزاهد المتشمر العابد ، كان لقصد الدنيا وزينتها نابذا ، ولشهوة النفس ونخوتها واقذا – الوقذ : الضرب حتى الاضعاف والاشراف على الموت – وقيل : التصوف التنقية من الدرن والتوفية من البدن للتبقية فى عدن .

الحقائق والأذواق الصوفية :

يعد القرن الرابع الهجرى قرن النضج العلمى ، وكان لتشجيع الحكام كما سبقت الاشارة أثر فى نمو الحركة العلمية وازدهارها . كان لقوة الدولة وكثرة جبايتها أثر فى أن يبذل الخلفاء فى سبيل العلم ، حتى ألهبوا الهمم بعطائهم الكثير ، وحين ضعف الخلفاء لم يضعف العلم فقد أدى التنافس بين الولايات التى اقتطعت من جسم الدولة العباسية ما كان يؤديه عطاء الخلفاء للعلماء (١) .

ولكن التصوف الذى يدعو الى الزهد ليس منشأ الازدهار فى

(١) راجع الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى ص ١٧٦ .

علومه تشجيع الحكام والخلفاء أو التنافس ، ولكن ازدهاره جاء تبعاً لازدهار غيره من العلوم ، فإن التقدم يستتبع بعضه بعضاً ، والتصوف أحد العلوم الشرعية الحادثة في الملة كالفقه والتفسير والحديث وغيرها • قال « ابن خلدون » : فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقتهم ، وصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط « (١) •

ولقد سبق « أبا نعيم » مؤلفون ، وجاء بعده مؤلفون ، ولكن عناية « أبا نعيم » كانت متجهة إلى إثبات أصول الطريق واستمداد التصوف من الكتاب والسنة ، عن طريق ذكر أخلاق السلف الصالح ومعاملتهم مع ربهم وسلوكهم ومراقبتهم ومحاسبتهم أنفسهم وذكر نبذ من أقوالهم التي تدل على الله وحسن الصلة به والدعوة إلى معرفته •

ويمكن استخلاص المعارف الصوفية التي قننت فيما بعد من خلال ما يمر في أثناء حديثه عن رجاله المترجم له • هذه المعارف التي أفاض مؤلفو الصوفية بعد « أبا نعيم » في بيان ما تتضمنه من مجاهدات وأذواق وأحوال ••

ولنكتف في بيان ذلك بالأمثلة الآتية من خلال كتاب « حلية الأولياء » •

١ - يبدأ المريد - عادة - طريقه بالتوبة • ونجد أحاديث متعددة عن التوبة منها ما نستخلصه من سيرة « عبد الله بن المبارك » حين قال :

(١) المقدمة ص ٤٦٩ •

رأيت الذنوب تميت القلوب
ويتبعها الذل أزمانها

وترك الذنوب حياة القلوب
فاختر لنفسك عصيانها (١)

وهذان البيتان يشيران الى أن التوبة مقام يبدؤه المريد بالاقلاع عن المعاصي والتوبة منها والندم عليها ، ثم لا تليث أن تصاحب التوبة السالك في مسيرته ، وتوبته حينئذ ليست عن الخطايا والذنوب ولا هي بالندم والاستغفار ، انما هي - كما يقول الدكتور « ابراهيم بسيوني » : حدوث انتقال نفسى يتم بعده استحضار الله في كل خطرة من الخطرات ، وآية ذلك عصيان النفس أو اماتتها ، وفي هذه الامامة حياة القلوب وانتعاش الأرواح (٢) .

والتوبة أولا تحتاج الى تنبيه يوقظ النفس ويرغبها في الرجوع الى الله ، وتحرك اليقظة باعث الطلب في تلاقي الوقت وجبر الكسر ، وربما كان الشعور وما يحمله من عاطفة صادقة وقوة بيانية آخذة أحد الأسباب التي تنبيه من أراد الله به خيرا . يدل على ذلك ما أورده « أبو نعيم » في الحلية في ترجمة « ابراهيم بن أدهم » قال « حذيفة المرعشى » : صحبت « ابراهيم بن أدهم » بالبادية حتى بليت ثيابنا فدخلنا الكوفة وأوينا الى مسجد خراب ، فنظر الى « ابراهيم » فقال : يا حذيفة أرى بك الجوع . فقلت : ما رأى الشيخ ؟ فقال : على بدواة وقرطاس . فخرجت فجئته بهما ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم : أنت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى .

أنا حاضر أنا ذاكر أنا شاكر
أنا جائع أنا حاسر أنا عارى

(١) الحلية ح ٨ ص ٢٧٩ .

(٢) نشأة التصوف ح ١٢٠ .

هى ستة وأنا الضمين بنصفها
فكن الضمين لنصفها يا بارى

مدحى لغيرك لفتح نار خضتها
فأجر عبيدك من وجود النار

ودفع الى بالرقعة وقال : اخرج ولا تعلق سرك بغير الله ،
وأعطها أول من تلقاه ، فخرجت فاستقبلنى رجل راكب على بغلة
فأعطيته اياها فقرأها وبكى . وقال : أين صاحب هذه الرقعة ؟
فقلت فى المسجد الفلانى الخراب . فأخرج من كمة صرة دنانير
فأعطانيها . فسألت عنه فقليل : هو نصرانى .

فرجعت الى « ابراهيم » فأخبرته فقال : لا تمسها فانه يجيء
الساعة ، فما كان بأسرع أن وافى النصرانى ، فأنكب على رأس
« ابراهيم » فقال : يا شيخ قد حسن ارشادك الى الله ، فأسلم ، وصار
صاحباً لابراهيم رحمه الله (١) .

وكما قلنا سابقا : التوبة تحتاج الى ملازمة وهى حينئذ تصبىح
مقاما يتحقق به صاحبه ، يجد حلاوته فى قلبه ، ويدل على ذلك قول
« عبد الواحد بن زيد » : نمت عن وردى ليلة ، فاذا انا بجارية لم
أر أحسن منها وجها وعليها ثياب حرير خضر ، وفى رجلها نعلان
وهى تقول : يا بن زيد جد فى طلبى فانى فى طلبك . ثم جعلت تقول
برخيم صوتها :

من يشترينى ومن يكن سكنى
يا من فى ربحه من الغيب
فقلت : يا جارية ، ما ثمنك ؟ فأنشأت تقول :
تودد الله مع محبته وطول شكر يشاب بالحزن

(١) الحلية ح ٨ ص ٣٨ .

فقلت : لمن أنت يا جارية ؟ فقالت :

لمالك لا يرد لى ثمننا من خاطب قد أتاه بالثمن
فأنتبه وآلى على نفسه ألا ينام الليل(١) .

٢ - الخوف وهو من مقامات الصوفية أيضا ، ومفهومه كما
يقول « القشيري » في رسالته : سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير
والشر(٢) .

وصاحب هذا المقام يتمثل جناب الله دائما ، ويفرق عند سماع
أى إنذار أو وعيد ، وشاهده من الحلية ما يرويه « أبو نعيم » في
ترجمة « أويس القرني »(٣) من أنه كان يشهق شهقة غاشية حين
يسمع « ان يوم الفصل ميقاتكم اجمعين » الدخان ٤٠ .

وفي ترجمة « ابراهيم بن ادهم »(٤) الذى كان يفرق حين يسمع
قوله تعالى « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون »
المؤمنون ١١٥ .

لقد كان القرآن الكريم وما فيه من آيات الوعد والوعيد، يثير
تقلب الصوفية بين حالى الرجاء والخوف وقد تناول « ذو النون
المصرى » هذا المعنى فقال :

منع القرآن بوعده ووعيده
محقل العيون بليها أن تهجعا

فهما عن الملك الكريم كلامه
فهما تذله الرقاب وتخضع(٥)

(١) الحلية ح ٦ ص ١٥٧ .

(٢) الرسالة ص ٦٥ .

(٣) ح ٢ ص ٨٥ .

(٤) الحلية ح ٧ ص ٣٦٨ .

(٥) الحلية ح ١ ص ١٤ .

لقد حرمهم الخُوف من لذة النوم وأوقفهم في محراب الله
متبتلين يرجون رحمته ويخافون عذابه .

كما أن الخوف أوقفهم أمام باب الله لا يدرحونه ، والزمهم
الورع عن أن يفعلوا شيئاً يكون سبباً في إسقاطهم من عين الحق ،
وجعلهم يستحضرون صورة الحساب أمامهم ، وما يسجل في كتبهم
من أعمالهم ، وهذه هي يَنْظرة الضمير الحى التى تخلق الإنسان
السوى .

ولئن كان بعض الصوفية شعراء يعبرون عن مواجيدهم بين
الفينة والفينة بأبيات من الشعر ، يقولونها بداهة ، أو يستشهدون
من شعر غيرهم ، إلا أن بعضهم كان الخوف يمنعه أن يقول الشعر
أو يستشهد به كالربيع بن خيثم الذى قيل له : ألا تستشهد ببيت
من الشعر فقد كان أصحابك يتمثّلون فقال : ما من شيء يتمثل به
إلا كتب ، وأنا أكره أن أقرأ فى أمانى بيت شعر يوم القيامة (١) .

إن استذكار الموت كان من بواعث الخوف عندهم ، لا الخوف
من الموت ، بل الخوف من مآجأته قبل استعداد لما بعده ، والقرآن
الكريم يقول : « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله » البقرة ٢٨١ وقد
استيقظ « عمر بن عبد العزيز » يبكى ذات ليلة ف قيل له : ما شأنك ؟
فقال : رأيت شيخاً وقف على فقال :

إذا ما أتتك الأربعون فعندها فاحش الاله وكن للموت حذاراً (٢)

٣ - ومن المقامات التى يعتنى بها الصوفية : الزهد - ولهم فى
معانيه دقائق ورفائق من بينها ما قاله « القشيري » فى رسالته (٣) :

(١) الحلية ح ٢ ص ١١٣ .

(٢) الحلية ح ٥ ص ٢٦٦ .

(٣) الرسالة القشيرية ص ٦١ .

الزهد من قوله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » الحديد ٢٣٠ •

وهناك ارتباط بين التقوى والزهد يمكن ملاحظته مما رواه « أبو نعيم » : قيل لأبى الدرداء - الصحابي الجليل - : مالك لا تقول شعرا فإنه ليس رجل له بيت من الأنصار الا وقد قال شعرا ؟ قال : وأنا أقول فاسمعوا :

يريد المرء أن يعطى مناه
ويأبى الله الا مما أراد
يقول المرء فائدتى ومالى
وتقوى الله أفضل ما استفاد (١)

والزهد قد يستلزم - أحيانا - التقتشف في الحياة ، وما تستتبعه من ثياب حسنة وطعام جيد وماء بارد ورياش وثناء جميل وشهرة ذائعة • ولهم في ذلك فلسفة خاصة ، يريدون بذلك اذلال النفس فتنقاد لهم ويأخذون بها الى طريق الكمال • سئل « مطرف بن عبد الله بن الشخير » عن سر ارتدائه الصوف وجلوسه مع المساكين . فقال : ان أبى كان جبارا فأحب أن اتواضع لربى - عز وجل - لعل الله يخفف عن أبى تجبره (٢) •

وكان « أويس القرنى » ذا طمرين لا يؤبه له ، يتزر بازار من صوف ورداء من صوف ، مجهولا في الأرض معروفا في السماء ، لو أقسم على الله لأبر قسمه (٣) •

انه مما يزهد في الدنيا فناؤها ، والموت يطلب كل مخلوق

(١) الحلية ح ١ ص ١٤٨ •

(٢) الحلية ح ٢ ص ٢٠٠ •

(٣) الحلية ح ٢ ص ٨١ •

فيها ، وما بعد الموت حساب ، فعالم يستكثر الانسان مما يطيل
مناقشته وحسابه ؟ يقول « مسعر بن كدام » :

ومشيد دارا ليسكن داره سكن القبور وداره لم يسكن(١)

وفي القصة التي يقصها « مالك بن دينار » عبرة لمن أراد أن
يعتبر ، فقد مر على رجل يغرس فسيلا ، فغبر عنه يسيرا ثم عاد ،
فمر بالفسيل وقد اخضر ، وسأل عن صاحبه ففعل له : مات ،
فأنشد :

يربى فسيلا ويعنى به فمات المؤمل قبل الأمل
مؤمل دنيا لتبقى له فعاش الفسيل ومات الرجل(٢)

و « مالك » هو الذي يقول : مررت على قبر فاذا مكتوب عليه :

يا أيها الركب سيروا ان غايتكم

أن تصيدوا ذات يوم لاتسيرونا

حثوا المطايا وأرخوا من أزمته

قبل الممات وتضوا ما تقضونا

كنا اناسا كما كنتم فغيرنا

دهر، فسوف كما كنا تكونونا(٣)

وكان « الحسن البصري » كثيرا ما يتمثل بقول القائل :

وما الدنيا بباقية لحي ولا حي على الدنيا بباقي(٤)

وان جمال الزهد وصدقه يكون - كما قال « عبد الله بن

(١) الحلية ج ٧ ص ٢٢١ .

(٢) الحلية ج ٢ ص ٣٨٤ .

(٣) الحلية ج ٢ ص ٣٨٥ .

(٤) الحلية ج ٢ ص ١٥١ .

المبارك « - بالثقة في الله تعالى - ومصدق ذلك ما يقوله « سفيان الثوري » :

ان كنت ترجو الله فاقنع به
فعنده الفضل الكثير البشير

من ذا الذى تلزمه فاقة
وذخره الله العلى الكبير(١)

وما أعظم لذة الزهد وأجل راحته وأحسن عاقبته ! يصدق ذلك ما يقوله « ابن السماك » فى رثاء « داود الطائى » :

« يا داود ، ما أعجب شأنك ، أهنت نفسك تريد كرامتها ،
رائلتها تريد اعزازها ، ووضعتها تريد تشريفها ، وأبقيتها تريد
راحتها » (٢) .

وهل هناك أجمل من أن الزهد فى حقيقة أمره مبعثه الشوق الى الله ووسيلة الى التعرف عليه ؟ يدل على ذلك - كما يقول الدكتور ابراهيم بسيونى (٣) - قول « مالك بن دينار » : « خرج أهل الدنيا منها دون أن يذوقوا أطيب شيء فيها . سألوه : وما هو ؟ فقال : معرفة الله » (٤) .

٤ - ومن المقامات التى يحرص الصوفية على التحقق بها مقام : الرضا . وهو كما يقول « القشيري » فى رسالته(٥) : نهاية التوكل ، ومعناه ألا يعترض الانسان على الحكم والقضاء .

-
- (١) الحلية ح ٨ ص ٢٣٦ .
 - (٢) الحلية ح ٧ ص ٣٣٨ .
 - (٣) نشأة التصوف ص ١٢٢ .
 - (٤) الحلية ح ٤ ص ٣٥٢ .
 - (٥) الرسالة التشميرية ص ٩٧ .

وهناك صلة وثيقة بين الزهد والرضا ، فمن معانى الزهد
الرضا بالقليل والقناعة بما قسم الله ، قال « مسعر بن كدام » فى هذا
المعنى :

وجدت الجوع يطرده رغيف وملء الكف من ماء الفرات
وقل الطعم عون للمصلى وكثر الطعم عون للسبات^(١)

وقال « عبد الواحد بن زيد » : « من قوى على بطنه قوى على
دينه »^(٢) .

وليس هناك أصعب من سؤال الناس الذى يسود الوجه ويضيع
الحياء ويذهب الكرامة ، وقد نهى - النبى صلى الله عليه وسلم -
عنه الا لضرورة محدودة ، والقناعة هى الغنى وليس الغنى عن
كثرة المال ولكن الغنى غنى النفس . قال « بشر بن الحارث » -
فيما يرويه « أبو نعيم » :

أقسم بالله لرضخ النوى	وشرب ماء القلة المالحة
أعز للانسان من حرصه	ومن سؤال الأوجه الكالحة
فاستغن باليأس تكن ذاغنى	مغتبطا بالصفقة الرابعة
اليأس عز والتقوى سؤدد	ورغبة النفس لها فاضدة
من كانت الدنيىا به برة	فانها يوما له ذابحة ^(٣)

٥ - التوكل ، وحقيقته - كما يقول « القشيري »^(٤) -
الاعتصام بالله تعالى ، ويبدو التوكل فى موقف الصحابى الجليل
خبيب بن عدى « الذى لم يجزع من الموت حين عرض عليه فى

(١) الحلية ج ٧ ص ٢١٩ والسبات المنوم .

(٢) الحلية ج ٨ ص ١٠ .

(٣) الحلية ص ٨ ص ٢٤٦ .

(٤) الرسالة القشيرية ص ٨٣ .

مكة وقد أحاط به المشركون ، وقال - فيما يرويه « الاستيعاب ، وأسد
الغابة » .

لقد جمع الأحزاب حولي والبروا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد خيروني الكفر والموت دونه
وقد ذرفت عيناى من غير مجزع
فلسنت أياى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى .

ويبدو التوكل فى مجانبة الخلق وترك السؤال والاعتماد التام
على الله ، « وإبراهيم بن أدهم » يقول :

مدحى لغيرك لهب نار خضتها
فأجر عبيدك من دخول النار(١)

و « سفيان الثوري » يقول :
أهل الرجال اذا أردت اخاءهم
وتوسمن أمورهم وتفقد
ودع التخشع والتذلل تبتغى
قرب امرئ ان تدن منه تبعد(٢)

ان التظاهر بالتخشع والتذلل ابتغاء عطف الناس يتنافى تماما
مع قوة التوكل على الله فى نظر « سفيان » .
وسؤال الناس أيضا يناق « التوكل » على الله كما يقول « ابن
السماك » : الأصل فى السؤال أن يكون لمن أمرك أن تسأله لا لمن يعر
منك اذا سأله(٣) .

(١) الحلية ج ٨ ص ٣٨ .

(٢) الحلية ج ٦ ص ٣٧٦ .

(٣) الحلية ج ٨ ص ٢١٠ .

والسؤال الذى لا ينافى التوكل عند الصوفية هو الذى أشار
اليه النبى - صلى الله عليه وسلم - بقوله : ان المسألة لا تحل الا
لذى فقر مدقع أو دم مفجع أو دين مفزع .

وأشار الشيخ « حسن رضوان » فى كتاب « روض القلوب
المستطاب » الى موضوع السؤال قائلاً :

وان دعت ضرورة الى السؤال
ففيه تفصيل لدى أهل الكمال
ان كان فى حال يرى فيها الضياع
فقد أباحوه بقدر الانتفاع
وتركه التلبيس فى مقـالـه
بالصدق فى اخباره عن حاله
وأن يكون تارك التحييل
بأى حيلة مع التذلل
وتركه السؤال فى شك واجب
بل تركه رأساً هو الأمر الأحب
فاطيب الحلال ماله اكتسب
ذو حرفة وليس فيها مجتنب
قد حضنا « طه » على ترك السؤال
لعلمه بأنه فيه الكمال . . .

والإجمال فى الطلب عن الضرورة الملحة الى السؤال هو الذى
يفهم من كلام « سالم بن ميمون » الذى أورده « أبو نعيم » .
يا صاحب الرزق تفكر فى العجب فى سبب الرزق وللرزق سبب
كلما تسأل فأجمل فى الطلب (١)

(١) الحلية ح ٨ ص ٢٧٨ .

وربما قسا الصوفية على نفوسهم فرفضوا التداوى اتكالا .
وفي ذلك يقول « مالك بن دينار » في مرضه : « دعوني من طبكم ،
والله انك تعلم انى لا اريد البقاء في الدنيا لبطنى ولا لفرجى » (١) .
وقد يكون قد نظر الى « أبى بكر الصديق » رضى الله عنه في
مرض موته حين قيل له : هل دعوت الطبيب ؟ فقال : قد رآنى .
فقال : فماذا قال لك ؟ قال : قال لى : انى فعال لما أريد .

ان التوكل يحتاج الى يقين قوى بالله واعتماد تام عليه ،
فلا ينبغي للمتوكل أن يجزع من قضاء أو يشكو من بلاء ، والمتوكل
الحق لا يقصّد غير الله بالسؤال ، بل ربما اعتبر السؤال في حال
الابتلاء من علامات ضعف اليقين . قال « أبو نعيم » : حدث
« أبو الحسين على بن محمد » أن رجلا كان يسلك البادية على
التوكل ، وكان معودا أن يأتيه رزقه في كل ثلاثة أيام ، فأبطأ عنه
رزقه في اليوم الرابع والخامس ، فأحس ضعفا من نفسه ، فقال :
يارب اما قوة واما رزق ، فاذا بهاتف يهتف :

ويزعم أننا منه قريب
وأنا لا نضيع من أمانا

ويسألنا القوى ضعفا وعجزا
كأننا لا نراه ولا يرانا (٢) .

وهذه حال خاصة وعزيمة قوية لا يقدر عليها الا أهلها ، ومع
ذلك فلم يسلموا من السنة الناس وظلم الناقدين .

٦ - ويمكن ادراك أحوال الصحبة والخلوة والذكر من خلال
الأخبار التى أوردها « أبو نعيم » فيما يأتى :

(١) الحلية ج ٢ ص ٣٦١ .

(٢) الحلية ج ٨ ص ٣٣٦ .

— كان « صلة بن أشيم » من التابعين ، وكان يخرج الى الجبانة فيتعبد بها حتى مات ، وكان في حياته يصيح بعد دفن كل ميت :

فان تنج منها تنج من ذى عزيمة والا فانى لا أخالك ناجيا (١)

— كان « عروة بن الزبير » يجفو مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويقول : انى رأيت مساجدهم لاهية وأسواقهم لاغية والفاحشة في فجاجهم عالية فكان فيما هنالك خير عما هم فيه من عافية (٢) .

— و « عبيد بن عمير » التابعى — وكان يعظ الناس ويذكرهم — فسر الأوابين في قوله تعالى « انه كان للأوابين غفورا » — الاسراء ٢٥ — بأنهم الذين يتذكرون ذنوبهم في الخلاء ثم يستغفرون منها (٣) .

— و « ابراهيم بن أدهم » يقول :

فخذ الله صاحبا وذرا الخلق جانبا (٤)

— و « بشر بن الحارث » يأسى لفقد من كان يأنس بهم من خيرة الصحاب فيقول :

ذهب الرجال المرتجى لفعالهم
والمنكرون لكل امر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم
بعضا ليدفع معور عن معور (٥)

كل هذه مبررات للعزلة عن الناس والنفور منهم .

(١) الحلية ح ٢ ص ٢٤١ .

(٢) الحلية ح ٢ ص ٢٨٠ .

(٣) الحلية ح ٣ ص ٢٦٦ .

(٤) الحلية ح ٨ ص ١١ .

(٥) الحلية ح ٨ ص ٢٣٤ ويقصد بالمعور : المريب .

أما الصحبة الحقيقية فأنها تكون لمثل من وصفه « عبد الله بن محمد بن عبيد » بقوله :

من كان ملتصقا جليسا صالحا
فليات حلقة « مسعر بن كدام »
فيها السكينة والوقار ، وأهلها
أهل العفاف وعلية الأقوام (١)

ومن أمثال من وصفه « عبد الله بن المبارك » بقوله :

أيها الطالب علمي أيت « حماد بن زيد »
فاطلب العلم بحلم ثم قيده بقيد
لا كثور وكجهم وكعمرو بن عبيد (٢)

أنهم يطلبون صحبة من يدلهم على الله ، ويبتعد بهم عن
المجادلات الكلامية والمباحكات اللفظية والخلافات الفقهية والمغالاة
من شأن العقل كما كان يفعل المعتزلة . أنهم لا يريدون تضييع الوقت
فيما لا يطالبون بتحصيله ولا يحاسبون على تركه .

ومن بعدهم جاء من وضع للصحبة آدابا نجدها ظاهرة في قول
« الشاذلي » : أوصاني حبيبي : لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب
الله ، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا بالله . وفي قول « ابن
عطاء الله السكندري » في حكمه : « لا تصحب من لا ينهضك حاله
ولا يدللك على الله مقالته » .

— والذكر منشور الولاية ، وهو ركن قوى في طريق الحق ،
بل هو العمدة في هذه الطريق كما يقول « القشيري » في رسالته .
والخلة تعين على الذكر ، لأنه لا أنيس للعبد في خلوته إلا ذكر ربه ،

(١) الحلية ج ٧ ص ٢١٦ .

(٢) الحلية ج ٦ ص ٢٥٨ .

وما يزال العبد يذكر ربه بلسانه حتى ينتقل الى مرحلة اعظم هي مرحلة الذكر بالقلب ، حينذاك يصبح الله في وجدان العبد ، ويصبح ذكر الله شغله الشاغل .

وقد عبر عن هذه المعانى « ابو عبيدة الخواص » بقوله :

كم قد زللت فلم اذكرك فى زلى
وانت ياسيدى فى الغيب تذكرنى

كم اكشف الستر جهلا عند معصيتى
وانت تلتف بى حقا وتستترنى(١)

٧ - وفى مجال المحاسبة ، يمكن الاستئناس بقول « الأسود بن كلثوم » : اللهم ان نفسى هذه تزعم فى الرخاء انها تحب لقاءك ، فان كانت صادقة فارزقها ذلك ، وان كانت كاذبة فاحملها عليه ، وان كذبت فاطلع لحمى سباعا وطيرا(٢) .

وقال « الحسن البصرى » : لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه حادثوا هذه النفوس فانها طلعة ، وانكم ان اطعتموها تنزع بكم الى شر غاية(٣) .

٨ - اما المذاقات فشأنها فى الطريق الصوفى عظيم ، ويمكن استخلاص بعضها من تراجم الحلية .

- فالحب ، وهو كما يقول « القشيري »(٤) : حال يجدها المحب من قلبه تلتف عن العبارة ، وقد تحملته تلك الحالة على التعظيم له وايثار رضاه وقلة الصبر عنه ، ووجود الاستئناس به

(١) الحلية - ح ٥ ص ٢٦٨ .

(٢) الحلية - ح ٢ ص ٢٥٤ .

(٣) الحلية - ح ٢ ص ١٥٤ .

(٤) الرسالة ص ١٥٨ .

بدوام ذكره له بقلبه ، وليست محبة العبد له - سبحانه - متضمنة ميلا ولا اختلاطا ، وعلامة الحب التسابق في طاعته والشوق الى لقائه والاستهانة بالموت في سبيله .

يدل على ذلك قول : خليل بن عبد الله البصرى « : يا اخوتاه هل منكم من أحد الا يحب أن يلقي حبيبه ، ألا فأحبوا ربكم وسيروا اليه سيرا جميلا(١) » .

وحب الله هو الذى أورثهم الزهد والجاهم الى الخلوة ، فهذا « مالك بن دينار » يقول : خرج أهل الدنيا منها دون أن يذوقوا أطيب شئ فيها وهو معرفة الله . ويستبعد أن يعذبه الله وحبه يملأ قلبه ، فيقول : لا أراك معذبي وأنت قررة عيني يا حبيب قلباه(٢) .

و « داود الطائي » يراه أحد محبيه في المنام ينشد .

مانال عبد من الرحمن منزلة أغلى من الشوق ان الشوق محمود(٣)
وربما كان « ذو النون » جريئا في تعبيره عن حب الله في صراحة ان يقول :

حبك قد أرقنى وزاد قلبى سقما
كتمته فى القلب والأحشاء حتى انكتما
لا تهتك السر الذى البسستنى تكريما
ضيعت نفسى سيدي فردها مسلما(٤)

وحب الله أزلى وهو سابق لحب العبد له . يشهد لذلك قوله تعالى « يحبهم ويحبونه » - المائدة ٥٤ - و « رضى الله عنهم

(١) الحلية ح ٢ ص ٢٣٢ .

(٢) الحلية ح ٦ ص ٢١٢ .

(٣) الحلية ح ٧ ص ٢٦٠ .

(٤) الحلية ح ٩ ص ٢٨٣ .

ورضوا عنه « - البينة ٨ وقد عبر عن ذلك المعنى « أبو يزيد
البسطامي » فيما يشهد به « أبو نعيم » في قوله :

غرسـت الحب غرسا في فؤادي
فلا أسـلو الى يوم التنادي
جرحت القلب منى باتصال
فشـوقى زائد والحب بادى^(١)

وقد يغيب المحب من فرط حبه وتولاه عن نفسه ، فيعبر الصوفية
عن حالة الغيبة هذه بالسكر ، و « الكلاباذى » في كتابه « التعرف
على مذهب أهل التصوف » يعرف السكر بمعنى أن يغيب الإنسان
عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء ، وهو ألا يميز بين موافقه
وملاذه وبين أصدادها في مرافقة الحق ، فان غلبات وجود الحق
تسقطه عن التمييز بين ما يؤله ويلذه^(٢) .

والخمرة المسكرة هنا هى الحب أو المعرفة ، ولذلك يختلف
اثرها عن الخمر الحسية يقول « الشبلى » في ذلك :

الغيب رطب ينــادي يا غافلون الصــبوح
فقلت أهـلا وسهـلا مادام فى الجسم روح^(٣)

هذه أمثلة مما هو مبثوث فى الحلية من المعارف الصوفية ،
وغيرها كثير ، ويمكن استنباط كافة المصطلحات والمعانى منها ،
ولكن « أبا نعيم » لم يكن يعنيه ذلك بقدر ما يعنيه عرض سير أعلامه
عرضا يوضح خصائصهم الصوفية ، ولذلك لم يهتم بسنة المولد أو
الوفاة ، بل كان يهتم ببيان الأخلاق والعبادات والأحاديث التى رواها
عنهم العبارات التى تشهد لهم بالذوق الصوفى .

(١) الحلية ح ١٠ ص ٧٩ .

(٢) التعرف ص ١١٦ .

(٣) الحلية ح ١٠ ص ٣٦٩ .

ويذكر الامام الأكبر الدكتور « عبد الحليم محمود » في كتابه « الليث بن سعد » تعليقا على حديث الشيخ « مصطفى عبد الرازق » عن « الليث » فيقول : ان الشيخ « مصطفى عبد الرازق » يتناسق في رأيه عن « الليث » مع صاحب « حلية الأولياء » الذي عد « الليث » من الصوفية وأرخ له في كتابه قائلا : كان بعلم الأحكام مليا وببذل الأموال سخيا ، وقيل : ان التصوف السخاء والوفاء . ان صاحب الحلية يعده من الصوفية ويأخذ من حياته وسلوكه وعلمه تعريفا للتصوف كعادته ، في كل من تحدث عنهم في الحلية ، انه يلخص حياتهم في كلمات هي طابعهم العام ، وهي تعريف من تعريفات التصوف^(١) .

من قصص الصوفية :

لقد اعتنى « أبو نعيم » بعرض الجوانب التي توضح الخصائص الصوفية للمتخرج لهم - كما قلنا - وذكر من ذلك قصصا طريفة تبعث العبرة في النفوس ، وتثير العظة في القلوب . نسوق أمثلة منها لعلها تكون ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

١ - في ترجمة « عبد الواحد بن زيد »

صلى « عبد الواحد بن زيد الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة . قال : نمت ليلة عن وردى ، فاذا أنا بجارية . . الى أخضر القصة التي وردت قبل ذلك .

٢ - في ترجمة « مالك بن دينار »

ذكر جملة صالحة من كلامه المشرق وعظاته البليغة التي ذاعت عنه . منها :

(١) الليث بن سعد . ص ١٠٢ - سلسلة الاعلام .

– ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى •

– يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟ فان القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض • ان الصديقين اذا قرىء عليهم القرآن طربت قلوبهم الى الآخرة •

– مثل قراء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخا ونصب فيه برة ، فجاء عصفور فقال للفخ : ما غيبك في التراب ؟ قال : التواضع • قال : لأى شيء انحنيت ؟ قال : من طول العبادة • قال : فما هذه البرة المنصوبة فيك ؟ قال : أعددتها للصائمين •

فقال : نعم الجار أنت ، فلما كان عند المغرب دنا العصفور لياخذ البرة فخنقه الفخ ، فقال له العصفور : ان كان العباد يخنقون خنقك فما خير في العباد اليوم •

– مر والى البصرة بمالك بن دينار يرفل ، فصاح به « مالك » أقل من مشيتك هذه ، فهم خدمه به ، فقال : دعوه ، ما أراك تعرفنى ؟ فقال له مالك : ومن أعرف بك منى ؟ أما أولك فنظفة مدرة ، وأما آخرك فجيفة قدرة ، ثم أنت بين ذلك تحمل العذرة • فنكس الوالى رأسه وهشى •

٣ – فى ترجمة « أيوب بن أبى تميمة السخيتاى »

ذكر شيئا من كراماته فقال : قال « عبد الواحد بن زيد » : كنت مع « أيوب » على حراء فعطشت ، فقال : تستر على ؟ قلت : نعم ، فاستحلفنى فحلفت له الا أخبر عنه مادام حيا • قال : فغمز برجله على حراء فنبت الماء فشربت وحملت •

٤ – وذكر من كرامات « حبيب الفارسى » ما يأتى :

اتاه رجل فقال : ان لى عليك ثلثمائة درهم ، قال : من أين ؟ قال : لى عليك • قال : اذهب الى غد ، فلما كان الليل تواضأ وصلى ،

وقال : اللهم ان كان صادقا فاد اليه وان كان كاذبا فابتله في بدنه .
فجىء بالرجل من غد قد حمل وقد ضرب شقه الفالج . فقال : أنا
الذى جئتكم بالأمن لم يكن لى عليك شيء ، وإنما قلت : يستحى
من الناس فيعطيني . قال : أتعود ؟ قال : لا . قال : اللهم ان كان
صادقا فالبسسه العافية . فقام الرجل كأن لم يكن به شيء .

قال « أبو نعيم » : كان حبيب مجاب الدعوة . حضر مجلس
« الحسن » فتأثر بموعظته فخرج عما يملك .
٥ - ومن فضليات النساء « رابعة العدوية »

قالت خادمتها : كانت رابعة تصلى الليل كله فإذا طلع الفجر
هجمت في مصلاها هجمة خفيفة حتى يسفر الفجر . وكنت أسمعها
تقول اذا وثبت من مرقدتها وهى فزعة : يا نفس كم تنامين ، يوشك
ان تنامى نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور .

٦ - وعنهن « عائشة بنت أبى عثمان »

كانت مجابة الدعوة ، قالت ابنتها : قالت أمى : لا تفرحى
بفان ولا تجزعى من ذاهب ، وافرعى بالله واجزعى من سقوطك من
عين الله ، الزمى الأدب ظاهرا وباطنا ، فما أساء أحد الأدب في
الظاهر الا عوقب ظاهرا ، وما أساء أحد الأدب في الباطن الا عوقب
باطنا .

وقالت : من استوحش من وحدته فذلك لقلة أنسه بربه ،
من تهاون بالعبيد فهو لقلة معرفته بالسيد ، فمن أحب الصانع أحب
صنعتة .

نقد « ابن الجوزى » للحلوية :

وقد نقد العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى المتوفى سنة
٥٩٧ هـ في مقدمة كتابه « صفة الصفوة » الذى لخص فيه « حلية

الأولياء » « أبا نعيم » في كتابه ، وقال في نقده : فانك أيها الطالب الصادق والمريد المحقق ، لما نظرت في كتاب « حلية الأولياء » أعجبك ذكر الصالحين والأخبار ورأيت دواء لدواء النفس ، الا أنك شكوت من اطالته بالأحاديث المسندة التي لا تليق به ، وبكلام عن بعض المذكورين قليل الفائدة ، وسألتني أن أختصره لك وأنتقى محاسنه فقد أعجبنى منك أنك أصبت في نظرك ، الا أنه لم يكشف لك كل الأمر ، وأنا أكتشفه لك فأقول : أعلم أن كتاب الحلية قد حوى من الأحاديث والحكايات جملة حسنة ، الا أنه تكرر بأشياء وفاتته أشياء .

فالأشياء التي تكرر بها عشرة : - أوجزها فيما يلي -

١ - أن الكتاب وضع لذكر أخبار الأخيار ، وانما يراد من ذكرهم شرح أحوالهم وأخلاقهم ليقترن بها السالك ، فقد ذكر فيه أسماء جماعة ثم لم ينقل عنهم شيئا ، وانما ذكر عنهم ما يروونه عن غيرهم .

٢ - أنه قصد ما ينقل عن الرجل المذكور ولم ينظر هل يليق بالكتاب أم لا ، مثل ما ملأ ترجمة « مجاهد » بقطعة من تفسيره ، و ترجمة « عكرمة » بقطعة من تفسيره .

٣ - أنه أعاد أخبارا كثيرة مثل ما ذكر في ترجمة « الحسن البصري » من كلامه ثم أعاده في تراجم أصحابه .

٤ - أنه أطال بذكر الأحاديث المرفوعة التي يرويها الشخص الواحد فينسى ما وضع له ذكر الرجل من بيان آرائه .

٥ - ذكر أحاديث باطلة وموضوعة فقصد بذكرها تكثير حديثه وتنفيق رواياته ولم يبين أنها موضوعة .

٦ - السجع البارد في التراجم الذي لا يكاد يحتوى على معنى صحيح ، خصوصا في ذكر حدود التصوف .

٧ - اضافة التصوف الى كبار السادات كابى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن وشريح وسفيان وشعبة ومالك والشافعى واحمد ، وليس عند هؤلاء القوم خبر من التصوف . فان قال قائل : انما عنى به الزهد ، قلنا : التصوف مذهب معروف عند اصحابه ، لا يقتصر على الزهد بل له صفات وأخلاق يعرفها أربابه ، ولولا أنه أمر زيد على الزهد ما نقل عن بعض هؤلاء المذكورين من ذمه ، فقد روى « أبو نعيم » فى ترجمة « الشافعى » أنه قال : التصوف مبنى على الكسل ولو تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر الا وهو احمق .

٨ - أنه حكى فى كتابه عن بعض المذكورين كلاما لا طائل تحته

٩ - أنه ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها ، فريما سمعها المبتدئ القليل العلم فظنها حسنة فاحتذاها .

١٠ - أنه خلط فى ترتيب القوم فقدم من ينبغى أن يؤخر وأخر من ينبغى أن يقدم .

وأما ما فاتته فثلاثة أشياء .

١ - لم يذكر سيد الزهاد سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -

٢ - ترك ذكر خلق كثير نقل عنهم التعبد .

٣ - لم يذكر من عواید النساء الا عددا قليلا .

قال « ابن الجوزى » : وقد حدثنى جدك أيها المريد أن أجمع كتابا يغنيك عنه ويحصل لك المقصود منه ، ويزيد بذكر جماعة لم يذكرهم ، وأخبار لم ينقلها ، وجماعة ولدوا بعد وفاته ، وينقص عنه بترك جماعة قد ذكرهم لم ينقل عنهم كبير شيء ، وحكايات قد ذكرها لا ينبغى التشاغل بها وبعضها لا يليق بالكتاب .

ولا تعليق لنا على هذا النقد أولا الا بالاســـــــــــــــتشهاد بكلمة
« العماد الاصفهاني » : انى رايت انه لا يكتب انسان كتابا فى يومه
الا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن،
ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من
أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

تم أن « ابن الجوزى » حين اختصر الحلية لم يسلم من النقد
فقد أوجز - كما يقول « حاجى خليفة » - فى الاختصار بحيث لم
يبق منه الا رسومه مما اضطر « محمد بن الحسن الحسينى » الى
اعادة اختصاره فاختره اختصارا حسنا وسلك فى ذلك مسلكا
وسطا . وهكذا نرى أن الناقد قد انتقد .

ولو أن « ابن الجوزى » - رحمه الله - عد ما ذكره من العيوب
المسقطه لصاحبها ما كلف نفسه عناء تلخيصه وتقديمه للقراء
لينتفعوا به ، أما وأنه قد جعله مصدرا لتأليف كتابه فقد اعترف
بأهميته ومكانته . وما من مؤلف الا وقد استدرك من جاء بعده عليه
أمورا والكمال لا يكون الا لله وحده والعصمة خص الله بها الأنبياء .

وباب الدفاع عن « أبى نعيم » فى النقاط التى عددها « ابن
الجوزى » مفتوح ، وهذه الثغرات يمكن سدها من كلام العلماء
الذين نظروا فى « الحلية » نظرات فاحصة ، والمؤلفات الواسعة قلما
تخلو من تكرار فى بعضها ، لغلبة السهو على مؤلفها بطول العهد
بين الخبرين ، أو لأن التكرار استدعاها تغير موقف معين ، فقد
يستشهد المؤلف بكلام ثم يعود فيستشهد بالكلام نفسه فى موقف
آخر لمناسبة تستدعى ذلك .

أما الأحاديث الضعيفة فقد ذكر بعض العلماء أنه يعمل بها
فى فضائل الأعمال ، وقد يصح حديث عند عالم ولا يصح عند عالم
آخر ، ولا نعتقد أن « أبى نعيم » ممن يتباهون بعلمهم .

والسجع الذى وصفه « ابن الجوزى » بأنه بارد كأن سسمة العصر كله ، فقد أغرم الأدياء بالبديع ، وقلما نجد كتابا ألف فى هذه الفترة خلا من السجع وغيره من ألوان البديع . والحكم على المحسنات البديعية والألوان البلاغية يختلف من ذوق لآخر ، فما يحكم عليه « ابن الجوزى » بأنه سجع بارد قد لا يوافق غير عليه ، لاسيما اذا كان هذا السجع غير متكلف ، وجاء مفيدا لمعنى .

ونسب التصوف الى الأئمة السابقين والخلفاء الراشدين ، فالمعروف أن التصوف كسلوك كان مع الاسلام بل هو روح الاسلام ، وهو مقام الاحسان . وقد أراد « أبو نعيم » أن يبين أن مذهب التصوف له سند من سلوك السادة المتقدمين وأخلاق السلف الصالح - رضى الله عنهم - ، فهو ليس دخيلا على الاسلام أو وافدا الى الأمة نتيجة الاختلاط الناجم عن كثرة الفتوح كما أشار الى ذلك بعض المستشرقين فى كتاباتهم عن التصوف ، وتابعهم فى ذلك من تأثر بهم .

وأما ما نسبته « أبو نعيم » الى بعض الصوفية من تصرفات يفهم منها المبالغة كما حدث من « أبى حمزة الخراسانى » الذى وقع فى بئر فطمت عليه ولم يستغث لأن عقده التوكل - فتلك أحوال نادرة لا يقاس عليها ولا ينبغى أن تتخذ سلوكا عاما يلزم بها المريء ، وقد رد « أبو نعيم » نفسه على ذلك ، وانما ذكر القصة كواقعة حال تدل على قوة اعتقاد صاحبها فيما ألزم نفسه ، وكان الله عند حسن ظنه فقد نجاه من التلف بالتلف . وقد علق الدكتور « ابراهيم بسيونى » على هذه القصة بقوله : انه زج بالارادة فى امتحان تجربىي كما يدخل المعدن النار للكشف عن أصالته ومدى نقاوته . لا بد أن يكون الاستسلام تاما مطلقا لا شائبة فيه مهما عظم الخطر ، فان الارادة تدخل تجربة الخطر لتوضع على المحك ، ولو تغاضينا عن الناحية الأسطورية فى القصة وأخذناها كلون من التعبير الرمزي

شفت لنا عن نواح لها بأسها ، لا في التوكل وحده بل في الحب أيضا ،
ان حب الله قد يسبب للعبد متاعب لأنه حب كبير ، ولكن هذه المتاعب
فيها النجاة والانتعاش والبعث (١) .

وأما الاخلال بالترتيب فتلك صناعة التأليف في عصره ، ولم
يكن تنظيم الكتب على حسب ما هو معروف قد عرف بعد ، وأمامنا
كتاب الكامل للمبرد مثلا نجده قد جرى فيه مؤلفه « المبرد » على
غير ما هو معروف في تبويب الكتب .

وأما استدراكاته على الكتاب فجراه الله خيرا عنها ، فقد اتم
بها الفائدة وسد الخل .

وقد رد « أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني » المتوفى
سنة ٧٦٨ هـ على « ابن الجوزي » ودافع عن « أبي نعيم » قائلا في
كتابه « مرآة الجنان » ح ٣ ص ٥٢ : كان « أبو نعيم » من أعلام
المحدثين وأكابر الحفاظ المفيدین ، أخذوا عنه وانتفعوا به ، وكتابه
« الحلية » من أحسن الكتب ، وأما طعن « ابن الجوزي » فيه وتنقصه
له فهو من باب قولی :

لئن نهمها جاراتها وضرائر
وعين جمالا في حلالها وفي الحلی
فما سلمت حسناء من ضم حاسد
وصاحب حق من عداوة مبطل

(١) نشأة التصوف ص ١٥٤ .

التاريخ

لأبى نعيم مؤلفات فى التاريخ تدل على سعة عقل ورجاحة فكر واحاطة فهم . وقد أشار « ابن خلدون » فى مقدمته المشهورة التى قدم بها لكتابه التاريخ الكبير : « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر » الى أهمية التاريخ ومنزلته بين العلوم واعتناء الأمم به خاصتها وعامتها ، ومما قاله فى ذلك : فن التاريخ من الفنون التى تتداوله الأمم والأجيال ، وتشهد اليه الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوق والأغفال وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، وتتساوى فى فهمه العلماء والجهال ، ان هو فى ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول ، وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد فى علومها وخليق ، . . وان فحول المؤرخين فى الاسلام قد استوعبوا أخبار الأمم وجمعوها وسطروها فى صفحات الدفاتر وأودعوها . . »

واختلف المؤرخون فى اتجاهاتهم ، فمنهم من اعتنى بالتراجم كما فعل « الواقدي » فى طبقاته و « ابن عبد البر » فى الاستيعاب

و « ابن الأثير » في أسد الغابة وغيرهم • ومنهم من اعتنى بالأحداث والأخبار ، كما فعل « المسعودى » في مروج الذهب ، ومنهم من جمع بين هذا وذلك كما فعل « ابن العماد » في شذرات الذهب ، « وابن كثير » في البداية والنهاية ، ومنهم من اعتنى بترجمة طائفة خاصة كما نرى في طبقات الحفاظ أو المفسرين أو القراء أو المحدثين أو الشافعية أو الحنابلة وغير ذلك •

و « أبو نعيم » المؤرخ له اتجاهان ، فقد اعتنى بالتراجم في كتابه حلية الأولياء وقد تحدثنا عنه فيما سبق ، ونضيف هنا أن الكتاب من الوجهة التاريخية يمثل وجهة نظر صاحبه المعنية بالتصوف والحديث ، ولكنه مع ذلك يتتبع سير التصوف منذ نشأته في سلوك الصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم حتى عصره • مع عناية بإبراز الخصائص التي رآها ممثلة للاتجاه الصوفي في كل من ترجم لهم •

وهذه نظرة نقدية فاحصة • وقد شغل هذا الكتاب ذهن العلماء والناشرين قطيع عدة مرات واختصره بعض العلماء ، كما سبق أن قدمنا •

فقد اختصره « ابن الجوزى » في صفة الصفوة في خمسة مجلدات ، واختصره « الحسينى الواسطى » في مجمع الأحباب ، وتذكرة أولى الألباب •

وانتخب « على الخراط » المتوفى سنة ٧٩٣ من صفة الصفوة كتابا اسمه : النديم والخلوة والمن والسلوى والقهوة المنتخب من صفوة الصفوة •

وعلى أساس حلية الأولياء ألف « محمد بن جابر سنة ٧٩٣ هـ كتابا اسمه : نظم رجال حلية الأولياء •

وآلف « أبو الحسن على بن أبى بكر الهيثمى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ كتابا اسمه : تقريب البغية فى ترتيب أحاديث الحلية .
وهكذا نجد أن هذا الكتاب قد شغل الأذهان وفتح الطريق الى عدة مؤلفات .

وأشارت المصادر المختلفة الى أن لأبى نعيم مؤلفات تاريخية أخرى مثل كتاب معرفة الصحابة وكتاب منتخب من كتاب الشعراء وكتاب فضائل الخلفاء وكتاب دلائل النبوة ، وغيرها .

والاتجاه الثانى الذى يعنى بالأحداث والتراجم يمثلته الكتاب الذى يتحدث عن تاريخ أصبهان . واسمه الرسمى : أخبار أصبهان .
ولم ينفرد « أبو نعيم » بالتأريخ لموطنه ، ولكن هناك من أرخوا لأصبهان غيره ، قبله وبعده .

وقد أشار صاحب « كشف الظنون » الى ذلك فقد ذكر ممن كتب فى تاريخ أصبهان غير « أبى نعيم » « أبى زكريا يحيى بن عبد الله المعروف بابن منده الأصفهاني » المتوفى سنة ٤٤٥ هـ ، و « حمزة بن حسين الأصفهاني » و « ابن مردويه » والامام عمر بن سهلان الساوحي » .

وصحح كتاب « معجم المؤلفين » اسم « ابن منده » وتاريخ وفاته فقال : « ابن منده الحافظ أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن أبى عبد الله محمد بن اسحاق الاصفهاني » ولد سنة ٤٣٤ هـ وتوفى سنة ٥١١ هـ آلف كتاب تاريخ أصبهان وغيره .

ولابن منده المعاصر لأبى نعيم والمتوفى سنة ٣٩٥ هـ كتاب أيضا فى « تاريخ أصبهان » ذكره صاحب كتاب « هدية العارفين » ج ٢ ص ٥٧ .

وليس هذا غربيا فقد جرت عادة العلماء أن يؤرخوا لأوطانهم

اعتزازاً بها وشعروا منهم بالانتماء إليها ، وهذه سجية حميدة درج عليها كثير منهم ، ورأينا صورة منها في علماء مصر من أمثال « السيوطي » في كتابه : حسن المحاضرة ، و « القلقشندي » في صبح الأعشى ، و « ابن اياس » في بدائع الزهور ، و « المقرئ » في الخط والآثار و « على مبارك » في الخطط التوفيقية ٠٠ وغيرهم ٠

ونعود الى « أبى نعيم » في كتابه « أخبار أصفهان » لننتصف جزايه الموجودين بدار الكتب المصرية في محاولة للتعرف عليه ٠٠

بدأ الكاتب حديثه - بعد ذكر سبب تأليفه لكتابه - ببعض الآثار الموثقة التي تتحدث عن فضل الفرس والعجم والموالي وأنهم المبشرون بمنال الايمان والتحقيق به ٠ ومن ذلك :

حدثنا « جعفر بن محمد بن عمرو الأحمسي بالكوفة ، ثنا « أبو حصين الوداعي محمد بن الحسين بن حبيب القاضي » ثنا « يحيى بن عبد الحميد الحماني » ح وحدثنا « ابراهيم بن عبد الله ابن اسحاق المعدل الاصبهاني » بنيسابور ، ثنا « محمد بن اسحاق الثقفي السراج » ، ثنا « قتيبة بن سعيد » ٠ ح وحدثنا « عبد الله بن محمد بن جعفر » ، ثنا « عبد الله بن محمد بن زكرياء » ، ثنا « محرز ابن سلمة العدني » قالوا : ثنا « عبد العزيز بن محمد الدراوني » عن « ثور بن زيد الديلمي » عن « أبى الغيث » عن « أبى هريرة » قال : كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - اذ نزلت عليه سورة « الجمعة » ، فلما قرأ : وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ٠ قيل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجعه النبي - صلى الله عليه وسلم - مرتين أو ثلاثا ٠ قال : وفيما « سلمان الفارسي » قال : فوضع النبي - صلى الله عليه وسلم - يده على « سلمان » ثم قال : لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء ٠ وقال : أبو حصين : لناله هذا وأصحابه - « أبو الغيث » : سالم بن مطيع ٠ والحديث صحيح متفق عليه ٠

وأخرج الحديث من طرق أخرى وبروايات متعددة ، وبمناسبات مختلفة يشيد بعضها بعضا .

وروى مثل هذا الحديث عن « سلمان » نفسه زاد فيه تعليلا هو : لركة قلوبهم ، وفي رواية : يتبعون سنتي ويكثرون الصلاة على ، ياسلمان ، أحب المجاهدين وأحب المرابطين وأحب الغزاة ..

وهكذا نجد « أبا نعيم » لم يغفل عن تخصيصه الأول وهو الحديث ، حيث ذكر الحديث مستقصى بكافة رواياته وطرق رجاله وأسانيده التي أيدتها كتب الصحاح المختلفة .

وروى كذلك الحديث التالي عن رجاله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لأبي بكر : رأيت الليلة غنما سودا تتبعني ثم أردفتها غنم عفر . فقال « أبو بكر » : تلك العرب اتبعتك ثم أردفتها الأعاجم . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : كذلك عبرها الملك بسحر . رواه - كعادته - بطرقه المختلفة وزاد في بعضها : ومن دخل هذا الدين فهو عربي .

وروى أيضا الحديث التالي عن رجاله : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فارس عصبتنا أهل البيت ، وزاد في بعضها من رواية « جعفر » قيل لسعيد - أحد الرواة - : ما يعنى عصبتنا أهل البيت ؟ قال : هم ولد اسحاق عم ولد اسماعيل .

وتأييدا لهذه الآثار التي أوردها « أبو نعيم » بين يدي كتابه سارع أهل فارس لمناصرة دولة العباسيين وأيدوها تأييدا كبيرا ، وقد مرت بنا العبارة التي قالها « محمد بن على بن عبد الله بن عباس » يوصى فيها دعائه ، بعد أن جعل مقر دعوته بلاد خراسان .

واتفق تقريره الذي ضمنه عبارته الآتفة مع مضمون الأحاديث

التي رواها « أبو نعيم » والتي تدل على فضل فارس وتعميرها الأرض التي يعيش فيها الناس ، كما تدل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يثق بهم حيث يقول : « والله لأنا أوثق بهم منكم أو من بعضكم » ذلك لأنهم لا يفرون عند القتال ، « يوشك أن يملأ الله أيديكم من العجم ثم يجعلهم أسدا لا يفرون فيقتلون مقاتلتكم ويأكلون فيئكم » .

ولقد صدق هذا الحديث الذي رواه ، فكم قتل الخراسانيون بقيادة « أبي مسلم » في تأييد الدعوة العباسية من رجالات وكم غنموا من أموال الأمويين التي تقسمت فيئاً بين المقاتلين .

والذي لا شك فيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يخص بلداً دون بلد بالأطراء ولكنه خص كل بلد بمزية وآثر كل قوم بتزكية، فتساوى الجميع في الفضل ، وبقيت كلمة الله العليا في النهاية هي الفاصلة بين الراجح والمرجوح تلك الكلمة هي قوله تعالى « أن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

جغرافية أصبهان :

وبعد أن أفاض « أبونعيم » في سوق أحاديثه تلك ، أخذ في موضوع كتابه فتحدث عن بدء أصبهان .

تحدث عن جغرافيتها ، موقعها وحدودها ، فقال : رقعتها وضعت على مائة وعشرين فرسخاً في مائة وعشرين فهى مربعة المساحة ، والفرسخ - كما يقول لسان العرب - ثلاثة أميال أو ستة .

وحودوها كانت ما بين أطراف همدان وماء ونهساوند ، الى أطراف كرمان وما بين أطراف الري وقومس الى أطراف فارس وخوزستان .

قال : وكانت موضوعة على أسسيتين ثلاثية ، وعلى ثلاثين رستاقا - الرستق والرستاق : السواد - ، ومائة وعشرين طسوجا - الطسوج : الناحية - وخمسة آلاف قرية ، وسبع مدائن • قال « أبو نعيم » : ذكر ذلك صاحب « كتاب أصبهان » مشروحا بأسمائها وحدودها •

أما المدن التي اشتملت عليها « أصبهان » فهي : كهنة ، جار ، جى ، قه ، مهريين ، دررام ، ساروية •

وقد خرب من هذه المدن قبل الاسلام أربع ، وخرب في الفتح مدينتان ، وسلمت مدينة جى •

وحين كور « الرشيد كورة » « قم » اقتطع من « أصبهان » أربعة رساتيق ، وحبس كور « المعتصم » كورة « الكرخ » اقتطع أيضا من أصبهان أربعة رساتيق فتقلصت أصبهان نتيجة لذلك ولما أصابها من تخريب قبل الفتح حتى أصبحت على تسعة عشر رستاقا •

لقد تعرضت « أصبهان » لعوامل التخريب والتغيير والتبديل والتعمير ، فمن ذلك أنه كان بجى وهى التي بقيت من المدن السبع رجل من الزبيرية يقال له « محمد بن محمود » قلع أحد أبوابها ، وفتح بابا آخر من سورها وسماه الباب الجديد ، ورد مكانه بابا خشبيا على مصراع واحد •

المسجد الجامع :

وبنى « أيوب بن زياد » في خلافة « المنصور » سنة نيف وخمسين ومائة قصرا على شاطئ نهر فرسان ، وبنى بجانبه مسجدا ذا مقصورة ، وهى باقية الى اليوم - عهد « أبى نعيم » - ووضع فيه المنبر ، وخط سوقا للباعة والتجار والعمل ذات صفوف في طرف « اليهودية » •

و « اليهودية » محلة في « أصبهان » ، تسميتها جاءت من أن اليهود سكنوها ، فقد قال « أبو نعيم » : سكنتها اليهود مقبلين على صناعتهم القذرة كالحجامة والدباغة والقسارة والقصابة . وقال « ياقوت » في معجمه : لما سار « بختنصر » وأخذ بيت المقدس وسبى أهلها حمل معه يهودها وأنزلهم « أصبهان » ، فبنوا في طرف مدينة « جى » محلة ونزلوها وسميت « اليهودية » ثم خربت « جى » وعمرت « اليهودية » فمدينة « أصبهان » اليوم هى « اليهودية » .

قال « أبو نعيم » : وظل الأمر كذلك الى أن سخط « المهدي » على « أيوب » فحمل الى الحضرة وحبس فاجتمع عرب قرية « طهران » وهم « التيم » على بناء مسجد جامع واسع ، ينقلون اليه مسجد « أيوب بن زياد » .

وقيل : أن أول مسجد بنى منسوب الى « الوليد بن ثمامة » وكان أمير « أصبهان » بناه بمحلة « باذانة » ، والصحيح أن مسجد « خشينان » أول مسجد كبير بنى بأصبهان ، بناه « أبو خناس » مولى « عمر بن الخطاب » في خلافة « على بن أبى طالب » - كرم الله وجهه - .

وكان انشاء الجامع بركة على المحلة التى أنشئ فيها ، فقد قال « أبو نعيم » : اتسعت محلة « اليهودية » بعد بناء جامعها بصحراء . فأُنشئت خمس عشرة قرية أضيفت الى رقعتها ، فاجتمع الناس لتوسيع المسجد وزادوا فيه ، وأضاف اليه « الخصيب بن سلم » الأرض المسماة بخصيب اياذ ، ثم أعيد بناء المسجد في خلافة « المعتصم » وامارة « يحيى بن عبد الله بن مالك الخزاعى » في المرة الثانية سنة ٢٢٦ هـ ، ثم أضيف اليه زيادات بعد ذلك ، وعمر المسجد عن طريق التبرعات - كما تفعل الدول الآن - وأما نفقته فمن بيت المال ، وتشمل نفقته أجرة القوام والمؤذنين والحصر والزيت ، وبلغت التكاليف أحيانا ثمانية آلاف ومائتين وتسعين درهما ٠٠ ثم زادت بعد ذلك .

ومن جملة القوام على الجامع :

« محمد بن الفرج » وكان أحد الفقهاء مقبول القول طاهر
الستر ، وبعده « عبد العزيز بن زياد الكسائي » وكان أحد من شهد
وقبلت شهادته - ويبدو أن هذه الصفة كانت عزيزة الى أن الذي
تتوفر فيه يعد من المرموقين -

ثم « الحسن بن عبد الله بن عمر القصار » الفقيه وكان أحد
المستورين المتقدمين .

ثم « محمد بن اسماعيل بن سكين » وكان عدلا جازئ الشهادة
ومقبول القول توفي سنة ٢٧٥ هـ .

وبعده « محمد بن عاصم بن يحيى » ولاء القيام « أبو بكر
أحمد بن عمرو بن أبي عاصم » وكتب له به سجلا أشهد فيه على
نفسه .

فتح أصبهان :

وأفاض في كتابه في الحديث عن فتح « أصبهان » وهذا أمر
ضروري وتحدث عن الملابسات والظروف التي أحاطت بالفتح ،
وتكفي الإشارة في ذلك الى ما يلي : عن « السائب بن الأقرع » قال :
زحف للمسلمين على عهد « عمر بن الخطاب » - رضى الله عنه -
زحف لم يزحف لهم بمثله قط ، زحف لهم أهل « ماه » وأهل
« أصبهان » وأهل « همدان » وأهل « الري » وأهل « قومس » وأهل
« أذربيجان » وأهل « نهاوند » فلما جاء عمر الخير ، جمع الناس
فخطبهم وحضهم على الجهاد ، وطلب من خطبائهم الكلام والإشارة
عليه ، فقام الخطباء واحدا اثر آخر ، وطلبوا منه جميعا أن يسير
الى هذه الجموع بنفسه ، حتى قام « على بن أبي طالب » فأشار
عليه برأى عمل به . قال « على » بعد أن أن حمد الله وأثنى عليه :

يا أمير المؤمنين ، هذا يوم له ما بعده وانى لا أرى ما رأى هؤلاء القوم فى أن تسير بنفسك وبأهل الحجاز والشام والعراق ، فانما القوم جاءوا لعبادة الشيطان ، والله أشد تغييرا لما أنكر ، ولكنى أرى أن تبعث الى أهل الكوفة فتسير ثلثهم وتدع ثلثا فى حفظ ذراريهم وجمع جزيتهم ، وتبعث الى أهل البصرة فليوروا ببعث ، فقال « عمر » : أشيروا على من أستعمل ، فوكلوا اليه الاختيار ، فاختار « النعمان بن مقرن » . وسار الجيش الاسلامى والتقى بجيوش الفرس ، وفتحت « أصبهان » وقد استشهد « النعمان بن مقرن » فى الفتح .

قيل : واستشار « عمر » الهرمزان فى فتح « أصبهان » و « فارس » و « أذربيجان » أيها يبدأ بها ، فأشار عليه بفتح « أصبهان » أولا لأنها الرأس و « فارس وأذربيجان » الجناحان ، فان بدأت بالرأس سقط الجناحان ، وأن بدأت بأحد الجناحين مال الجناح الآخر الى الرأس .

ونراه يرجع فتح « أصبهان » الى آخر سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين هجرية .

ورواية « أبى نعيم » هذه تخالف روايات أخرى أشارت اليها مصادر مختلفة ، منها رواية « ياقوت » فى معجم البلدان حيث يقول : فتحت فى عهد « عمر » بعد فتح « نهاوند » فقد بعث « عمر » عبد الله ابن عتبان « أميرا على جيش وجعل على مقدمته « عبد الله بن ورقاء الرياحى » وعلى مجنبتيه « عبد الله بن الحارث بن ورقاء الأسدى » فبارز « عبد الله بن عتبان » ملكها القادوستان ، فتغلب « عبد الله » عليه ، ثم اصطلحا على أن يدفع أهل « أصبهان » الجزية ، ثم قدم « أبو موسى الأشعرى » من ناحية الأهواز ، بعد أن صالح « عبد الله » القادوستان ، وقال « عبد الله » فى ذلك :

من مبالغ الأحياء عنى فأننى
نزلت على « جى » وفيها تفاسم
حصرناهم حتى سروا ثمت انتزوا
فصدهم عنا القنا والصوارم
وجاد لها القاذوستان بنفسه
وقد دهدت بين الصفوف الجماجم
فثاروته حتى اذا ما علوته
تفاسدى وقد صارت اليه الخزائم
وعادت لقروحا اصبهان بأسرها
يدر لنا منها القرى والدرام
وانى على عمد قبلت جزاءهم
غداة تفادوا والعجاج قواتم
ليزكو لنا عند الحروب جهادنا
اذا انتظمت فى المأزمين الهماهم

وقد ذكر أيضا « أبو نعيم » هذه الأبيات فى كتابه . مع اختلاف
يسير فى بعض الكلمات . قال « ياقوت » : قال « البلاذرى » : وكان
فتح « أصفهان » سنة ٢٣ هـ ، وقال بعضهم : فتحت سنة ٢٤ هـ .
وعلى هذين القولين فقد فتحت بعد « عمر » .

خصائص اصبهان :

تحدث « أبو نعيم » عن خصائص « أصبهان » وما تحتوى عليه
من المنافع والعبر والعجائب ، مستندا فى ذلك الى ما ذكره المتقدمون
من المصنفين والى مشاهداته وسماعه ، ونقتطف مما رواه فى كتابه
ما يأتى :

١ - لوادئ « أصبهان » المسقى « زر نروز » مغيض يسمى « هنام » ، ما في الأرض أعجب منه ، لأن الأودية الكبار انصبابها الى البحار في سائر المدن ، ولكن مصب هذا الوادئ في هذا المغيض ، ومساحته ثمانية عشر فرسخا في فرسخين ، لا يعلو الماء في حافته عن المعهود ولا ينقص في سرف المد وقصده ، وللطيور فيه مفرج ، وغير الطيور يعجز عن مقاربتة لأنه يغوص فيه حتى لا يرى منه شيء . *

ومقدم هذا المغيض ميدان ممتد الى ناحية كرمان كخط محدود لا يزيد على عرض الميدان نباته الطرفاء والقلام (١) . *

٢ - في قرية « رزية » من رستاق « رويدشت » رمال عالية كالجبال ، لو دامت عليها الرياح العاصفة أياما لا تتحرك أصلاً ولا يدخل الزروع منها شيء . *

وبقرية « هواسكان » من قرى « أصبهان » خندق حول حصن . بجواره رمال سائلة كالجبال تنتقل حول الخندق من جانب الى جانب ، ولا يسقط في الخندق شيء منها ، ولو أخذ انسان قبضة رمل فرمى بها في الخندق هبت من ساعتها ريح فرفعت ذلك في الهواء وكنست الخندق . *

٣ - وحول هذه القرية صحراء ، فيها مواشى ترعى فتختلط بالسباع مقبلة من البئر ، فلا تتعرض السباع لشيء منها ، ويقال : ان ديكا استوحش من هذه القرية منذ سنين فبقى بهذه الصحراء أربع سنين لم يتعرض له شيء من الثعالب والسباع ، ويدعى أهلها أن هذه الصحراء مطلسة . *

(١) الطرفاء - جماعة الطرفة من الشجر ، وبه سمى طرفة بن العبد الشاعر - يقال : ليس له خشب وانما يخرج عصيا سمحة في السماء - والقلام بتشديد اللام ضرب من الحمض يذكر ويؤنت . *

٤ - يوجد بقاسان قرية تسمى « قالهر » فيها جبل يرشح الماء منه رشحا كرشح البدن للعرق لا يسيل منه شيء ، ويجتمع كل سنة أهل الرساتيق ، وفي يد كل منهم آنية ، فيدنو الواحد بعد الواحد من ذلك الجبل الندي ، ويقرعه بفهر^(١) في يده ، ويقول بالفارسية : « يا بيد دخت » اسقنى من مائك فأننى أريده لمعالجة علة كيت وكيت ، فيجتمع الرشح من المواضع المتفرقة الى مكان واحد فيسيل قطرا في آنية المستسقى .

٥ - وبقرية « فهرود » نبت ينبسط على وجه الأرض فيصير زجاجا أبيض صافيا براقا ، وأهل الناحية يستعملون ذلك النبات في ألوان من الأدوية ، وقد حمل ذلك الزجاج الى كثير من الناس في أقطاع متشكلة على هيئة الخروب .

٦ - ومن خواص « اصبهان » خرزات في قرى معينة بقاسان ورويدشت ، اذا غشيتهم سحابة برد أخرجوا تلك الخرزات وعلقوها على أطراف حصونها فتذقش السحابة عنها وعن صحرائها من ساعتها ، وتسمى هذه الخرزة بلغتهم « مهرة تذك » .

٧ - ومن خواصها في مرج من مروج « حكازة » و « جورجرد » حيات منتشرة ما بين ذراع الى خمسة أذرع يتلاعب بها الصبيان ولا تؤذيهم .

٨ - يوجد ببعض قرأها معادن نفيسة من فضة وصفر وذهب ، وبها دويبة خلقتها كالخنفساء ، صغيرة في جرم أقل من الذبابة ، تذب في الليلة المظلمة فيتقد من ظهرها مثل السراج ، فاذا أخذوا منها واحدة ليلا قرئيت نهارا يرى لون ظهرها مضيئا كالطاووس ، خضرة في صفرة في حمرة . وتسمى هذه الدويبة « يراه » .

٩ - وبها حجارة تشبه السكر اذا ضرب منها قطعة بأخرى أوردت نارا من بينها .

(١) الفهر : الحجر الصغير قدر ما يدق به الجوز وغيره .

١٠ - وفي قرية « كرمند » معين ماء يشربون منه ويسقون زروعهم ومواشيهم ، وما يفضل منه يصب في جدول فيتحول حجارة . وفيها كهف يقطر من قلته ماء ، فإذا استقر على الأرض تحول الى حجارة .

١١ - وبرستاق « مهستان » عين فيها ماء صاف لا يشربه أحد من الناس قد علق الحلق بحلقه الا سقط من حلقه ومات مكانه - أي العلق -

١٢ - وبها شجرة « الجترساية » تفقرش أغصانها في الهواء أكثر من مقدار جريب أرض مستديرة مجتمعة الأغصان كثيرة الأوراق ، ظلها أكثر من ظل الجبال وتحمل كل سنة خرائط مدورة مملوءة بقا .

الى غير ذلك من العجائب التي تتصل بطبيعة هذا الاقليم والتي لا يشترك معه فيها غيره من الأقاليم .

هذا الى جانب ما تمتعت به أصبهان من مركز مرموق كفل لها الرواج التجارى والتفوق الصناعى والازدهار الفنى ، الذى أثمر على مر السنين عمارة فائقة ، حتى أحصى - كما تقول دائرة المعارف الاسلامية - « ابن رسته وهو « أحمد بن عمر » المتوفى بعد عام ٢٩٠ هـ وقد عاش فى اصفهان - أحصى أبراجها المائة وأبوابها الأربعة .

وأشهاد غيره من المؤرخين والجغرافيين بغنى هذه المدينة بالموارد الطبيعية ، التى أشار الى بعضها « أبو نعيم » فقد ذكر ابن الفقيه وهو « أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني » فى كتابه « البلدان » وكان معاصرا لابن رسته ، ذكر أنه كان بجوارها مناجم للفضة والنحاس والاثمد والخاصصين وغيرها .

ويبدو أن « اصفهان » كانت غاية فى العمران والبهجة والجمال،

حتى جاء مثل فارسى يقول : « اصفهان نصف جهان » أى « اصفهان نصف العالم ، وما تزال بها آثار تستقطب الزوار وتنتزع اعجاب المشاهدين على الرغم من أقول نجمها بعد انتقال عاصمة الفرس الى طهران .

وقد مر بنا قول « ياقوت » فى طبيعة « اصفهان » وجمال نهرها ، الا أن الذى لم تذكره ولم يذكره « أبو نعيم » أيضا فى كتابه ما أشار اليه « ياقوت » من بعض الهنات التى لا تغض من قيمة « اصفهان » بل تثبت أن الكمال المطلق لا يكون لمخلوق .

و « أبو نعيم » وطنى مخلص عاشق لوطنه ، وقد نظر الى مسقط رأسه بعين الرضا ، وهى كليلة عن رؤية العيب كما يقول الشاعر الحكيم مولى آل « أبى نعيم » الذى سبق الاستشهاد به .

والتلمس للعيب لا يعز عليه أن يجده ، فان لم يجده اخترعه ، وقد قال « ياقوت » فى معجمه : وجد فى غرفة بعض الخانات التى بطريق « اصبهان » مكتوب هذان البيتان :

قبح السالكون فى طلب الرزق على أيدج الى اصبهان

ليت من زارها فعاد اليها قد رماه الاله بالخذلان

ولا يبعد أن يكون كاتب البيتين قد خانه حظه فى العثور على رزقه فى « اصبهان » والعيب ليس عيب المدينة فى ذلك ، بل قد يكون حظه العاثر أو عيب عجزه عن الطلب وقصور همته فى السعى .

ولكن اذا التمسنا أن نعتذر لأصبهان فى ذلك فكيف نلتمسه فى قول « الحسن البصرى » الذى رواه « ياقوت » أيضا حين قال : « دخل رجل على « الحسن البصرى » فقال له : من أين أنت ؟ فقال له : من أهل « اصبهان » فقال : الهرب من بين يهودى ومجوسى وأكل ربا ؟

أو كيف تلتسمسه لها في قول الشاعر :

لعن الله أصبهان بللدا
ورماها بالسيل والطواعون
بعث في الصيف قبة الخيش فيها
ورهننت السكانون في كانسون

يقول « ياقوت » : أن هواءها وخاصيتها يخلان فلا ترى بها كريما ، وحكى عن « صاحب بن عباد » أنه كان إذا أراد الدخول الى « أصبهان » قال : من له حاجة فليسألنيها قبل دخولي الى « أصبهان » فأننى إذا دخلتها وجدت بها في نفسى شحا لا أجده في غيرها . اهـ

ولا تخلو أخبار البخل من المبالغة ، فإن البخل طبيعة في أهل المدن يكاد يكون عاما ، على عكس أهل الريف الذين يتســمون بالسماحة والبنل ، وقد لا يكون ما يراه الناس بخلا ، بل هو عارض من عوارض الكثرة الكاثرة والتكاليف الباهظة والتبعات الثقيلة التي ابتليت بها المدن الكبيرة ، وفصمت بسببها العلائق الوثيقة بين الناس وأنصرف كل منهم الى نفسه وشئونه وعمله ، وذلك الانصراف لا يمنع المقيم في المدينة عن أداء واجب الضيافة لمن يزوره من أهل وأصدقاء بالقدر الذى تسمح به ظروفه في المدينة التى لا يوجد بها المسكن الواسع والاستعداد التام الذى يتوفر في الريف .

وفي بعض الأخبار أن الدجال يخرج من « أصبهان » . ذكر « أبو الفرج بن الجوزى » فيما ينقله عنه « ابن اياس » في تاريخه أن الدجال يخرج من بلاد أصفهان ، وذكر أن طوله عشرة أذرع واحدى عينيه ممسوحة من أصل الخلقة ، كأنه نزل بعين واحدة ، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل قارئ عن قرب وعن بعد ، ومكتوب تحت ذلك سعيد من خالفه وشقى من أطاعه ، ويظهر للناس أن له جنة ونارا ، فجنته نار وناره جنة ، فيطوف البلاد ويقتل العباد ،

ويقول : أنا ربكم الأعلى ، فيجتمع عنده من العساكر نحو ألف ألف وستين ألفا ، فيزحف بهم من أصفهان الى دمشق في أربعين يوما .

سر اختيار أصبهان في مكانها :

قال : أبو نعيم « : ان « فيروز بن يزدجرد » كتب الى بعض ملوك الروم يستهديه كبرا من حكمائهم وحاذقا من أطبائهم فاختر له رجلا ، فلما وفد على « فيروز » قال له : أيها الحكيم قد أنهضناك الى أرضنا لتختار من بلدان مملكتنا لنا بلدا تصح به الأركان الأربعة التي بسلامتها يطول بقاء الحيوان وباعتدالها تصح الأجسام ، ويعنى بالأركان الأربعة : الأرض والماء والهواء والنار . فاستقر الرومى فترة في بلاد فارس وطاف بأرضها حتى وقع اختياره على أصبهان ، فأقام فيها وكتب للملك يقول له : انى طفت في مملكتك فانتهيت الى بلد لا يشوب شيئا من أركانه فساد ، وقد نزلت أنا منه فيما بين حصنى قرية بوان ، فاذا أراد الملك أن يقطعنى ما بين الحصنين ويطلق لى بناء كنيسة ودار فليفعل ، فأطلق الملك له مسأله ، وموضع أحد الحصنين هو موضع المسجد الجامع في عهد « أبى نعيم » .

وأمر الملك بتسوير هذه البقعة التى اختارها الحكيم الرومى ، وأطلق عليها اسم « جى » وهى أصل « أصبهان » وعزم الملك على التحول من العراق اليها ، ثم انتقض عزمه بسبب الحروب ثم وفاته .

وتولى بعده ابنه « قباز » فطلب من ذلك الحكيم أن يختار له مكانا يجمع الأوصاف الطيبة للحياة فاختر له « أصفهان » .

ثم أخذ « أبو نعيم » يثنى على طبيعة « أصفهان » مستشهدا بما سطره ذلك الحكيم الرومى في مذكرته التى أرسلها الى الملك قوباز « قبل الاسلام ، ومستشهدا برسالة « الحجاج بن يوسف

الثقفى « فى ظل الاسلام ، التى أرسلها الى « وهزاز بن يزداد الأنبارى » وكان « الحجاج » قد ولاه على « أصبهان » ، وكان « وهزاز » ابن عم لكاتبه « زاذان بن فروخ المجوسى » ٠٠ كتب « الحجاج » اليه يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ٠ أما بعد ، فانى استعملتك يا وهزاز على « أصبهان » أوسع المملكة رقعة وعملا ، وأكثرها خراجا بعد فارس والأهواز ، وأزكاها أرضا ، حشيشها الزعفران والورد ، وجبلها الفضة والاثمد ، وأشجارها الجوز واللوز والكروم الكريمة والجلوز والفواكه العذبة ، طيرها عوامل العسل وماؤها فرات ، وخيلها الماذيانات الجياد ، أنظف بلاد الله طعاما ولطفها شرابا وأصحها ترابا وأوفقها هواء وأرخصها لحما وأطولها أهلا وأكثرها صيدا ٠٠٠ الخ ٠٠

قال « أبو نعيم » : وحكى « أبو معشر » أن الملوك طلبوا لمستودع العلوم من الظروف أصبرها على الأحداث وأبقاها على الدهر وأبعدها من التعفن والدروس فاختراروا لها لحاء شجر التوز ، واقتدى بهم أهل الهند والصين ، فاختراروها أيضا لقسيهم التى يرمون عنها لصلابتها وبقاؤها على الدهر ، فلما كتبوا مستودع علومهم فى أجود ما وجدوه من الظروف طلبوا لها من أنواع الأرض وبلدان الأقاليم ، أصحها تربة وأقلها عفونة وأبعدها من الزلازل والخسوف وأعلكها طينا فلم يجدوا تحت أديم السماء أجمع لهذه الأوصاف من أصبهان « ثم فتشوا عن بقاع هذا البلد فلم يجدوا فيها أفضل من رستاق « جى » ٠

ومن أعجب ما وصفت به « أصفهان » فى عهد « المأمون » ما رواه « أبو نعيم » قال : دخل « أيوب بن زياد الأصفهاني » على « المأمون » فقال له : صف لى « أصفهان » وأوجز ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دوائها طيب وماؤها عذب وحشيشها الزعفران وجبالها العسل ، غير أنها لا تخلو من خلال أربع : جور السلطان وغلاء الأسعار وقلة الأمطار وفقد المياه ٠

فأطرق « المأمون » ساعة وببده قضيب ينكت به الأرض فرجع رأسه وقال : يا أيوب لعل قراءها منافقون وتجسارها مربئون وتناءها (١) شربة خمور وفي أطرافها لا يصلون . قال « أبو نعيم » : وهم المحدث لأن « أيوب » كان في عهد « المنصور » والصحيح أنه « محمد بن سليمان » صاحب ميدان « سليمان الأصبهاني » .

وفي فضل « أصبهان » روى « أبو نعيم » مرفوعا الى « سعيد ابن المسيب » عنه قال : لولا أنى من قریش لأحببت أن أكون من فارس ثم أكون من أهل « أصبهان » ، وذكر ذلك من طرق متعددة وروايات مختلفة .

ويروى مرفوعا الى « وهب بن منبه » قال : كتب « عمرو بن كنعان » يستمد الرجال والأموال والأنفس ليحاربوا رب العالمين ، فكتبوا اليه من كل البلدان : نعم نعم ، ما خلا « أصبهان » فانهم قالوا : لا طاقة لنا باله السماء ونحارب من شئت من أهل الأرض . فشكر الله لهم ذلك ، فعذب ماؤهم وطاب هواؤهم وكثرت فاكهتهم وصحت تربتهم في الشتاء والصيف .

وقال : سمعت « أبا محمد بن حيان » يقول : سمعت من يحكى عن « ابراهيم بن محمد النحوى » قال : خرج من أهل « أصبهان » قوم الى ذى الرياستين في حوائج لهم ، فقال لهم : من أين أنتم ؟ قالوا : من أهل « أصبهان » قال : أنتم من الذين لا يزال فيهم ثلاثون رجلا مستجابى الدعوة . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : ان « عمرو بن كنعان » لما أراد أن يصعد الى السماء كتب في البلدان يدعوهم فأجابوا كلهم الا أهل « أصبهان » ، فحمل منهم ثلاثين رجلا مقيدين ، فلما نظروا الى وجه « ابراهيم » صلى الله عليه وسلم — آمنوا

(١) من التناوة أو التناءة وهى الفلاحه ، فالتناعون هم الفلاحون — لسان العرب .

به ، فقال « ابراهيم » : اللهم اجعل أبدا بأصبهان ثلاثين رجلا
يستجاب دعاؤهم • فلا يزال بأصبهان ثلاثون رجلا كذلك •

قال : أبو نعيم » : « اصبهان » قم الدنيا ولسانها راويا في ذلك
عن « حماد بن سلمة » في قوله تعالى لما قال للسموات والأرض اثبتا
طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين : أن الذي أجابه من الأرض :
أرض « اصبهان » •

ولكن « أبا نعيم » رغم حبه لموطنه فانه لم يسلمه من كافة
العيوب ، فقد روى قول « محمد بن يوسف » : خيار « اصبهان »
خيار الناس وشرارهم شرار الناس • وكأنه يريد أن يجعل منها قمة
هبوطا أو نزولا • فأهلها رأس على أى حال •

وروى أيضا عن شيخه « أبي محمد بن حيان » قوله : سمعت
بعض أهل العلم يقول : أن « ذا القرنين » طاف في الدنيا حتى انتهى
الى « اصبهان » فدخل مدينتها ولم ينزل فيها ، وخرج عنها ، حتى
إذا بلغ بابها الشرقي ، ودعا بالفعللة أمرهم أن يحفروا حفرة حتى
بلغوا الماء في ساعة وهو واقف على دابته ، ثم أمرهم أن يردموا
الحفرة بما أخرجوه منها ، ففعلوا ولم يبق مما أخرجوه شيء
واحتاجت الحفرة الى زيادة ، ولم ترجع كما كانت • فقال : هذه
مدينة قحطة ، لا تخلو من قحط المطر والسعر الغالى ، ثم ارتحل
عنها من ساعته •

وفي هذه الأخبار اشارة الى قدم مدينة « اصبهان » وأنها لم
تنشأ في عهد « فيروز بن يزدجرد » كما ذكر قبل ذلك • بل انشئت
في عصور أقدم من ذلك بكثير ••

قدوم الصحابة الى « اصبهان » :

ثم أخذ في ذكر من قدم « اصبهان » من الصحابة • وترجم لهم
قائلا في مقدمة ذلك : بدأنا بعون الله بذكر من قدم « اصبهان » من

الصحابه - رضوان الله عليهم - وتسميتهم مجردا من اخبارهم ليسهل حفظهم ومعرفه اسمائهم على ما ارادها ، ثم نذكرهم بانسابهم واسنانهم وبعض احوالهم مقرونا بما يقرب ويسهل من بعض احاديثهم ان شاء الله .

ومن هؤلاء : ريحانة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الحسن بن علي » و « عبد الله بن الزبير » و « ابو موسى الأشعري » وابنه « موسى » الذي استشهد بأصبهان ، وحافر الآبار وباني الحياض للحجيج والعمار « عبد الله بن عامر بن كريز » و « أهبان بن أوس الأسلمي » مكلم الذئب . و « سلمان الفارسي » .

وعدد هؤلاء الصحابة عشرون صحابيا .

اولهم « سبط رسول الله - صلى الله عليه وسلم وآخرهم المرأة التي قيل انها أسلمت قبل « سلمان الفارسي » وهي من فارس . واسمها « أمة الله » قال « سلمان الفارسي » : لما قدمت المدينة رأيت امرأة أصبهانية كانت قد أسلمت قبلي ، فسألتها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهي التي دلتني عليه .

وفي رواية : قال : كنت رجلا من أهل « جى » فذكر اسلامه ، قال : فطفت في مكة ، فاذا امرأة من أهل بلادي ، فسألتها وكلمتها ، فاذا بمواليها وأهل بيتها قد أسلموا كلهم ، وسألتها عن النبي صلى الله عليه وسلم - فقالت : يجلس في الحجر ، اذا صاح عصفور مكة مع أصحابه ، حتى اذا اضاء له الفجر تفرقوا .

وهذه الرواية تشير الى أن اسلام « سلمان » كان في مكة ولم يكن في المدينة كما تشير الى ذلك رواية أخرى ذكرها أيضا تقول : عن « أبى الطفيل البكري » أن « سلمان الخير » حدثه قال : قلت لبعض تجار يثرب : تحملني الى المدينة ؟ قال : ما تعطيني ؟ قلت : ما أجد شيئا أعطيك غير أني لك عبد ، فحملني ، فلما قدمت معه

المدينة جعلنى فى نخله ، فكنت أسقى كما يسقى البعير ، حتى دبر
ظهري وصدرى من ذلك ، ولا أجد أحدا يفقه كلامى ، حتى جاءت
عجوز فارسية تستقى فكلمتها ، ففهمت كلامى ، فقلت لها : أين
هذا الرجل الذى خرج ؟ دلينى عليه ، قالت : سيمر بك بكرة اذا
صلى الصبح ..

ثم أخذ « أبو نعيم » يتحدث عن أعلام « أصفهان » من فقهاء
ومحدثين ومؤرخين بادئا بمن وافقت أسماؤهم أسماء الأنبياء ..

وفى ذكر هؤلاء دليل على نجابة « أصفهان » فقد نبغ فيها أعلام
لا حصر لهم فى مختلف الفنون ، فى الحديث والتفسير والفقه واللغة
والتصوف والشعر والتاريخ والقضاء ، وغير ذلك من مختلف
ميادين السبق والتفوق ، وقد تحدث « أبو نعيم » عن هؤلاء جميعهم
فى كتابه المطبوع فى مجلدين .

وهو فى تراجمه هنا مؤرخ يعتنى بالتاريخ ، فهو يذكر نسب
المرجع له ومولده ووفاته ان تعين ذلك ، ثم يذكر طرفا من نشاطه
وشيوخه ومن روى عنهم ومن روا عنه ان وجد ، ويذكر بعض ما
أثر عنه وما قيل فيه .

كتاب معرفة الصحابة :

ولأبى نعيم كتاب آخر تاريخى اسمه « معرفة الصحابة »
اعتمد عليه « ابن الأثير عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن
الجزرى » المتوفى سنة ٦٣٠ هـ فى كتابه : أسد الغابة . وأخذ عنه
فى مواضع أكثر من أن تحصى ، وقد ذيل تراجمه ببيان المرجع الذى
أخذ عنه ، وهو أحيانا يذكر « أبأ نعيم » وحده ، وكثيرا ما يذكر
معه « ابن منده » أو « أبأ موسى » أو « أبأ عمر » .

ومن أمثلة ما تفرد به « أبو نعيم » فى أخذ « ابن الأثير » عنه

عنه قوله في ترجمة « بشير بن عرفطة » : شهد فتح مكة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال شعرا في الفتح منه :

ونحن غداة الفتح عند محمد طلعنا أمام الناس ألفا مقدما (١)
وأحيانا يذكر معه في الرواية أبا موسى وهو « محمد بن عمر ابن أحمد الأصفهاني توفي سنة ٥٨١ هـ ، ومن أمثلة ذلك ما أورده في ترجمة « حنظلة بن النعمان » قال : حدثنا « أحمد بن عبد الله الأصفهاني » أخبرنا « سليمان بن أحمد » ، أخبرنا « محمد بن عثمان » ، أخبرنا « ضرار بن صرد » ، أخبرنا « علي بن هاشم » عن « محمد بن عبيد الله بن أبي رافع » عن أبيه في تسمية من شهد مع « علي » - رضى الله عنه - من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « حنظلة بن النعمان » . ثم قال : أخرجه « أبو نعيم » و « أبو موسى » .

ولا يستغرب أن يكون « أبو نعيم » و « ابن منده » و « أبو موسى » الذين كان جل اعتماد « ابن الأثير » عليهم أبناء وطن واحد هو « أصبهان » فهي التي عرفت بتخريج كثير من العلماء والأدباء وبخاصة في الحديث والتاريخ .

ومن المفيد هنا أن نذكر سبب تأليف « ابن الأثير كتابه » « اسد الغابة » ، ففي مقدمته التي يشير فيها الى عناية « أبي نعيم » بالحديث وغلبته عليه حتى في تأليف كتابه المعروف « بمعرفة الصحابة » وهو كتاب تراجم يقول « ابن الأثير » : رأيت « ابن منده » و « أبو نعيم » قد أكثرا من الأحاديث والكلام عليها وذكر عللها ولم يكثرا من ذكر نسب الشخص ولا ذكر شيء من أخباره ، فهو يريد أن يجعل كتابه جامعا للأخبار والأنساب والأحاديث ، ولا يجعله يغلب عليه الحديث كما فعل كل منهما ، أو تغلب عليه الأخبار والأنساب كما فعل « أبو عمر بن عبد البر » في كتاب « الاستيعاب » .

(١) اسد الغابة ج ١ ص ٢٣٢ ط دار الشعب .

وتهمنا هنا أيضا اشارة « ابن الأثير » التى تفيد غزارة « أبى نعيم » فى علوم الحديث وروايته ومعرفة علله الى درجة أنه غلب عليه ذلك فى اثناء كتابه فى التاريخ .

لقد كان وهو يكتب فى التاريخ ينظر الى الحديث بعين والى التصوف بعين ، ولذلك تجىء تراجمه فى كتابه حافلة بروايات الحديث - وقد ظهر ذلك واضحا فى كتابه معرفة الصحابة - أو ببيان حظ الرجل من الأخلاق التى يعتبرها الصوفية منهجا لسلوكهم - وقد ظهر ذلك واضحا فى حلية الأولياء كما قدمنا .

ولكن كتابه أخبار اصفهان ، وإن كان يحفل بمرويات تراجمه فإنه لم يخل من الاشارات التاريخية المفيدة التى تعين المستفيد وترشد المستزيد .

وقد دلت المعلومات الوافرة التى حفلت بها كتب « أبى نعيم » التاريخية على شخصية واعية ، تتمتع ببصيرة نافذة وأحكام ناقدة كما تدل على احاطة كان المعين عليها عمر مديد ورحلات متعددة واستفادة يقظة بما يقرأ أو يسمع ، ومن حسن حظه أنه توفر فى صباه على شيوخ من أقطار مختلفة ، ولكل منهم ذخيرة لا تنفد من العلم والأخبار والروايات والمشاهدات التى صادفت عقلا واعيا ، وذاكرة لاقطة وحافظة أمينة معينة وقلم سريلا ، وموهبة تسجيلية . ثم هو أولا وأخيرا حالفه التوفيق الذى يهبه الله لمن يشاء من عباده ، الذين شاء أن يجعلهم منارات هداية ومراكز اشعاع فى الكون ، وأدلة على الخير ومنابعه وأصحابه ليقتدى بهم الناس ويهتدوا بهداهم ويقتفوا آثارهم .

ومعرفة التاريخ اضافة ضافية على حياة الدارس ، فما بالك بالمؤلف والمستفيد ؟ وقديما قال شاعر كلمة حق :

ومن وعى التاريخ فى صدره أضاف أعمارا الى عمره

ولكن يجب أن تكون الاضافة - كما يقول العقاد - اضافة مقدار من أخبار الوقائع وعدد السنين التى وقعت فيها . ذلك أن السنين مهما بلغت فمصيورها فى النهاية الى الفناء ، وكم من معمرين طالت أيام حياتهم فى الأرض دون أن يفيدوا شيئا ، وكم من لحظات خاطفة تترك أثرا لا يمحو وزادا لا يفنى وعطاء لا يبديد .

وفلسفة التاريخ تبدو فيما يحفل به من عظات وعبر تترك أثرها فى النفوس لتتحرك الى الأفضل وتتقدم الى الأمام وتحلق فى الأجواء ، لا فيما يقصه علينا من أحداث أو يسرده علينا من سير الناس . ومن هنا كانت عناية الأمم بدراسة التاريخ وتقريره مادة رئيسية فى مناهج التعليم ، ولا تقتصر المناهج على دراسة التاريخ المحلى للدولة بل تتناول دراسة تاريخ العالم من أقصاه الى أقصاه لتكون الفائدة أتم وأشمل .

وهذا هو الهدف المائل أمام مقدم المادة التاريخية للأجيال ، وعلى القارئ بعد ذلك أن يحققوا هذا الهدف فى نفوسهم وأوطانهم ، وينسجوا على منوال النافعين الذى صاغت التراجم سيرهم وحكت لنا قصصهم وقدمت لنا أعمالهم .

وقد كان باعث « أبى نعيم » فى مؤلفاته التاريخية حفز الهمم الى تتبع آثار النابهين ، ففى حلية الأولياء أراد أن يقدم لنا صورة من التصرف الحقيقى المثالى ، الذى يضسه أمام عينيه من أراد التخلق بهذا المذهب . وحتى لا يحسب الناس أن التصوف قشور بالية ورسوم خاوية ومظاهر خادعة .

وفى أخبار اصفهان أراد أن يقدم للناس صورة من المثل العليا فى الشخصيات التى حفلت بها هذه الرقعة من الأرض ، ليسير الناس فى حياتهم على ضوئها ، وفى كتاب معرفة الصحابة أراد أن يقدم لنا صورة كريمة لهؤلاء الأبطال الذين أحاطوا بالمثل الكامل

– صلى الله عليه وسلم – ونفخ فيهم من روحه فأقاموا صرح الدولة
الاسلامية الشامخ .

وهذه أهداف نبيلة مازالت تنتظر – على الرغم من مرور مئات
السنين على تسطيرها – من يعمل على تحقيقها .

لقد أدى « أبو نعيم » كما أدى غيره من الكتّاب الأمثال
أدوارهم .

وبقيت شعوب الأمة الاسلامية في شتى بقاعها تنتظر أداء دورها
في إعادة تشييد هذا الصرح من جديد ، وتعيده كما كان مشرقا
وضاء شامخا خاليا من الخلافات والنزاعات والعصبية
والاضطرابات ، خالصا خيره لنفسه ، مستقلا من السيطرة الأجنبية
التي تجثم فوق أرضه أو فكره أو تصرفاته .

ليت الذين يقرءون أخبار أصفهان يدركون ماذا قدمت فارس
للاسلام ، ويعملون على رأب الصدع ولم الشمل وحقق الدماء ،
ويسيروا مع غيرهم من أبناء الاسلام في كل مكان اخوة متحابين
متآلفين ذاكرين نعمة الله التي أمرنا الله بتذكرها في قوله – تعالى
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ
كنتم أعداء فالله بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » آل عمران
١٠٣ .

آثار خالدة

لقد تعددت معارف « أبى نعيم » وتعددت كذلك آثاره ، وترك من بعده ثروة سخية في مختلف الفنون والعلوم ، وقد سبقت الإشارة الى أن العلماء قديما قل منهم من يتخصص في فرع من الفروع ، ولكنهم كانوا يطلبون العلم بأنواعه المختلفة ، ورأينا رجالا من العلماء بزغ نجمهم في آفاق كثيرة ، وكان الطالب يجلس في حلقة أستاذه فيجد عنده طلبته في الفقه والنحو واللغة والتفسير والحديث وغيرها من العلوم ..

وأذا طبقنا ذلك على « أبى نعيم » وجدناه قد غرض تدوين اسمه في مختلف الطبقات ، فله في معجم الأطباء اسم وله في طبقات الصوفية اسم وله بين المحدثين مقام ، وله بين الحفاظ رتبة عليية وبين رجال الفقه منزلة سنية ، وله بين القراء مكان ..

وليس هذا الكلام من فراغ ، ولكن قائمة مؤلفاته تشهد بذلك . وثبت المراجع التي يمكن الرجوع اليها يؤيد ذلك .

فمن مؤلفاته التي تدل على تضلعه في الحديث ما سبق أن أشرنا إليه في مكانه . يضاف إليه كتاب لم تشر إليه المصادر المختلفة ، ولكنه أشار هو إليه في كتابه « حلية الأولياء » حيث قال في نهايته : سألتكم عن ذكر جماعة من نساك بلدنا ، وقد ذكرت جماعة منهم في كتابنا طبقات المحدثين من الرواة من أهل بلدنا .

وربما كان هذا الكتاب هو كتاب أخبار أصفهان . لأن أيا من المصادر التي تحدثت عن مؤلفاته وبخاصة كشف الظنون ومعجم المؤلفين وهدية العارفين لم يذكره .

كما أشار « كشف الظنون » الى تعليق لأبي نعيم على كتاب ألفه « أبو عبيد القاسم بن سلام » المتوفى سنة ٢٢٤ هـ اسمه « الغريب المصنف » قال : وقد رده « أبو نعيم » ويفيد هذا نقده للكتاب وبيان رأيه فيه قال : كما رده أيضا « على بن حمزة البصري » المتوفى سنة ٣٧٥ هـ وشرحه « أبو العباس أحمد بن المديسي » المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ، وشرح أبياته « يوسف بن حسن بن السيرافي » المتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

ومن مؤلفاته في الطب - التي جعلت بعض المجهنين بالطب يضمن معجمه اسمه - كتابان أشار إليهما صاحب كتاب كشف الظنون .

أحدهما : الشفاء في الطب المسند عن المصنف عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - جمعه « أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشي » أوله : اللهم يا من لطف حتى دق عن الأوهام والظنون : حرره من السند ورتبه على ترتيب كتب الطب ، وسماه : الوافي في الطب الشافي .

والثاني : « الطب النبوي » وأشار إليه « بروكلمان » وذكر

انه عن احاديث النبى - صلى الله عليه وسلم - المتعلقة بالطب ،
اختصره مجهول وطبع بالقاهرة بمطبعة المنار سنة ١٣٤٤ هـ ،
واختصره عبد الوهاب بن أحمد بن محمود الرومى « وحذفت منه
الأسانيد وأضيفت اليه زيادات بعنوان : الوافى بالطب الشافى » .

ومن هذا القول يفهم أن الكتابين كتاب واحد ، ولكن اختلف
العنوان فيهما .

ولعل صاحب معجم الأطباء الذى رجع اليه « عمر كحالة » فى
كتابه معجم المؤلفين عند كتابته عن « أبى نعيم » راعى تأليف « أبى
نعيم » لهذا الكتاب فتحدث عنه فى معجمه الذى لم أعتز عليه .

وعنه فى طبقات الشافعية حديث ضاف يدل على أنه كان صاحب
بأع طويل فى الفقه الشافعى ، ولو لم تكن له مؤلفات فيه ، فالعبرة
ليست بالتأليف ، والمعروف انه كان أستاذًا يفد اليه الطلاب من
مختلف الأقطار ليأخذوا عنه ، وكان الذى يأخذه هؤلاء ليس الحديث
وحده ، ولكنهم يأخذون عنه كافة المعارف التى يجيدها ومن بين ذلك
الفقه الشافعى ، الذى جعل « الاسنوى » فى طبقات الشافعية يذكره ،
وصاحب كتاب مناقب الشافعى وطبقات أصحابه من تاريخ الذهبى
يذكره ، و « السبكى » فى كتاب طبقات الشافعية يذكره ويثنى عليه
ويدافع عنه .

أما « ابن الجزرى » فى كتابه طبقات القراء فقد عده من بين
القراء الذين ترجم لهم فى كتابه ، ذكر ذلك أيضا معجم المؤلفين .

أما التاريخ فكما حدثتنا مؤلفاته فيه تشهد له ، وقد ذكرنا
بعض مؤلفاته فيه ، وما لم تشر اليه وأشار اليه « البغدادى » فى
« هدية العارفين » كتاب : « معجم الشيوخ » تحدث فيه عن شيوخه ،
وكذلك أشار اليه « حاجى خليفة » فى كشف الظنون .

وله مؤلفات أخرى تدل على خبرته بالتربية والأخلاق وسياسة النفس ، فله كتاب « رياضة المتعلم » وهو كما يدل عليه اسمه يتحدث فيه عن سياسة النفس ومعالجتها والأخذ بيدها الى مدارج الكمال ، وربما يتعلق بهذا اللون كتاب آخر أشار اليه كشف الظنون عنوانه : فضل العالم العفيف ، فهو يتحدث بغير شك عن أثر العلم في اكساب صاحب العفة والاعراض عما في أيدي الناس وبيان فضل من تحقق بهذا الأدب العالمى من العلماء ليكونوا قد انتفعوا بما علموا . وما أصدق كلمة قالها « الجرجاني » في ذلك .

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس تعظما وكتاب آخر أشار اليه أيضا « حاجى خليفة » عنوانه : الرياضة والأدب . وله كتاب « الأموال » ذكره بروكلمان ، وقال انه يشك في مؤلفه وقد طبع بالقاهرة سنة ١٢٣٧ هـ .

وله كتاب « الامامة » وكتاب « فضائل الخلفاء » ولا شك أن هذه الكتب الثلاثة الأخيرة تتعلق بالسياسة العامة وما يتصل بها من تدبير أمور الرعية وما يتطلبه ذلك من النظر في مصالحهم المعاشية والاجتماعية والاقتصادية . وهذا يدل على أن « أبا نعيم » لم يكن بعيدا عما يهم الناس .

وله كتب أخرى منها كتاب « المهدي » و « أبو نعيم » له اتجاه شيعى وإن لم يكن شيعيا - كما قال ذلك « العاقل » في أعيان الشيعة . والشيعة يؤكدون ظهور « المهدي » في آخر الزمان . ولا ينخلدون في مقدمته ص ٣١١ حديث مستفيض عن « المهدي » قال فيه : إن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ، ويستولى على الممالك الاسلامية ، ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة

في الصحيح على أثره ، وأن « عيسى » ينزل من بعده فيقتل الدجال ، أو ينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتى بالمهدى في صلاته ، ويحتجون في هذا الشأن بأحاديث خرجها الأئمة وتكلم فيها المنكرون لذلك ، وربما عارضوها ببعض الأخبار •

ويسرد « ابن خلدون » كل الأحاديث الواردة في شأن « المهدى » وذكر نقد أئمة الأحاديث لها ورأيهم فيها ، وختم كلامه في ذلك برأى شديد ومنطق سليم حيث قال : « والحق الذى ينبغى أن يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين أو الملك الا بوجود شوكة عصبية تظهرها وتدافع عنها ، وقد رأينا أن عصبية القرشيين قد تلاشت ووجدت أمم أخرى قد استقلت •• وان صح ظهور المهدى فلا وجه لظهور دعوته الا بان يؤلف الله بين قلوب الناس في اتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها ، أما أن يدعوا فاطمى الى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة الا مجرد نسبه في أهل البيت فهيهاات أن يتم ذلك ، وما تدعيه العامة ممن لا يرجع في ذلك الى عقل يهديه لا يعول عليه •• »

والتاريخ يؤيد كلام « ابن خلدون » فما من رجل ظهر حتى الآن وادعى أنه مهدى آخر الزمان الا باءت دعوته بالفشل ، وأخرها هذه الدعوة التى ظهرت منذ سنوات في السعودية واستولى أصحابها على الحرم الشريف في مكة ، وقد عرف العالم أجمع ما حدث من فتن وما آلت اليه هذه الدعوة من خذلان •

الدعوة الناجحة لها مقدمات وأسباب قوية تؤيدها وتمكن لها ، وبدونها لا يتم لها أمر ، وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا •

وكتاب « المهدى » لأبى نعيم فانه - كما يقول « العاملى » يتناول ذكره ونعوته وحقيقة مخرجه وثبوته ، وقد نسبه اليه السيد « رضى الدين بن طاووس » في طرائفه ، ولا يبعد اتحاده مع كتاب

آخر له اسمه : كُتَاب الأربعين من الأحاديث التي جمعها في أمر المهدي ، كان عند صاحب كشف الغمة بمقتضى نقله عنه كثيرا .

وأشعار « العاملى » أيضا الى أن لأبى نعيم مؤلفات أخرى منها : كتاب « حلية الأبرار ولكنه قال : لعله كتاب حلية الأولياء . وكتاب « الفتن » وعله يتضمن الفتن المستقبلية التي أشار اليها النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله : ستكون فتن كقطع الليل المظلم . . وكتاب « الفوائد » . قال « العاملى » وقد نسب الكتب الثلاثة اليه السيد « هاشم البحرانى » في غاية المرام . كما أشار الى أن له كتابا آخر اسمه « مختصر الاستيعاب » . ولكنه يشك في نسبة هذا اليه . لأن « الاستيعاب » لأبى عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هـ أى بعد وفاة « أبى نعيم » بما يزيد على ثلث قرن ، فكيف يتم لأبى نعيم اختصاره ؟ وله كتاب أشار أيضا اليه « العاملى » اسمه « صفة الجنة » وكتاب آخر اسمه « المعتقد » .

وله كتاب أشار اليه كشف الظنون اسمه « حرمة المساجد » وعله تحدث فيه عن منزلة المسجد وآدابه وفضله .

وأشار ، بروكلمان « الى كتاب له اسمه : المنتخب من كتاب الشعراء ، وهو كما يهدى اليه اسمه يدل على تذوق أدبى ومعرفة بفنون الشعر وأغراضه وأنواعه . .

ولا يخفى أن « أبى نعيم » له موهبته الأدبية التي تظهر في كتابته والتأنق فيها ، وإن لم يؤثر عنه شعر ، ولكنه له نثر هو أقرب الى الشعر ، فميله أحيانا الى السجع والجناس من أنواع البديع غير المتكلف يدل على أنه على حظ غير يسير من جمال الأسلوب وحسن البيان ، وإذا قرأت مقدمات كتبه وما في تضاعيفها أدركت ذلك . وإن كان « ابن الجوزى » لم يعجبه سجع « أبى نعيم » فإن الناس فيما يعشقون هذاهـب .

انه لم تتح الفرصة أمام مؤلفات « أبى نعيم » كلها للطبع ،
وكثير من المخطوطات التي أشارت اليها المصادر غير موجودة ، ولم
تتح الفرصة للاطلاع على كل ما هو موجود . فلعل الله يوفق من
يتوفر على اخراج الموجود منها الى عالم النور ويقدمها الى القراء
مطبوعة محققة لينتفع بها أهلها ، ويسترشد بها الراغبون في العلم
والمعرفة ، ونحن في زمن تيسرت فيه وسائل الطباعة وتقدمت فيه
أسباب النشر . والله لمن يقدم هذا العمل النبيل خير مثيب .

خاتمة

في يوم الاثنين الحادى والعشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة غربت حياة ذلك النجم الذى ظل مضيئاً ما يقرب من مائة عام .

توفى « أبو نعيم » في هذا التاريخ - كما يقول « ابن خلكان » أو في صفر من نفس العام ٠٠ بعد حياة مديدة حافلة بالعلم والمعرفة والخير ٠٠ كما عرفنا في رحلتنا معه التى سطرناها في خلال هذه الصفحات .

لقد بارك الله في عمره كما بارك في عمر أبيه من قبله فعاش ما يقرب من قرن وثلاث قرن .

وإذا كانت الحياة لا تقاس بالأيام ولكنها تقاس بالأعمال ، فإن الذى يجمع الله له بين طول العمر وحسن العمل وبقاء الأثر جدير بأن يغبط على ما أفاض الله له من نعمه ووفقه للطيبات ، والأثر الكريم يقول : خيركم من طال عمره وحسن عمله ٠٠

لقد صحبتنا « أبا نعيم » بعض الوقت ، ولم نستطع تغطية كل جوانب حياته ، ودراسة سيرته تحتاج الى دراسات أخرى ، ومع

اعترافى التام بالتقصير والعجز فان حسبى أن قدمت خطوة أرجو أن
تتبعها من عاشقى العلم ومحبى الخير والمعرفة خطوات •

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، ويرزقنا
التوفيق الدائم لخدمة العلم والدين ، وهو نعم المولى ونعم النصير •

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

المراجع

- ١ - حلية الأولياء لأبى نعيم .
- ٢ - اخبار اصفهان لأبى نعيم .
- ٣ - المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبى نعيم .
- ٤ - مرآة الجنان للياقنى .
- ٥ - صفة الصفوة لأبن الجوزى .
- ٦ - أحاسن المحاسن لأبى اسحاق الرقى .
- ٧ - معجم البلدان لياقوت .
- ٨ - دائرة المعارف الاسلامية .
- ٩ - دائرة معارف الشعب .
- ١٠ - دائرة معارف البستانى .
- ١١ - وفيات الأعيان لابن خلكان .
- ١٢ - الفهرست لابن النديم .
- ١٣ - معجم الأدباء لياقوت .

- ١٤ - الطبقات الكبرى للشعراني *
- ١٥ - طبقات الصوفية للمسلمي *
- ١٦ - الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني *
- ١٧ - حياة الحيوان الكبرى للدميري *
- ١٨ - اسد الغابة لابن الأثير
- ١٩ - الأدب العربي وتاريخه لمحمود مصطفى *
- ٢٠ - نشأة التصوف د * ابراهيم بسيوني *
- ٢١ - اعيان الشيعة للعاملی *
- ٢٢ - روضات الجنات الميرزا محمد باقر *
- ٢٣ - تذكرة الحفاظ للذهبي *
- ٢٤ - طبقات الشافعية للسبكي *
- ٢٥ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادی *
- ٢٦ - جامع كرامات الأولياء للنبيهاني *
- ٢٧ - زهر الآداب للحصري *
- ٢٨ - مروج الذهب للمسعودی *
- ٢٩ - شذرات الذهب لابن العماد *
- ٣٠ - ميزان الاعتدال للذهبي *
- ٣١ - دول الاسلام للذهبي *
- ٣٢ - طبقات الحنابلة لأبي الحسن يعلى *

- ٣٣ - الوسيط في تاريخ الفلسفة لعبد المتعال الصعیدی *
- ٣٤ - حضارة الاسلام دكتور على حسنى الخربوطلى *
- ٣٥ - المأمون الخليفة العالم د * محمد مصطفى هداره *
- ٣٦ - شذرات من السنة د * محمد الأحمدي أبو النور *
- ٣٧ - المقدمة لابن خلدون *
- ٣٨ - كشف الظنون لحاجي خليفة *
- ٣٩ - الأعلام للزركلى *
- ٤٠ - معجم المؤلفين عمر كحالة *
- ٤١ - هدية العارفين البغدادي *
- ٤٢ - اللمع للطوسي *
- ٤٣ - الرسالة القشيرية عبد الكريم القشيري *
- ٤٤ - التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذي *
- ٤٥ - فيض الوهاب للشيخ عبد ربه القليوبي *
- ٤٦ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان *
- ٤٧ - الليث بن سعد د * عبد الحليم محمود *
- ٤٨ - حسن المحاضرة للسيوطي *
- ٤٩ - أدب الاختلاف في الاسلام د * طه جابر فياض العدوانى *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
عطاء البيئة	١١
حياته ونشأته	٣١
تعلمه وشيوخه	٣٧
شهادة العلماء واجازتهم له	٦٣
مذهبه	٦٨
الخلاف بينه وبين ابن منده	٧٢
هل هو شيعي ؟	٨٣
مجالات التفوق :	٨٨

الموضوع	الصفحة
في الحديث	٨٨
في التصوف	١٢١
في التاريخ	١٧٨
آثار خالدة	٣٠٤
خاتمة	٢١١
المراجع	٢١٣

رقم الايداع ٨٧/٧٠١٩

الترقيم الدولى ٨ - ١٥٢٥ - ٠١ - ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

يتناول هذا الكتاب سيرة علم من أبرز العلماء الموسوعيين
المتقدمين في الحديث والفقه والتصوف والتاريخ وغيرها .
أثرى المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من الكتب التي
كان لها أعظم الأثر في الفكر الإسلامي .
ذلك هو أبو نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ بعد عمر
مديد زاهر بالعمل الصالح والعلم المفيد . .
ويكفي كشاهد على أعماله كتابه الذي لا غنى لمفكر أو عالم
عنه : كتاب حلية الأولياء .